

الدكتور إبراهيم يوسف السيد

أبو زيد الأنطاجي

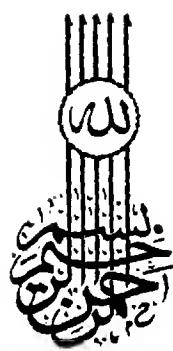
وأثره في دراسة اللغة

الرياض

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض

الناشر :





أبو زيد الأنصاري

وأثره في دراسة اللغة

الدكتور إبراهيم يوسف السيد

الاستاذ المساعد بمعهد اللغة العربية بجامعة الرياض

شبكة كتب الشيعة

الناشر : عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرياض - الرياض
ص.ب ٢٤٥٤ - الرياض - المملكة العربية السعودية



أصل هذا الكتاب رسالة مقدمة من المؤلف بعنوان :
« أبو زيد الانصاري وأثره في دراسة اللغة »

للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة
القاهرة . وقد منع الدرجة من قبل مجلس الجامعة بتقدير ممتاز
بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢ م

© ١٩٨٠ جامعة الرياض

جميع حقوق الطبع محفوظة . غير مسموح بطبع أي جزء من
أجزاء هذا الكتاب ، أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات
واسترجاعها ، أو نقله على آية هيئة أو بآية وسيلة ، سواء كانت
الكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخا ، أو
تسجيلا ، أو غيرها إلا باذن كتابي من صاحب حق الطبع .
الطبعة الأولى ١٩٨٠ .

الإهداء

الى التي منحتني العب كلته
وغرست في نفسي طلب العلم
وكانت دعواتها مشعلا يضيء طريقي
الى روح أمي الطاهرة
أهدي هذا الكتاب وفاء لذكرها

المؤلف

المقدمة

أحمد الله ، وأصل وأسلم على نبيه أشرف الخلق ٠٠٠ وبعد

فقد كانت العربية - منذ وجدت - عزيزة على أهلها ، فنالت عنادتهم . ثم أكرهم الله بالقرآن الكريم ، أنزله بها ، فأعل شأنها وزادها في النفوس عزة وتقديسا .

حظيت العربية بعلماء ببرة أخلصوا لها ، وأقبلوا عليها ، وبذلوا في سبيلها جهودا مضنية ومتواصلة تستحق منا كل اجلال وآكبار ، وكان لعلماء السلف في ميدانها أعمال رائعة بقيمتها شاهدة لهم بالفضل على مر الزمن .

لكتهم - على أي حال - أضاعوا كثيرا من الفائدة المرجوة من هذه الأعمال ، بسبب اقبالهم على اقحام المتعلق في دراساتهم اللغوية ، وبسبب تعدد مذاهبهم وكثرة اختلافهم في المسألة الواحدة ، على نحو أدى إلى تعقيد المسائل اللغوية ، والصعوبة تناولها على كثير من الدارسين ٠٠٠ فكثروا المادون بالتيسير والصلاح إلى يومنا هذا .

وفي رأينا أنه لا سبيل إلى تيسير سليم أو تجديد قويم الا بدراسة آثار السلف دراسة واعية . والوقوف على آرائهم ومناهجهم ، ومعرفة مواطن القوة والضعف عندهم حتى نتمكن من الاهتداء بهديهم وتجنب عثراتهم .

وتاريخ العربية يظهر أن القرن الثاني الهجري شهد نشاطا ملحوظا من جانب علماء العربية لجمع مفرداتها والوقوف على أسرارها .

وقد وقع اختيارنا على عَلَّامَ كَبِيرَ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِيَّةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ ، وَهُوَ أَبُو زِيدَ الْأَنْصَارِيَّ . وقد رأينا أن نقصر بحثنا على ناحية معينة من نواحي حياته العلمية ، فكان « أبو زيد الأنصاري وأثره في دراسة اللغة » موضوع البحث الذي نتعرض له الآن .

ونستطيع أن نوجز الأسباب التي دعتنا إلى اختيار هذا الموضوع بما يلي :

١) أن أبا زيد أمضى سنوات عمره المديدة في خدمة العربية . وكان ذا شخصية فذة تستحق الدراسة .

٢) وأنه كان يتميز بين علماء عصره البصريين بنهج مستقل وتفكير حر ، فقد انفرد بينهم بالأخذ عن الكوفيين .

٣) جهوده في تيسير النحو العربي .

أما منهج البحث فيشخص في الاعتماد على آثار أبي زيد - ما أمكن - في استخلاص آرائه واتجاهاته ، ثم البحث عن نصوص اختت من الكتب ومقارنتها بما جاء فيها من أجل توثيقها .

وقد واجهتنا في هذه الدراسة صعوبة الكشف عن آراء أبي زيد نظراً لضياع غالبية مؤلفاته ، مما اضطررنا إلى بذل جهود مضنية للبحث عن هذه الآراء في أمهات كتب العربية القديمة ، وفي مظانها الأخرى ، فقد قمنا بجمع روایاته في معجم لسان العرب .

كما واجهتنا صعوبة الحصول على كتبه الثلاثة الموجودة لاقتنانها وهي : كتاب الهمز وكتاب المطر وكتاب اللبا واللبن . فقد تطلّبتها في المكتبات فلم أعثر عليها ، لذلك قمنا بتصوير هذه الكتب في الجامعة اليسوعية في بيروت عن النسخ الموجودة فيها ، محتفظين بالنسخة المضورة .

وأما مصادر الدراسة فكثيرة منوعة منها المصادر التاريخية التي اعتمدت عليها من أجل رسم صورة للنصر الذي عاشه أبو زيد .

ومنها كتب التراجم والطبقات بعامة وترجم النحاة واللغويين وطبقاتهم بخاصة ، حيث اعتمدت عليها في التعرف على حياته وعلى شيوخه وتلاميذه .

وكان من مصادرنا الأصلية بعد ذلك كتب اللغة والنحو بعامة وكتب أبي زيد بخاصة .

وقد أدت طبيعة البحث إلى أن يكون في باطن سبقاً بتمهيد أوجزت فيه الحديث عن بيته أبي زيد العامة (العصر العباسي الأول) من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية ، وقد تبع ذلك صورة لبيته أبي زيد المكانية - البصرة - (في القرن الثاني وأوائل الثالث) ، حيث وجهت عناية خاصة للحديث عن حياة البصرة العلمية في عصر أبي زيد ، فقد ازدهرت الحركة العلمية فيها نظراً لتمازج الثقافات أثر اتساع الترجمة وتشجيع الخلفاء للقائمين عليها ، وقد ظهر إلى جانب هذه الثقافة الواردة الثقافة العربية الأصلية في سوق المربي الذي لعب دوراً خطيراً في الحياة الأدبية العلمية في البصرة .

أما الباب الأول فقد تناولت فيه أبا زيد ، وقد جاء في فصلين ، خصصت الأول للحديث عن حياته وصفاته ، وقد لوحظ خلط عجيب في روایات نسبة ، لأجل ذلك قمت بمناقشة هذه الروایات مرجحاً أصحها وأوّلتها ، كما لاحظت اختلاف الروایات في سنة وفاته فوثقت أصدقها ، أما صفاته فقد تخيرنا منها ما له علاقة بعياته العلمية .

وعقدت الفصل الثاني للحديث عن ثقافة أبي زيد و منزلته العلمية ، فذكرت روافد هذه الثقافة مبرزاً الحديث عن اثنين من شيوخه أحسب أن أثرهما فيه أكثر من غيرهما ، ثم انتقلت في هذا الفصل للحديث عن تلاميذه ، فذكرت بعضهم وخصصت ثلاثة منهم بابراز أثر أبي زيد فيهم ، وقد أوضحت في هذا الفصل اتجاه أبي زيد المذهبي ، ودفعت عنه التهم المنسوبة إليه مبيناً أن أبي زيد كان من أهل السنة والجماعة وأنه لم يكن من ذوي الأهوا ، وختمت هذا الفصل بابراز منزلة أبي زيد العلمية وأقوال العلماء فيه .

اما الباب الثاني فقد وقع في ثلاثة فصول :
الأول في آثاره التي جاوزت الخمسين كتابا ، وقد فصلت الحديث في الموجود منها ،
غير نفته من الناحية التاريخية والمنهجية ومن ناحية النصوص ، أما الكتب المفقودة فقد تحدثت عنها
بقدر ما أسعفتنا المراجع .

والثاني : (أبو زيد والدراسات الصرفية وال نحوية) وقد أفضينا الحديث فيه عن اتجاهه في
الصرف والنحو وعرضنا لنزعته البصرية ثم لنزعته الكوفية فمظاهر استقلاله ، وانهينا الى أنه
من واضحى بنور المدرسة البغدادية ثم تكلمنا عن جهوده في تيسير النحو العربي وسقنا الشواهد
التي تجمعنا له هنا في ذلك .

والثالث : (أبو زيد والثروة اللغوية) تحدثنا فيه عن اتجاهه في الثروة اللغوية فيبيّنا نزعته
البصرية والكوفية ومظاهر استقلاله ، واستعرضنا خلال ذلك نماذج من احتجاجاته . ثم تكلمنا عن
جهود أبي زيد في الثروة اللغوية فأوضحنا أثره في الدلالة والمعلم والنوادر .

وجعلنا للبحث خاتمة لخصنا فيها عملنا وأبرزنا النتائج التي توصلنا اليها .

ولستنا ندعي أننا بلغنا درجة الكمال في هذا البحث ، وأنه سيكون مبررا من العيوب .

والله نسأل أن يأخذ بيدنا لما فيه خير لغة الفداد انه سميع مجيب .

ابراهيم يوسف عبد القادر السيد

المحتويات

صفحة

	المقدمة
ز	تمهيد
١	بيان أبي زيد العامة
٣	البصرة في عصر أبي زيد
٤	الباب الأول : أبو زيد الانصاري
٧	الفصل الأول : أبو زيد : حياته وصفاته
٩	نسب أبي زيد
١١	ميلاده ونشأته
١٤	وفاته
١٦	ضعف العصبية البلدية عنده
١٧	التعر في اللغة
١٨	الصدق
٢٥	الفصل الثاني : ثقافة أبي زيد و منزلته العلمية
٢٧	دراسته
٢٩	ثقافة أبي زيد الأجنبية
٣٠	الرحلة الى الbadia
٣٣	شيخ أبي زيد
٣٦	תלמיד أبي زيد
٤٢	اتجاه أبي زيد المذهبى
٤٥	منزلة أبي زيد العلمية

الباب الثاني : اثر ابي زيد الانصاري في دراسة اللغة	٤٩
الفصل الأول : آثار ابي زيد	٥١
الكتب الموجودة :	٥٤
أولا : كتاب الشجر والكلا	٥٤
ثانيا : كتاب البا والبن	٦١
ثالثا : كتاب مسائيه	٦٥
رابعا : كتاب المطر	٦٦
خامسا : كتاب التوادر في اللغة	٧٩
سادسا : كتاب الهمز	٨٠
الآثار المفقودة	٨٥
الفصل الثاني : ابو زيد والدراسات الصرفية وال نحوية	٩٩
اتجاهه في الصرف والنحو	١٠١
أبو زيد يخرج على تقاليد أهل البصرة	١٠٢
النزعه البصرية في اتجاه أبي زيد	١٠٤
النزعه الكوفية في اتجاه أبي زيد	١١٠
ظاهر التجديد في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو	١١٧
أبو زيد و تيسير النحو العربي	١٢٠
الفصل الثالث : أبو زيد والثروة اللغوية	١٢٧
اتجاهه في الثروة اللغوية - النزعه البصرية	١٢٩
النزعه الكوفية في اتجاه أبي زيد	١٣١
ظاهر الاستقلال في اتجاه أبي زيد	١٣٢
جهود أبي زيد في الثروة اللغوية	١٣٨
أبو زيد و دلالة الألفاظ	١٣٩
أبو زيد والمعاجم اللغوية	١٥٦
أبو زيد والتوادر	١٥٩
الخاتمة	١٧٩
المراجع	١٧١
الكتشافات	١٧٩
كتشاف الآيات	١٨١
كتشاف الأحاديث	١٨٣
كتشاف الأشعار	١٨٥
كتشاف أنصاف الآيات	١٨٩

تمهيد

أولاً : بيئة أبي زيد العامة :

الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر العباسي
الأول .

ثانياً : البصرة في عصر أبي زيد :

من الربع الثاني من القرن الثاني الهجري إلى أوائل القرن
الثالث .

أولاً : بيضة أبي زيد العامة

الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر العباسي الأول

كنت قد أعددت وصفاً تفصيلياً للأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر العباسي الأول ، ولكنني خشيت أن تطول الرسالة ، فعدلت عما كنت قد ذهبت إليه ، مكتفياً بتقديم هذا الموجز .

قامت الدولة العباسية على اكتاف الفرس ، مما أدى إلى زيادة نفوذهم وتقليص نفوذ العرب ، وقد شهد العصر محاولتهم احکام سيطرتهم على الدولة ، لكن وجود خلفاء أقوياء كالمنصور والرشيد فورت عليهم تحقيق غرضهم عن طريق السياسة . فعمدوا إلى نشر حلهم القديمة كالرأوندية والخرمية والزنقة .

تميز هذا العصر من الناحية السياسية بالمؤامرات والمايد ، فقتل أبو جعفر المنصور أباً مسلم الخراساني ، ونكب الرشيد البرامكة ، كما تميز بثورات الشيعة والخوارج التي ظلت متاجحة طوال العصر .

أما الحياة الاجتماعية في العصر العباسي الأول فقد امتازت بتعايش المتناقضات فيه ، حيث امتلأت خزائن الدولة بالأموال ، وأغدقها الخلفاء على كل من يحلف بهم من القواد والوزراء والولاة والعلماء والشعراء والفنانين ، فأدى ذلك إلى حياة الترف والنعم واللهو ، لكنه كان على حساب الطبقة المحرومة من عامة الشعب التي قاست من شظف العيش وبؤس العرمان .

وقد ساعدت الحرية المسرفة في الحياة العباسية قوماً من الناس على أن يفرطوا في اللذاند فانتشر المجنون المقترب بالفناء والخرم ، وكثرت الجواري ، كما انتشرت مجالس المنادمة والطرب وكانت الحياة لامية لامية حتى أن بعضهم أطلق العنان لنفسه في ارتكاب الآثام ، وزخر المجتمع بزناقة وملاحة ، فتنبه لهم المهدى وتتبعهم .

ليس معنى هذا كله أن الحياة العباسية كلها كانت لها ومحونا ، بل اقتصر ذلك على فئة من المجتمع انقسمت فيه على حين انتشرت المساجد التي كانت تغض بالعياد وأهل التقوى والصلاح ، وظهر الزهاد يدعون الناس الى التمسك بأهداب الدين ، والوقوف في وجه التيار الجارف ، فنشأت الزهد وامتلاك باخباره كتب الطبقات والترجم فيما بعد .

خلاصة القول في الحياة الاجتماعية في العصر العباسى الأول : أنها قد جمعت في طياتها الأغنياء المرفهين كما جمعت الفلاحين الكادحين ، وظهرت حياة المهو الى جانب حياة الجد ، وحياة اليمان الى جانب حياة الزندقة .

أما الحركة العلمية في العصر العباسى الأول فقد ازدهرت ازدهارا عظيما لم تشهده من قبل ، بسبب تمازج الثقافات ، وتشجيع الخلفاء وآكرامهم للعلماء والأدباء ، واغداقهم الأموال لهم وكان بعض الخلفاء على جانب كبير من العلم ، كالرشيد والمأمون ، فكان ذلك دافعا للحركة العلمية ، حيث عقدت مجالس المناقضة في قصور الخلفاء ، وكانت حافزا للعلماء على البحث والنظر .
نكتفي بهذا القدر من الحديث عن بيته أبي زيد العامة ، لنتنقل الى الكلام عن بيته المكانية
- البصرة .

ثانياً : البصرة في عصر أبي زيد من الرابع الثاني من القرن الثاني الهجري الى أوائل القرن الثالث الهجري

أبو زيد الانصاري بصرى المولد والمنشا والوفاة ، وقد عاش في البصرة في عهد شبابها لم يكدر يغادرها الا ما ندر ، فلا بد والحالة هذه ان ندرس أحوال البصرة لنكتشف مدى اثرها في تكوين شخصية صاحبنا .

أما أحوالها السياسية والاجتماعية فينطبق عليها ما قلناه عن العصر العباسى الأول ، ولذلك نكتفي به مجنّبين انفسنا التكرار الممل ونضيف على الحياة السياسية فيها أن البصرة شكلت حزبا معارض للدولة ، الا أنه حزب مفكك في ما بينه وبين نفسه ، وقد أخذ شأن البصرة يتناقض تدريجيا بعد أن بنى المنصور مدينة بغداد .

لكن الأمر يحتاج الى تفصيل في حياة البصرة العلمية لما في ذلك من نفع كبير للدراسة التي نقوم بها ، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية :

تمتّت البصرة بموقع جغرافي ممتاز جعلها محطة للقوافل التجارية وبذلك كانت ملتقى للنزعات المتعددة والثقافات المختلفة ، كما اتاحت الى جانب ذلك للبصريين ان يتّنقلوا بين الأقطار المختلفة ، فيحصلوا بشتى الثقافات ويشهدوا مختلف الحضارات ، فتتأثر عقولهم وآخيلتهم ، وتنسّع مداركهم ومثلهم ، وبذلك تم للبصرة ذلك المزاج العقل الذي يتّالف من سعة الأفق وشدة التعلّم وحرية الرأي وسرعة الذكاء وصفاء القرىحة وحب المنافسة والمالبة ^١ .

وعلى الرغم من تعدد جنسيات السكان في البصرة فقد تمازجوا ونشأت بينهم رابطة بلدية قوية صهرتهم في بوتقة واحدة ، جعلت الأحنت بن قيس التميمي يخاطب بعض أهل البصرة قائلا : « أنت والله أحب إلينا من تيم الكوفة » ^٢ .

(١) *الباحث حياته وآثاره* / ٢٦ تاليف الدكتور طه العاجري ، ط مصر ١٩٦٢ م .

(٢) الكامل ١٤١ / تاليف المبرد ، تعليق محمد ابو الفضل ابراهيم وزميله ، ط دار نهضة مصر .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا التمازن السكاني أن يتبعه امتراج في الثقافات ، وهكذا اتصلت الثقافة العربية في البصرة بثقافات الأمم الأخرى من هندية وفارسية ويونانية مما كان له أطيب الأثر في ازدهار الحركة العلمية .

وقد أفاد أبو زيد الانصاري من هذه الثقافات ، وبرز أثر ذلك عنده في معرفته التي لا نعرف مداها بالفارسية والعبرية والنبطية على نحو ما سنتشیر اليه في تفاصيٰ^١ .

واتخذ هذا المزج بين الثقافات صوراً أهمها الترجمة التي أخلص الناس لها وتابعوا حركتها ، واهتموا بكل كتاب وقع تحت أيديهم ، واشتهر في البصرة من المترجمين ابن المقفع ومنكهة الهندي ومسارجوريه وابنه عيسى .

واخذت هذه الكتب المترجمة مكاناً ظاهراً في الحياة العقلية مما كان له أثره البعيد في هذه الحياة .

والى جانب هذه الثقافة الواردة كانت هناك الثقافة العربية الصحيحة في سوق المربد .

لعبت هذه السوق دوراً خطيراً في الحياة الأدبية العلمية في البصرة فكان لا بد لكل متاذب أن يتربّد عليها يتلقى فيها اللغة مشافهة عن الأعراپ ، روى عن الأصمعي أنه قال : « جئت الى أبي عمرو بن العلاء فقال لي : من أين أقبلت يا أصمعي ، فقلت جئت من المربد ، قال هات ما معك فقرأت عليه ما كتبت في الواحي ، فمررت به ستة أحرف لم يعرفها ، فخرج يمدو وقال : شمّرت في الغريب » .

بل لقد وجد الأدباء أن من شروط اجادتهم اتصالهم بعرب المربد فقد روى عن الجاحظ أنه تلقف الفصاحة من العرب شفافاً بالمربد^٢ .

مكذا انتفع علماء اللغة بترددّهم على السوق ، وبطبيعة الحال لن يفوّت أبا زيد المتعطش للعلم والمعرفة التردد على هذا السوق والالاذة من حياته الأدبية والعلمية ، ومشافهة الأعراپ الفصحاء فيه . فقد عثّرنا في مصنفاته على أسماء عدد من مؤلّفه العلماء والفصحاء^٣ .

وكان أن شهدت البصرة في مراحلها الأولى رحيل عدد من الصحابة^٤ اليها قامّت على اكتافهم حركة دينية ولغوية أنت كلها وainت في هذا العصر .

بذلك اتسعت الثقافة وأوسعّت المدينة صدرها لكل ما يزخر به العالم من آراء ومنهاج إلى أن صارت من أخطر البيّنات العقلية ، يضاف إلى ذلك ما امتازت به البصرة من ميل للنقد والتمحيص ، وشفف بالعدل والمخاصلة وتتمتع بقسط كبير من حرية الرأي . . . أدى كل ذلك إلى انتشار مجالس العدل والمناقشة .

ولعل تصوير هذه الشخصيات خير ما يمثل لنا الحياة العقلية في البصرة ، وانصدق ما يعبر عن حيويتها الفياضة المتقدفة .

اماّتازت هذه المجالس بأنّها لم تقتصر على فئة معينة ، وكانت في أكثر الأحيان مجالس عامة يختلف إليها الناس ، وبذلك زاد الانتفاع بها .

(١) انظر البحث من ٢٥ وما بعدها .

(٢) سعجم الأدباء ٧٥/١٦ تأليف ياقوت ، ط مصر سنة ١٩٣٦ .

(٣) انظر البحث ٧٦/٢ .

(٤) انظر تاريخ العيّقوبي ٢٤٦/٢ ، ط بيروت سنة ١٩٦٠ .

ولا شك في أن يكون أبو زيد قد شارك بشكل من الأشكال في هذه المجالس وإن يكون قد أفاد منها .

أما المساجد فمجالسها وحلقاتها العلمية أكثر من أن تعد ويزيدها أهمية أن الخلفاء والأمراء كانوا يحضرون حلقاتها إلى جانب عامة القوم ، يروى الزجاجي أن الرشيد حين نزل البصرة قصد مسجدها الكبير وجلس إلى حلقة يونس بن حبيب .

وظهر في الفترة رواة أخلصوا للعلم واتصفوا بالصبر في طلبه ، وبذلوا حياتهم في الإرتعال من أجل تقدمه والنهوض به ، فكان ذلك عاملًا من عوامل ازدهار الحركة العلمية الأدبية في البصرة .

وقد احتل هؤلاء مكانة عظيمة وطافت بشهرتهم الآفاق وأخذت تشتد عليهم رحال الطلب من جميع الوجوه لأن لهم من الأدب المكان الذي لا يرقى إليه .

وأكثر من ذلك فقد طلبهم الخلفاء والولاة والحكام إلى جانبهم ، وبالغوا في اكرامهم وأشرفوا لهم في حلهم وترحالهم ، وجدهم ولهوهم وأغدقوا عليهم الأموال .

وكانت هذه المكانة الاجتماعية التي حصل عليها العلماء دافعًا لهم على مواصلة العلم وباعثنا على ازدهار الحركتين الأدبية والعلمية في البصرة .

ولم تنته هذه الفترة حتى خلفت لنا أمثلة الخليل وسيبوه وأبي زيد الانصاري وأبي عبيدة والأصمي والجاحظ والمازني .

ويقول النهبي ^١ انه كثر منذ عام ١٤٣هـ تدوين العلم وتبويبه ، ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا المصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة .

وقد أثرى أمثال هؤلاء العلماء المكتبة العربية بكثرة مؤلفاتهم .

كما اقترنت حركة العلم وتدوينه في هذا المصر بنشاط مصانع الورق وكثرتها ورخص اثمنتها ، مما دفع الحركة العلمية قديماً إلى الأمام ، وما كان ذلك ليكون لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو الفلاء .

ومن المفيد أن نذكر هنا أن أبو زيد قد أفاد من نشاط صناعة الورق ورخص اثمنتها وظهر أثر ذلك في كثرة مصنفاته ، وما كان ذلك ليتحقق له لو بقيت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السلاسل وارتفاع الأسعار .

وكان من ثمار هذا التقدم في صناعة الورق انتشار دكاكين الوراقين التي كانت مصدراً من مصادر انتشار الثقافة .

يقي أن نقول : إن النشاط العلمي في البصرة كان يسير في اتجاهين ، ويصدر عن مصادرتين مختلفتين ، فمن فنون العلم ما كان يصدر عن النقل والرواية كالحديث واللغة والأخبار ومنها ما كان يعتمد على العقل والموازنة والاستنتاج كالكلام وال نحو .

وقد تأثر أبو زيد في منهجه بالاتجاهين على نحو ما سبق لـنا في اتجاهه المذهبى ^٢ .

(١) تاريخ الغلفاء ١٠١ / تاليف جلال الدين السيوطي ، ط مصر سنة ١٢٥٥هـ

(٢) انظر من ٤٢ وما بعدها .

أبو زيد الأنصاري

• أبو زيد : حياته وصفاته • ثقافة أبي زيد ومنزلته
العلمية

أبو زيد : حياته وصفاته

- نسب أبي زيد • ميلاده ونشأته • وفاته • ضعف العصبية البلدية عنده • التقعر في اللغة • الصدق

نسب أبي زيد

أبو زيد الانصاري هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن العارث بن الخزرج .

وقد أوردت كتب التراجم والطبقات نسب أبي زيد في روايات متعددة وخلط غريب سوف نتبينه في الصفحات التالية حيث سنعرض لمناقشة هذه الروايات لترجيح أصدقها وأصحها وقد صنفنا ما ورد في أربع روايات على الوجه الآتي :

الرواية الأولى

تقول : أبو زيد صاحب العربية هو عمرو بن عزرة بن أخطب بن محمود بن رفاعة بن بشر ابن عبد الله بن الضيف بن الأحمر بن القطيوم بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن امرىء القيس بن العارث بن عامر بن ماء السماء ، دخلوا في الأنصار .

وأقدم من ذكر هذه الرواية من المؤرخين الزبيدي ١ (ت ٣٧٩ هـ) ثم تبعه ابن حزم ٢ الاندلسي ، وابن قاضي شبهة ٣ .

وقد حدث تعريف في نقل الرواية حيث ذكر ابن حزم (الفطيون) بدل (القطيوم) التي ذكرها الزبيدي .

وذكر ابن حزم في نهاية النسب « العارث بن عمرو مزيقىاء » في حين ذكر الزبيدي « العارث ابن عامر بن ماء السماء » .

١) انظر طبقات النعويين واللغويين / ١٨٢ تأليف الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط مصر الأولى .

٢) انظر كتاب جمهرة أنساب العرب / ٣٧٣ تأليف ابن حزم الاندلسي ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المارف بصير سنة ١٩٦٢ م .

٣) انظر طبقات النعوة واللغويين / ٣٤٩ تأليف الإمام ابن قاضي شبهة ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ٢١٤٦ تاريخ .

وقد خطأ ابن حزم هذه الرواية ، كما أبى الزبيدي شكه فيها . والرواية منسوبة إلى ابن الكلبي وهو متهم بالفساد ^١ ومحروم بالوضع ^٢ .
ومن أجل ذلك كله ضفت الرواية في نظرنا .

الرواية الثانية

تقول : أبو زيد هو سعيد بن أوس بن ثابت بن العتيك بن حرام بن محمود بن رفاعة بن بشر ابن الضيف بن الأحمر بن القبيطوم بن عامر بن ثعلبة بن حارثة الانصاري .

ذكر هذه الرواية من المؤرخين الزبيدي ^٣ وابن حزم ^٤ وابن قاضي شهبه ^٥ وأبو المحسن اليمني الشافعى ^٦ .

وقد حدث بعض الاختلاف أيضا في هذه الرواية فقد ذكر الزبيدي وابن قاضي شهبه (القبيطوم) بدل (القطيرون) وزادا (العتيك) .

وفي حين توقف أبو المحسن اليمني في ذكر النسب عند : « الأحمر بن القططيون » والزبيدي وابن قاضي شهبه عند « ثعلبة بن حارثة » انفرد ابن حزم فزاد في النسب حتى ذكر (العارت بن عمرو مزيقياه) .

والذى يعنينا أنهم جميعا لم يذكروا مصدر هذه الرواية ولم ينسبوها لأحد من الرواة ، ومن أجل ذلك لا نطمئن إليها .

الرواية الثالثة

تقول : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة ابن كعب بن الخزرج .

ذكر هذه الرواية من المؤرخين ابن مكتوم ^٧ وابن خلkan ^٨ وأبو بكر الخطيب ^٩
البغدادي وباقر محمد الموسوي ^{١٠} الأصبهاني والقطفي ^{١١} .

(١) البيان والتبيين ٣٦٧/٣ تاليف أبي عثمان الجاحظ تحقيق ميد السلام هارون ، ط مصر الثالثة ١٩٦٨
(٢) ضحي الإسلام ١٨/١ تاليف أحمد أمين ، الطبعة السابعة ، مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م .
(٣) طبقات الزبيدي ١٨٢/٣ .
(٤) جمهرة أنساب العرب - ابن حزم / ٣٧٣ .
(٥) طبقات النعاء واللغوين - ابن قاضي شهبه / ٣٤٩ .
(٦) انظر إشارة التبيين ٣٧ تاليف أبي المحسن ميد الباقى اليمنى الشافعى ، مخطوط بدار الكتب المصرية ١٦١٢ تاريخ .
(٧) تلخيص أخبار التغريب واللتوين / ٤١ تاليف ابن مكتوم ، مخطوط بدار الكتب المصرية ٢٠٦٩ تاريخ .
(٨) وفيات الأصياف ١٢٠/٢ تاليف ابن خلkan تحقيق محمد سعى الدين ، ط مصر ١٩٦٨م .
(٩) تاريخ بغداد ٧٧/٩ تاليف الخطيب البغدادي ، ط المسادة بمصر ١٣٦٩هـ - ١٩٤١م .
(١٠) روضات الجنات ٣١٢/٣ تاليف باقر محمد الموسوي ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧هـ .
(١١) أنباء الرواية ٢١/٢ تاليف الخطيب ت تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٢م .

وكفانا كل من البغدادي ^١ والقططي ^٢ رد هذه الرواية فقد عقبا عليها بقولهما : « كذا جاء نسب أبي زيد في هذه الرواية وفيه أخلاق ». ^٣

الرواية الرابعة

تقول : هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن نعيلية بن كعب بن الخزرج بن العارث بن الخزرج ^٤.

وقد ذكر هذه الرواية : محمد بن سعد ^٥ صاحب الطبقات الكبرى والبغدادي ^٦ وابن خلkan ^٧ والذهبى ^٨ وياقوت ^٩ وابن الجزرى ^{١٠} والشیعین محمد بن على الداودي ^{١١} والسيوطى ^{١٢} والمزرباني ^{١٣}.

ونحن نرجح هذه الرواية ونعتمد لها وذلك لما يلى :

أولاً : أن هذه الرواية منسوبة إلى محمد بن سعد وهو ثقة صدوق ^{١٤} قال عنه الخطيب البغدادي ^{١٥} : « محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته ». ^{١٦}

ووثقه أيضاً ابن حجر قال عنه ^{١٧} : « أحد الحفاظ الكبار الثقات المتحرّين ». ^{١٨} ثم انه فوق ذلك كان على صلة بصالحينا تلّمذ على يديه وروى عنه مما يجعل معرفته به تامة.

وهو أقدم من ذكر الرواية من المؤرخين توفي سنة ٢٣٠هـ ، وكان قد أنهى تاليف كتابه الطبقات الكبرى الذي أورد فيه نسب أبي زيد ^{١٩}.

ثانياً : وما يقوى هذه الرواية في نظرنا ما رواه البلاذري – وهو من عاصر أبي زيد – وهو يذكر اسم أبي زيد الأنصاري الجد الثالث لشیعینا عندما أرسله الرسول عليه السلام إلى عمان ، قال البلاذري ^{٢٠} : « وقال بعض البصريين : اسمه عمرو بن الخطب جد عزرة بن ثابت بن عمرو بن الخطب ، وقال سعيد بن أوس الأنصاري : اسمه ثابت بن زيد ». ^{٢١}

- (١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ٧٧/٩
- (٢) انباء الرواية القبطي ٢١/٢
- (٣) الطبقات الكبرى ٢٧/٧ تاليف محمد بن سعد ، ط بيروت ١٩٥٨ م
- (٤) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ٧٧/٩
- (٥) رفیعات الایمان ابن خلkan ٢١٠/٢
- (٦) تاريخ الاسلام ٢٩/١١ تالیف الذهبی ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ ٢١٢/١١
- (٧) معجم الادباء ياقوت ٢١٢/١١
- (٨) خاتمة النهاية في طبقات القراء ٢٣٥/١ تالیف ابن الجزری ، نشر برجستامس ، ط مصر ١٩٢٢ م
- (٩) طبقات المفسرين ٧٧/٢٧ تالیف الشیعین محمد بن علي الداودی ، مخطوط بدار الكتب المصرية ١٦٨ تاريخ
- (١٠) بقیة الوعاء ٥٨٢/١ تالیف السیوطی ، تحقیق محمد ابریق الفضل ابراهیم ، المطبعة الاولی مصر ١٩٦٤
- (١١) نور القبس ١٠٤/١ اختصار أبي الحasan اليضوری تحقیق رودلف زلہایم ، بیروت ١٩٦٤
- (١٢) وفیات الایمان ابن خلkan ٤٢٣/٣
- (١٣) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي ٢٢١/٥
- (١٤) تهییب التهییب ١٨٢/٩ تالیف ابن حجر ، الطیبة الاولی حیدر آباد ١٣٢٦هـ
- (١٥) فتوح البلدان ٩٢/١ تالیف البلاذري نشر د. صلاح الدين المتقد ، مصر ١٩٥٦

وهذا كلام يرويه البلاذري عن صاحبنا نفسه بما يتفق مع رواية محمد بن سعد التي رجعناها .
ما يجعلنا ندفع الشك باليقين ونرکن الى هذه الرواية .

ثالثاً : وأمر آخر جدير باهتمامنا ، وهو ما ذكره ابن قدامة في كتابه الموسوم بالاستبصار في أنساب الأنصار قال ^١ : « أبو زيد الانصاري جد أبي زيد النحوي صاحب الغريب هو من بنى العاشر بن الخزرج » .

وهذا كلام يتفق مع روايتنا المتقدمة التي ارتضيناها ، في حين أن ابن قدامة كان قد ذكر أبا زيد عمرو بن أخطب جد عزرة بن ثابت قائلاً ^٢ : « يقال انه من بنى العاشر بن الخزرج » وذكر ^٣ أبا زيد بن عمرو بن أخطب بن محمود بن رفاعة بن بشر بن عبد الله ملحقاً إياه بالعاشر ابن عمرو بن نقباء الانصاري حلفاء الأوس .

وهكذا نرى أن ابن قدامة لم يلحق صاحبنا بأبي من النسبين المتقدمين ، وكان قد ذكر ثلاثة من الأنصار غلبت عليهم كنية أبي زيد .

رابعاً : ولا يفوتنا أن ننوه بما أبداه بعض أصحاب التراجم من اطمئنان لهذه الرواية فقد عقب البغدادي بقوله ^٤ : « والصواب ما أخبرنا الجوهري أخبرنا عيسى بن على حدثنا عبد الله ابن محمد البغوي قال : قال محمد بن سعد في طبقاته ... وذكر الرواية المتقدمة .

وعقب الفقطي قال ^٥ : « والصواب ما ذكره محمد بن سعد » .

وقال الزبيدي ^٦ : وأجمع الرواة أن أبا زيد سعيد بن أوس بن ثابت ... وذكر الرواية التي اعتدناها .
ميلاده

أبو زيد عربي صميم صلبته من الخزرج ، لم تشر الروايات كثيراً إلى أسرته ، واكتفت في حديثها عن أبيه أوس بن ثابت أنه كان محدثاً ^٧ ، أما جده ثابت بن زيد بن قيس فقد شهد أحداً ، وهو أحد السنة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد نزل البصرة واختلط بها ثم قدم المدينة فمات بها في خلافة عمر بن الخطاب ^٨ .

كما أن كتب التراجم لم تذكر مكان ولادة شيخنا وان كان المرجح أنها كانت في البصرة ، وضرب المؤرخون صفحوا عن ذكر السنة التي ولد فيها ، وانفرد ابن الجزرى ^٩ صاحب كتاب طبقات القراء فذكر أن أبا زيد ولد سنة عشرين ومائة ، على أننا لا نستطيع أن نطمئن كثيراً لهذا

(١) الاستبصار في أنساب الأنصار / ٩٥ تأليف عبد الله بن قدامة المقدسي ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤٨٩ تاريخ .

(٢) المراجع السابق / ٩٤ .

(٣) المراجع السابق / ٢٧٥ .

(٤) تاريخ بغداد - الغطيب البغدادي ٢٧/٩

(٥) أنباء الرواية - الفقطي ٢١/٢ .

(٦) طبقات الزبيدي ١٨٢ .

(٧) مراتب النحوين / ٤٢ تأليف أبي الطيب اللخوي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . مصر سنة ١٣٧٥ م - ١٩٥٥ م .

(٨) طبقات ابن سعد ٢٧/٧ .

(٩) طبقات القراء - ابن الجزرى ٢٥٥/١ .

التحديد خاصة وأن ابن الجوزي نفسه يذكر أن وفاة أبي زيد كانت سنة خمس عشرة ومائتين عن أربع أو خمس وتسعين سنة ، ومعنى ذلك أن ولادته كانت سنة احدى وعشرين ومائة أو سنة عشررين ومائة .

وتبع ابن الجوزي بعض الباحثين المحدثين فذكروا سنة ميلاد أبي زيد دون أن يذكروا الأساس الذي اعتملوا عليه فاختلفوا فيما بينهم : فذهب الباحثان خير الدين الزركلي ^١ وعبد الصاحب الدجبل ^٢ إلى أن ولادته كانت سنة ١١٩ هـ ، وذكر الباحث يوسف سركيس ^٣ أن سنة ميلاده ١٢٢ هـ ، وإلى هذا الرأي الأخير ذهب الدكتور محمد عبد القادر في مقدمة تحقيق كتاب *النواود لأبي زيد* ^٤ .

ونحن أيضا نرجع سنة ١٢٢ هـ تاریخا ميلاد أبي زيد لأننا وقينا سنة ٢١٥ هـ تاریخا لوفاته معتبرين على رواية أبي حاتم والرياشي من تلاميذ أبي زيد حيث تقول الرواية ^٥ : « توفي أبو زيد سنة ٢١٥ هـ وله ثلات وتسعون سنة »، وبذلك تكون ولادته سنة ١٢٢ هـ .

نشأته

كانت نشأة أبي زيد في البصرة ، حيث تلقى العلم صغيرا ، يحدثنا ابن خلkan أن النضر ابن شعيل كان يقول ^٦ : « كنا في كتاب واحد أنا وأبو زيد الانصاري وأبو محمد البزبيدي ، وبروي البزبيدي ^٧ أن بعض أعراب مصر مثل عقيل وقشير نزلوا بالبصرة من محل أصايبهم فتعلم عندهم أبو زيد » .

وكانت له في البصرة حلقة ينتابها الناس ، وقد أمضى سنوات عمره الأخيرة منتقلًا بين بيته وحلقته ، يقول التوزي أحد تلاميذ أبي زيد : خرجت إلى بغداد فحضرت حلقة القراء فلما أنس بي قال ما فعل أبو زيد الانصاري ^٨ قلت ملازم لبيته وحلقته في المسجد وقد أنس ، قال ذاك أعلم الناس باللغة وأحفظهم لها » .

واجتمع المؤرخون على أن وفاته كانت في البصرة .

وكل هذا يعني أن أبو زيد قد أمضى معظم حياته في البصرة لا يكاد يغادرها حتى يعود إليها ثانية وذلك يظهر مقدار تعلقه ببلدته .

أما عن تنقلاته فقد رحل أبو زيد إلى الكوفة في سبيل طلب العلم حيث قرأ دواوين الشعراء على المفضل بن محمد الضبيبي ، والتقى هناك بأبي حنيفة .

(١) الاعلام ١٤٤/٣ تالیف خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ .

(٢) اعلام العرب في العلوم والفنون ٩٦/١ تالیف عبد الصاحب الدجبلی ، الطبعة الثانية ، المراد ١٩٦٦ .

(٣) معجم المطبوعات ٢١٢/٢ تالیف يوسف سركيس ، مصر ١٩٢٨ .

(٤) النواود في اللغة النسخ الاول ١٤ تالیف أبي زيد الانصاري تعقیل الدكتور محمد عبد القادر أحمد . مخطوط بجامعة القاهرة ٩٨١ رسائل .

(٥) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ٨٠/٤

(٦) وفیات الایمان - ابن خلkan ١٢٠/٢

(٧) طبقات الربیعی / ١٨٢

وانتقل أبو زيد إلى مكة ، جاء في دائرة المعارف الإسلامية ^١ : « ووفد أبو زيد إلى مكة عندما استقلم المهدي إلى بغداد أثر ولايته الخلافة سنة ١٥٨هـ أبرز العلماء » . والأرجح أن تكون رحلة أبي زيد إلى مكة لادة فرضة الحجر .

ورحل أبو زيد إلى بغداد في زمن الخليفة المهدى حيث أصبحت بغداد قبلة العلماء وظهر حرص الخليفة على استقطاب العلماء في بلاده تعظيمًا للعلم وتكريماً للعلماء حتى يحصل بينهم التنافس ويصدروا ما عندهم من النفائس ثم يجزيهم على ذلك بما هو واسع له من الكرم . قال أبو زيد : أتيت بغداد حين قام المهدى محمد فوافاها العلماء من كل بلدة بأنواع العلوم ، فلم أر رجلاً أفرس بيته شعر من خلف ولا عالماً أبدل لعلمه من يونس .^٢

وَهَذَا القول يَبْيَن لَنَا أَنَّ رَحْلَتَهُ إِلَى بَعْدَدَهُ إِلَى أَجْلِ الْعِلْمِ وَأَنَّ لِقَاءَهُ كَانَتْ مَعَ الْعُلَمَاءِ ، خَاصَّةً وَأَنَّ صَفَاتَهُ لَا تَؤْهِلُهُ لِلْتَّقْرِبِ مِنَ السُّلْطَانِ فَقَدْ كَانَ مُتَقْرِبًا يَبْحَثُ عَنِ الْغَرِيبِ ، وَيُلْتَزِمُ حَتَّى مَعَ الْعَامَةِ النَّحْرُ وَالْأَعْرَابِ ٠

لذلك لا تطول اقامته في بغداد فيعود الى البصرة .

وَلَاتَّ

اتفق المؤرخون على أنَّ أباً زيداً قد عمرَ طويلاً ، ثم اختلَّوا في قدر عمره والسنَّة التي توفي فيها واقتصر بعضُهم على ايراد الأقوال المتنازعَة دون ترجيحِه .

حکی یاقوت انه جاوز التسعین ، وذکر الشیخ الامام أبو محمد عبد الله المکی وابن کثیر انه قارب المائة ، لكن هذا التعمیم لم یرض به الآخرون ومالوا الى التحدید فاختلقو : فمن قائل ان ابا زید توفي وله ثلث وتسعون سنة ، وقائل انها اربع وتسعون والباقي الآخر جمع بين الروایات وقال انه توفي وله ثلث وتسعون وقيل اربع وقيل خمس وقيل ست وتسعون سنة .

كذلك اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها أبو زيد ، رغم أنه خلاف يسير على أي حال لا يتجاوز سنة أو سنتين .

انفرد ابن حجر وابن تغري بردى فذكرا انه توفي سنة ٢١٤هـ ^٢ ، واتفق اكثريه المؤرخين منهم الزبيدي وابن الأثير وابن النديم والذهبى وأبو الطيب اللفوسي وابن الجوزى وابن حزم ، وياقوت وابن قاضى شبهه وابن مكتوم والغیروزبادی وأبو المعاسن وابن العماد عل سنة ٢١٥هـ ^٣ .

اما المزرياني والبغدادي وابن الأنباري وابن الجوزي والقطبي والنوري فذكروا الرواية .

وزاد ابن خلkan وابن كثير والسيوطى والداودى الى الروايتين بـأـن أـصـافـوا « وـقـيلـ سـنةـ

^{١١} دائرة المعارف الإسلامية ٤٣٢/١١ - حالت محمد ثابت الفندقي - نقل عبد العميد يونس وترجماته .

الفهرست . / ٥٤ تاليف ابن النديم ، ط بيروت . سنة ١٩٦٤ م . ٢)

٢٤٠ / ٢ ، النجوم الظاهرة / ١٨٤ ، التهدیب / ٣٢)

^{٤٤} طبقات الزبيدي ١٨٢ ، الكامل ٤١٨/٦ ، المهرست ٥٤ ، تاريخ الإسلام ٨:١١ ، مراتب النعميين ٦٢ ،
حياة النهاية ٢٠٥/١ ، جمهرة الأنساب ٣٧٣ ، معجم الأدباء ٢١٢/١١ ، طبقات النعامة ٣٥٠ ، تلخيص أخبار
النعميين ٤١ ، السلفية ٣٧ ، إشارة القمين ٢٨ ، شهادات النهب ٢٤/٢ .

^٥ نور القبس : ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٩٠٨ ، نزهة الالباء / ١٢٩ ، المتنظم ٧٣/٥ ، أنباء الرواية ٢٥/٢ ، تهذيب

١) وفيات اليمان ٢٢٢، السداسية والسبعينية ٢٦٩، بحث المعاة ١٨٣، طبقات القبور ٧٧.

وبعد فاني ارجح سنة ٢١٥هـ تاريحاً لوفاة أبي زيد وذلك لما يلي :

١ - اتفاق عامة المؤرخين عليها .

٢ - أن البغدادي نسبها إلى الرياشي وأبي حاتم وما تلميذان لأبي زيد .

٣ - كما نسبها أبو الطيب اللغوي في مراتب النحوين إلى المازني وهو تلميذه لأبي زيد أيضاً، اتصل به ولازمه وزاره في مرضه الذي توفي فيه . روى المزباني^١ : « قال المازني دخلت على أبي زيد في مرضه الذي مات فيه فقال أشتكى صدرى فقلت له امر خه » (بكسر الراء) بشمع ودهن فقال ليس كذا إنما هو امر خه (بضم الراء) فتعجبت منه في تلك الحال يعلمني » .

صفات أبي زيد

ليس من هدف البحث التعرض لصفات أبي زيد العامة ، ولكنه يتخيّر منها ما كان له أثر في حياته العلمية ، وتلك الصفات :

١ - ضعف العصبية البلدية عنده

كانت المنافسة شديدة بين البصرة والكوفة ، وكان البصريون يتحرون ولا يجيزون كل ما يسمونه ولا يقبلون إلا أصح اللغات وأفصحها وكانوا يتهمون الكوفيين في نقولهم ، ويعيبون عليهم تسامحهم، لذلك امتنعوا من الأخذ عن الكوفيين ، روى أبو الطيب اللغوي قال^٢ : « وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ولكن أهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة » .

فالبصريون إذا لا يأخذون عن الكوفيين لأنهم يعتبرون الأعراب الذين يحكون عنهم ليسوا حجة ، وليس الأمر - في رأينا - كما ذهب البصريون ، ولكنها العصبية التي تاجعت بين المدينتين دفعتهم لأن يزعموا ذلك ويتوقفوا عن الأخذ من الكوفيين .

أما أبو زيد الانصاري فإنه لم يكن ليعرف بأن للعلم حدوداً اقليمية يجدها ، ومع أنه تميز بالرواية عن فصحاء العرب ، فقد شدَّ الرحال إلى الكوفة لطلب العلم والأخذ عن المفضل الضبي الكوفي لأنَّه مشهود له بصدقه وصحة روايته ، مما يدل دلالة قاطعة على ضعف العصبية البلدية عنده .

وقد صرَّح أبو زيد بأخذِه عن المفضل في أول كتابه *النواودر* حيث قال : « ما كان فيه من شعر القصيدة فهو سمعي من المفضل بن محمد الضبي » .

وقد أثار أبو زيد - بأخذِه عن الكوفيين - دهشة المؤرخين ، ولفتَّ أنظارهم .

وتجدر الإشارة إلى أن ضعف العصبية البلدية عند أبي زيد لم يتوقف عند حد الأخذ عن الكوفيين ، بل تعمَّى ذلك إلى اتفاقه معهم في بعض جوانب مذهبِ النحوِ واللغويِّ ، على نحو ما سنوضح في حينه .

(١) نور القبس / ١٠٨ .

(٢) مراتب النحوين ، لأبي الطيب اللغوي / ٩٠ .

(٣) انظر أخبار النحوين البصريين / ٤٢ تاليف أبي سعيد السيرافي . تحقيق محمد ميد المتمم خفاجي ، مدِّ مسر سنة ١٩٥٥م .

٢ - التقدّر في اللغة

عرف أبو زيد بكثرة اهتمامه وروايته للنادر والغريب حتى غلب عليه ذلك وانفرد بأشياء لم يرها غيره ، وصفه بذلك الأزهري فقال : « والغالب عليه النادر والغريب »^١ ، وأiben خلakan في وفيات الأعيان قال : « كان من أئمة الأدب وغلبت عليه اللغة والنادر والغريب »^٢ . ولعل مرجع هذه الظاهرة عند أبي زيد التنافس الشديد بين علماء اللغة في عصره على جميع الغريب فهذا أبو عمرو بن العلاء يعز عليه ألا يعرف أحراضاً عرضها عليه تلميذه الأصمعي ويخرج باحثاً عن الغريب .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد كان شيخنا يلتزم النحو والاعراب حتى مع العامة ، لا يلعن في حديثه وفيما يجري بينه وبين الناس ، حتى لكان لسانه لسان أعرابي فصيح ، قال الجاحظ عنه^٣ : « ومن كان لا يلعن البتة حتى كان لسانه لسان أعرابي فصيح : أبو زيد التحوي » .

ولا غرو في ذلك فقد عرف أبو زيد بالرحلة إلى البادية ، وعايش الأعراب دهراً من الزمن حيث تعلم عند عَقِيل وقُشَّير لدى نزولهم البصرة من محل أصابهم^٤ .

وبعد ، فإن هذه الصفة في أبي زيد أبعته عن قصور الخلفاء والأمراء ، ولم تجعل اتصاله بهم كاتصال زميليه الأصمعي وأبي عبيدة ، ولكنها كانت نعمة وبركة على اللغة العربية فأثرت في منهجه وجعلت خروجه جاداً بقصد استيعاب اللغة وجمع مادتها وتلقي نادرها . ولم يكن خروجه سعياً إلى جمع ما يروج في قصور الخلفاء عند سيرهم ومحالس أنسهم .

يقول الاستاذ أحمد أمين في حديثه عن أبي زيد^٥ : « ولكن اتصاله بالخلفاء لم يكن كاتصال الأصمعي وأبي عبيدة ، ويفتقر أن صفاته لم تكن تؤهله لذلك فقد كان متقدراً يبعث عن الغريب ويلتزم حتى العامة النحو والاعراب » .

ومعروف أن هارون الرشيد لم يقبل من الأصمعي أن يستعمل في خطابه آياته تعبيراً مهجوراً غريباً لم يعرفه ، هو : ما لاقتنى بعده أرض : أي لم تسكتني^٦ .

ولعل أبو زيد في تقدّره في اللغة كان متأثراً بشيخه عيسى بن عمر المشهور بأنه كان صاحب تقدّر في كلامه واستعمال الغريب فيه^٧ .

٣ - الصدق

على أن أهم مميزات أبي زيد صدقه - أجمع على ذلك المؤخون ، روى الحسين بن الحسن عن أبيه عن ابن معين أنه صدوق^٨ ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي يجمل القول فيه ويرفع شأنه ويقول هو صدوق ، وقال صالح بن محمد : أبو زيد الأنصاري ثقة^٩ ، وعقب صاحب النجوم الرازحة في ترجمته لابي زيد قائلاً : « وكان ثقة حافظاً صدوقاً »^{١٠} .

- (١) تهذيب اللغة ١٢/١ تاليد الأزهري ، تحقيق عبد السلام هارون ، مصر سنة ١٩٦٤ .
- (٢) ١٢٠/٢
- (٣) البيان والتبين ٢٢١/٧ تاليد الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط مصر ١٩٤٨ .
- (٤) طبقات الزبيدي ١٨٢/٢ .
- (٥) ضئي الإسلام - أحمد أمين ٣٠٢/٢ .
- (٦) تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ٤٣٢/١٤
- (٧) انتظر البعث من ٢٤ .
- (٨) معجم الأدباء لياقوت ٢١٢/١١ .
- (٩) تاريخ بغداد لأبي بكر الخطيب البغدادي ٨٠/٩ .
- (١٠) النجوم الرازحة ٢١٠/٢ تاليد ابن تفري بردى ، ط مصر سنة ١٩٦٣ .

وكان أبو زيد يفضل زميليه الأصمعي وأبا عبيدة في التزام الصدق ، وإذا قارن العلماء بين الثلاثة رأوا أن من أهم مميزاته الصدق ، قال سفيان الثوري ، قال لي ابن منذر : أصف لك أصحابك : أما الأصمعي فاحفظ الناس وأما أبو عبيدة فاجمعهم وأما أبو زيد فاوئتهم ^١ .

ومن الدلائل على صدق أبي زيد وثقة العلماء فيه أن أصحاب الحديث رووا له على الرغم من عدم انقطاعه لروايته ، ذكر ياقوت ^٢ أن أبا داود روى له في سننه وكذلك الترمذى في جامعه .

وقد انفرد بأشياء في اللغة فروها له العلماء لما عرف عنه من الصدق والاتقان .

ومن مظاهر صدق أبي زيد اهانته العلمية ، تلك التي لازمته في كل الحالات :

١ - فهو يعلن شكه في نسبة بعض الآيات : لواحد من شاعرین ، كان يقول : قال زهير بن مسعود أو سويد ، فيثبت تلميذه أبو حاتم هذا الاحتراز فيقول : شك أبو زيد ^٣ .

كذلك يشك في اللقب لواحد من شاعرین فيثبت ذلك ويقول : وقال قيس بن جروة الطائي وهو جاهل ولقبه عارق ، ويقال هو لعمرو بن ملقط ^٤ .

ويشك في رواية لغوية فيثبت أبو عبيدة شكه ويقول : وشك أبو زيد في المتشعّر المجتمع انه مزئّن أو مزئّن ^٥ .

ب - ولا يتعرج أن يقول لا أدرى فيما لا يعلم : « روى المازني قال : سالت الأخفش عن حرف رواه سيبويه عن الخليل في « باب من الابتداء » وهو قوله : ما أغلظه عنك شيئا ، أي دع الشك » ما معناه : قال الأخفش : أنا منذ ولدت أسائل عن هذا . قال المازني : سالت الأصمعي وأبا زيد وأبا مالك عنه، فقالوا ما ندرى ما هو » ^٦ .

ج - ويقول القول ثم لا يتردد في الرجوع عنه إذا تبين له خلافه ، جاء في المزهر : « أجاز أبو زيد وأبا عبيدة صبت الريح وأصبت ولم يجزه الأصمعي ثم زعموا أن أبا زيد رجع عنه » ^٧ .

د - ثم لا يتوانى في أن يعلن رأيه فيما يسمع كان يقول : أشذني الأخفش بيتا مصنوعا لطيفة ^٨ .

ه - وعندما تقدم به السن يمسك عن الرواية خشية التخليل ، قال أبو الطيب اللغوى ^٩ : كان أبو زيد قارب في سن المائة فاختل حفظه ولم يختل عقله فأخبرنا عبد القدوس

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٢٠/٢ .

(٢) مجمع الأدباء ٢١٢/١١ .

(٣) مخطوطة التوادر في اللغة / ٣٨ تاليف أبي زيد الأنصاري تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد ، جامعة القاهرة ٩٨١ رسائل .

(٤) التوادر في اللغة / ٦١ تاليف أبي زيد الأنصاري تصحيح سعيد الشرطوني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٧ م .

(٥) لسان العرب / رزم تاليف ابن منظور ، ط بيروت سنة ١٩٦٨ م .

(٦) تأويل مشكل القرآن / ٦٥ تاليف ابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ، ط مصر سنة ١٩٥٦ م .

(٧) المزهر ٣٢١/٢ تاليف جلال الدين السيوطي ، شرح وتصحيح محمد أحمد جاد الولى وزملائه .

(٨) المرجع السابق .

(٩) مراتب النحوين لأبي الطيب اللغوى ٤٢/٤٢ .

ابن أحمد أبنانا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري أبنانا الرياشي قال : رأيت أبا زيد ومعي كتابه في الشجر والكلأ فقلت له : أقرأ عليك هذا : فقال لا تقرأه عليّ فاني أنسيته .

و - وتدفعه أماتته العلمية للاعتراف بالتصحيف الذي وقع فيه ، حدث التوزي قال : قلت لأبي زيد الانصاري : أنت تنشدون قول الأعشى :

بسا باط حتى مات وهو محرز قَ

وأبو عمرو الشيباني ينشدها (محرز قَ) فقال إنها نبطية ، وأم أبي عمرو نبطية فهو أعلم بها مثا^١ .

ز - ويصرح في أول كتاب التوادر بأن ما فيه من شعر القصيدة من انشاد المفضل الضبي قال أبو زيد : « ما كان فيه من شعر القصيدة فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان فيه من اللغات وأبوا باب الرجز فذلك سماعي من العرب »^٢ .

هذا وقد عرف العلماء على مر الزمن أمانة أبي زيد العلمية ، وصرح بذلك غير واحد منهم : فأبوا علي الفارسي يصفه بالضبط في الرواية^٣ ، ويعلق على بيت شعر رواه أبو زيد بقوله : وهذه الكلمة كذبٌ يحكي فيما شدَّ عن سيبويه في الأبنية ، ولو لا ثقة أبي زيد وسكون النفس إلى ما يرويه لكان ردّها مذهبًا^٤ .

وأبو جعفر النحاس يعلق على قراءة آية بقوله^٥ : « بهذا الوجه من أحسن ما حملت عليه الآية ، إذ كانت هذه اللغة معروفة قد حكها من يرتفع علمه وصدقه وأماتته ، منهم أبو زيد الانصاري » .

ومن أجل ذلك انكب العلماء على كتب أبي زيد حفظاً ودراسة وشرحها ، فأبوا علي الفارسي يقول عنه أبو حيان « انه لم يكُن يتجاوز كتب أبي زيد في اللغة وهو يكاد يصل إلى أبو زيد »^٦ .

والرياشي كان يحفظ الشعر الذي في التوادر كما يحفظ السورة من القرآن .

ولأجل اشتهر أبي زيد بالصدق ، كنى العلماء عنه بأفضل ما يكتن به الرواية تكريماً له فكان سيبويه إذا أخذ عنه قال « أخبرني الثقة » أو « من أثق بعربيته ، أو من ثق به ، أو من لا نتهم » ، روى ابن قتيبة قال^٧ : « حدثني أبو زيد قال : كان سيبويه غلاماً يأتني مجلسى وله ذُرُّاً بستان قال وإذا سمعته يقول : أخبرني من أثق بعربيته فإنه يريدني » .

ولكن المستشرق الألماني يوهان فوك يعقب على هذه العبارة المتقدمة بقوله^٨ : « وقد حملها بعض المتأخرین غلطاً على أبي زيد الانصاري » فيشير بذلك موجة من الشك تجعلنا نتوقف قليلاً لتجليـةـ الحـقـيـقـةـ .

١) المزهر ٣٦٩/٢ ، والخصائص ٢٨٣/٣ .

٢) التوادر في اللغة - أبو زيد الانصاري ١/

٣) انظر العجة في علل القراءات السبع ٢٦٧/١ تاليف أبي علي الفارسي تحقيق علي النجدي ناصف وزملائه ، القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

٤) المرجع السابق ٢٢٨/١ .

٥) القراءات والمهجـاتـ ٢٢/٢ تاليف عبد الوهاب حمودة ، الطبعة الاولى مصر سنة ١٩٤٨ م .

٦) الامتناع والمؤانـةـ ١٢١/١ تاليف أبي حيان التوحيـيـ تصـيـحـ اـحمدـ اـمـينـ وـزمـيلـهـ ، طـبـعةـ مصرـ سـنةـ ١٩٣٩ـ مـ .

٧) المـارـافـ / ٥٤٤ تـالـيـفـ اـبـنـ قـتـيـبـةـ ، تـحـقـيقـ ثـرـوتـ مـكـاشـةـ ، دـارـ الـكـتـبـ سـنةـ ١٩٦٠ـ مـ .

٨) العربية ٥١ تاليف يوهان فوك ، ترجمة الدكتور عبد العليم النبار ، ط مصر سنة ١٣٧٠هـ - سنة ١٩٥١م .

الرد على يوهان فل

ينفي الأستاذ يوهان فل في عبارته السابقة أن يكون المقصود أبا زيد الأنصاري دون أن يبين لنا من المعنى أذن في العبارة ، ودون أن يقدم الدليل الذي اعتمد عليه في نفيه ، ونحن في ردنا نهدف إلى أمرتين :

١ - إزالة الشبهة التي أثارها المستشرق يوهان فل حول عالم من علماء العربية له خطورته في ميدان اللغة .

٢ - إقامة الدليل على أن المعنى في العبارة أبو زيد الأنصاري ولتحقيق ذلك نقول :

أولاً : أقدم من نقل الرواية التي نص فيها أبو زيد على أنه المعنى بعبارة سيبويه (أخبرني الثقة) ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، ونقلها بعده بعض الرواة منهم أبو سعيد السيرافي ، ولعل الأخير هو المقصود بقول الأستاذ يوهان فل « بعض المتأخرین » .

وأول ما تجدر الاشارة إليه أن ابن قتيبة لم يختلف الرواية بل سمعها من أبي حاتم حاتم فهو يقول : حدثني أبو حاتم ، وقد لزم أبا حاتم فعلاً وحدث عنه وكان ثقة ديننا فاضلاً صادقاً فيما يرويه .

أما استاذه أبو حاتم فكان تلميذاً لأبي زيد ، كثير الاتصال به والأخذ عنه .

والرواية منسوبة في النهاية لأبي زيد الأنصاري وقد أجمع المؤرخون على صدقه ونقاشه ، وقال أبو زيد أنه المعنى بها على مسمع من الناس ، ولم يذكر الرواة أن أحداً نازعه إياها .

يقول الأستاذ علي النجدي ناصف في حديثه عن شيوخ سيبويه وبعد أن ينقل قول السيرافي ويناقشه^١ : « وأرى برغم ذلك أن أبا زيد حقيق بالتصديق ، وحقيقة أن يعد مسح شيوخ سيبويه ، فقد قال سيبويه في الكتاب وأخبرني الثقة أو ما يشبهها غير مرة » .

ثم ان الخبر ذكر مستنداً إلى أبي زيد الأنصاري وبذلك يقطع أي شبهة ، ومعروف أن حكم الخبر القبول حتى لو كان متفرداً إذا كان المفرد به من أهل الضبط والاقناع كأبي زيد والخليل والأصمي وأبي حاتم فكيف وقد اجتمع في نقل الخبر ثلاثة من أئمة العربية من عرفاً بالصدق في النقل .

ولكن لماذا أثر سيبويه لا يصرّح باسم أبي زيد ؟

يجيبنا الأستاذ علي النجدي ناصف على ذلك يقول^٢ : « ربما كان في ذلك نوع من التكريم لأبي زيد ، ولا سيما أنه يمكن عنه بافضل ما يمكنه عن الرواة والعلماء مثل : من ناق به ومن لا نتهمه ، فكانما أراد سيبويه أن يدعو الناس إلى هذه التسمية ، وأن يشاركه فيها من لم يشاركه أجيلاً للرجل ومتكافأة .

١) الفهرست لابن التهيم / ١١٥ ، ٨٦

٢) انظر البحث من ٣٨ وما بعدهما .

٣) انظر البحث من ١٨ .

٤) انظر سيبويه أمام الشعامة / ٩٢ تاليف على التجدي ناصف . ط مصر سنة ١٣٧٢هـ - سنة ١٩٥٣ .

٥) المراجع السابق / ٩٦

ثانياً : ثم ان سيبويه لم يشر بالاضمار الى أبي زيد وحده بل اعتناد أن يقول سالته او قال يعني الخليل ، قال أبو سعيد السيرافي ^١ : « وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل وكل ما قال سيبويه سالته او قال من غير أن يذكر قائله فهو الخليل » . وهكذا كان دأبه مع الخليل أن يراوح بين التصريح والاضمار ولم يقل أحد ان في ذلك خلطاً .

ثالثاً : ويكشف يونس بن حبيب عن الحقيقة بوضوح وذلك في الرواية التي نقلها نعلب في اماليه عن الأخفش قال ^٢ : « كان يونس يقول حدثني الثقة عن العرب فقيل له من الثقة ، قال : أبو زيد قيل له : فلم لا تسميه ، قال : هو حي بعد فانا لا أسميه » . فسبب عدم التسمية واضح اذن وهو أن أبي زيد كان حيا أيام يونس عند اطلاق اللقب عليه . والمعروف أن أبي زيد توفي بعد سيبويه ببنت وثلاثين عاما فالصلة نفسها كانتة ايضاً . ونفهم من العبارة السابقة أن العلماء تعارفوا على تلقيب أبي زيد بالثقة وان سيبويه لم يكن الوحيد الذي أطلق اللقب .

ويستوقفنا الدكتور حسين نصار عندما يعقب على رواية نعلب السابقة بقوله ^٣ : « لكن هذا القول غير صحيح ايضاً ، فالمعروف أن الذي كان يروي عن أبي زيد الأنصاري ويلقبه الثقة ويكتفي بذلك عنه في روايته هو سيبويه ، أما يونس فلم يفعل ذلك بل كان شيئاً لأبي زيد » .

ونحن وان كنا نوافق الدكتور حسين نصار على أن يونس شيخ لأبي زيد وهذا باعتراف أبي زيد نفسه حيث يقول ^٤ : « جلست الى يونس بن حبيب عشر سنين » . ويقول ايضاً ^٥ : « وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوى » – لكننا نختلف معه في انكار الرواية ، لأن أخذ يونس عن أبي زيد – كما تبيئه الرواية – محصور في السماع عن العرب ، وفي هذا المجال تنافس العلماء وتكتدوا المشاق في رحلاتهم الى الbadia ، ولم يضعوا مثل هذه القيود في طريقهم ، فهذا أبو عمر بن العلاء يطلب من تلميذه الأصممي أن يحدّثه بما سمع من العرب ^٦ .

ثم ان أبي زيد عُرف باتساعه في اللغات وكثرة رواياته ونقله عن الأعراab ، قال أبو المنهال : « أئمة البصرة في النحو وكلام العرب ثلاثة : أبو عمرو بن العلاء وهو أول من وضع أبواب النحو ، ويونس بن حبيب ، وأبو زيد الأنصاري ، وهو أوثق هؤلاء كلهم وأكثرهم سماعاً من فصحاء الأعراab » ^٧ .

كذلك عرف أبو زيد بسعة حفظه للغة حتى انه يأتى في المرتبة الثانية بعد أبي مالك عمرو ابن كركرة الأعرابى ، وقد عدّه العلماء في مرتبة واحدة مع يونس في العلم باللغات .

(١) أخبار النعوين البصريين لأبي سعيد السيرافي / ٤٠ .

(٢) الاقتراح / ٢٢ تاليف السيوطي .. الطبعة الأولى ، حيدر آباد سنة ١٢١٠م ، والمزهر ١٥٢/١ .

(٣) يونس بن حبيب / ٢٤ تاليف الدكتور حسين نصار ، ط صدر سنة ١٩٦٨م ، اعلام العرب .

(٤) انباء الرواية – القنطرى / ٣٦٦/٢ .

(٥) المرجع السابق / ٣٦٥/٢ .

(٦) انظر البحث من ٥ .

(٧) الاقتراح – السيوطي / ١٠١ .

واعترف يونس بالأخذ عن أبي زيد قال مخاطبنا إيه : « رب علم استفادناه فكنت سببه ». فهل يبقى في النفس شيء بعد أن اعترف له صاحب الشأن بالفضل ووضعه في هذه المرتبة.

وابعاً : وهذه رواية أخرى توضح لنا العقيقة ، نقلها المازني الذي كنا قد اعتمدنا روايته عندما وقنا سنة وفاة أبي زيد بسبب صلته الوطيدة باستاده ، جاء في كتاب مراتب النحوين^١ : « أخبرنا جعفر بن محمد قال : « أخبرنا أحمد بن غياث النحوي قال : أخبرنا عن المازني أنه قال : كل ما في كتاب سيبويه من قوله « أخبرني الثقة » ، وسمعت من أثق به « فهو عن أبي زيد » .

وهكذا أجمعت الروايات التاريخية بمصادرها المختلفة على أن المعنى بعبارة سيبويه « أخبرني الثقة » هو أبو زيد الأنصاري مما يدفع الشبهة التي أثارها المستشرق يوهان فك ، وجعلنا بالتالي نطمئن إلى حد ما – لصحة قوله أبي زيد ، لأننا على الأقل لم نقع على رواية تتعارض معها .

وبعد ، فلا غرو في صدق أبي زيد وأمانته العلمية ، فهذا خلق توارثه عن أجداده ، وقف عمر ابن الخطاب على قبر جده ثابت بن زيد فقال : « رحمك الله يا أبو زيد ، لقد دفن اليوم أعلم أهل الأرض أمانة »^٢ .

ثم إن أبو زيد كان محدثاً روى له أبو داود والترمذى ، واشتغل بتدريس الحديث ومعلوم أن رجال الحديث يلتزمون الصدق والأمانة .

١) مراتب النحوين – أبو الطيب المنورى / ٧٦

٢) طبقات ابن سعد ٢٧/٧

ثقافه أبي زيد ومنزلته العلمية

- دراسته • ثقافه أبي زيد الأجنبية • الرحلة الى الباادية
- شيخوخ أبي زيد • تلاميذ أبي زيد • اتجاه أبي زيد المذهبي • منزلة أبي زيد العلمية

دراسته

نشأ صاحبنا في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من ينشطون للعلم ويتحملون المشاق في سبيل طلبه حتى إذا ما اشتتد عوده تفرغ لعلم الحديث ، وكان لهذا المناخ العلمي أطيب الأثر على الصبي ، فهو يفرغ لطلب العلم منذ نعومة أظفاره .

لم تكن المدارس قد أنشئت في حداثة أبي زيد ، وكان لأبناء الخاصة معلمون يبقون معهم حتى سن متاخرة ، أما أبناء العامة فيتوجهون إلى الكتاب ثم إلى المسجد .

وفي مرحلة الكتاب يتعلم الطالب القراءة والكتابة والقرآن وبعض اللغة وال نحو والعرض إلى جانب الحساب والشعر حسب استعداد المعلم ، يقول الباحث في هذا الصدد : « وكانوا يترَّون صبيانهم الأرجاز ويلعثُّونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الأعراب » ^١ .

ومعلوم لدينا أن أبي زيد في حداثته كان يدرس في كتاب واحد مع أبي محمد اليزيدي والنضر بن شمبل ^٢ .

وهذه المرحلة شاقة يتعرض الطالب فيها للحبس والضرب ، ويتوقف عندها أغلبية المتعلمين ، أما القلة الطموحة من أمثال أبي زيد فإنها تنتقل إلى المسجد ساحة العلم الكبرى .

لم تكن المساجد للعبادة وحدها وإنما تؤدي فيها أعمال مختلفة أهمها أنها كانت أكبر مهد للدراسة ، وأهم مركز للحركة العلمية في عصر أبي زيد .

تعددت حلقات الدرس في المسجد وتتنوعت وذلك أثر من آثار تنوّع العلوم في العصر العباسى الأول ، فشّمة حلقات لتعليم القرآن والحديث ، وحلقات لدراسة الأدب والشعر ، وغيرها يدرس فيها النحو ، وأخرى للكلام .

أما طريقة الدراسة في المسجد فكانت بـان يجلس الشيخ إلى سارية فيتحلق حوله من شاء من طلاب العلم ، ثم يأخذ باملاتهم والرد على أسئلتهم ، أو بمناقشتهم فيما يعرض من مسائل ، دون أن يتقاضى على ذلك أجرا ، ويأتي الطالب إلى حلقة الدرس ، ويخرج منها متى أراد .

١) البيان والتبيين - الباحث ٢٢٢/١

٢) انظر وفيات الأعيان - ابن خلكان ١٢٠/٢

وكان الطلاب الذين يريدون أن يلمع نجومهم من أمثال صاحبنا لا يكتفون بالاستماع إلى استاذ واحد بل ينتقلون من حلقة إلى أخرى كالنحلة الدوّوب .

ويتبين لنا هنا هذا الامر جلياً من نظرة لنقائصها على قائمة أسماء شيوخه العديدين الذين طاف بهم لنفس ثقافته العظيمة واطلاعه الواسع واتصاله بعلماء عصره مما كان له الأثر الكبير في حياته العلمية .

وتجدر الاشارة هنا إلى أن أبو زيد قد يزغ نجمه في هذه العلاقات وهو ما يزال طالباً يتلقى الدرس ، وقصته مع استاذه المحدث شعبة بن الحجاج تشهد بذلك ^١ .

كان لثقافة أبي زيد روافد عديدة اهمها : علوم القرآن الكريم وقراءاته المتعددة وتفسيره واعرائه ، والحديث الشريف رواية وشرعاً ، والشعر العربي ، والنشر الأدبي من حكم وأمثال ، إلى غير ذلك من الوان الثقافات التي كانت سائدة في ذلك العصر .

على أن أهم ما يميز أبو زيد عقليته الغذا التي تمثلت هذه الثقافات المختلفة وطبعتها بطابعه الخاص وانعكست على مؤلفاته الكثيرة والمتعددة ، فكم من عالم عرف علوم اللغة واطلع على فنون المعرفة ولكنها لا يناتي له انشاء فقرة فصيحة أو ادراك الساقط من الشعر أو الكلام .

وامر هام آخر في دراسة أبي زيد وهو ارتحاله في سبيل طلب العلم لاشياع نهمه الذي لا يضع للعلم حدوداً اقلية ، وتلك خاصة تميز بها أبو زيد عن اقرانه وعلماء عصره من البصريين .

فقد ارتحل أبو زيد إلى الكوفة لتفوقها على البصرة في دراسة الشعر وجمعه ، وتلتمذ هناك على المفضل الضبي حيث قرأ عليه دواوين الشعراء ، وروى عنه قراءة عاصم ، وكان لذلك أثر واضح في ثقافة أبي زيد تمثل في امداده اللغة وال نحو بالشواهد التي تفوق بها على غيره ، وأثر بها في تلاميذه والدارسين بعده ، وامتلأت بها كتب اللغة وال نحو بشكل باز .

اما الأثر الآخر لارتحال أبي زيد إلى الكوفة في طلب العلم ، فقد كان في تأثيره بالملهوب الكوفي وجعنه بين المذهبين - البصري والكوفي - مؤسساً للمرسدة البغدادية .

وتبرز أمامنا في هذا المقام مسألة على جانب كبير من الأهمية ، وجدية بلفت الأنظار ، وهي بهذه تكווين بل نفع شخصية أبي زيد العلمية في هذه المرحلة من حياته ، فتاتينا الأنبا، بان أبو زيد قد لقى الإمام أبي حنيفة ، وهو على ما هو عليه من رسوخ قدم وعلو شأن في العلم ، فيروى الإمام حديثنا فيه « يدخل الجنة قوم حفاة عراة منتدين قد أحشتهم النار » ، فيقول أبو زيد : « منتنون قد أحشتهم النار » ، ويستولى الاعجاب على الشیخ فیسال : من أنت؟ ویأتهی الجواب : من أهل البصرة، فيضییف الإمام، أکلّ اصحابك مثلک، فیکون الرد : أنا أخسهم حظا في العلم ، وینهي أبو حنيفة حديثه قائلاً : طوبى لقوم تكون أخسهم ^٢ .

ويرحل أبو زيد إلى بغداد في زمن المهدى ، وهي رحلات علمية فيما فرجع ، حيث لم يكن لأبي زيد اتصال برجال الحكم .

١) انظر تاريخ بغداد - أبو بكر الخطيب البغدادي ٧٨/٩ . روی أن أبو زيد كان عند شعبه ، وضجر شعبه من الحديث ، فرمى بطرفة ، فرأى أبو زيد سعيد بن أوس في أخريات الناس ، فقال : اليه يا أبو زيد ، فجاءه ، وجلما بتناشدان الأشمار .

٢) انظر تاريخ بغداد - أبو بكر الخطيب البغدادي ٧٩/٩ .

ثقافة أبي زيد الأجنبية

لم تتوقف دراسة أبي زيد عند حدود الثقافة العربية ، فقد أوضحتنا سابقاً^١ في حديثنا عن الحركة العلمية في البصرة - في الفترة ما بين الربع الأول من القرن الثاني الهجري وحتى أوائل القرن الثالث - كيف أنها كانت تزخر بالعلم والعلماء ، وكيف أنها كانت مرتعاً خصباً للدارسين حيث امتنعت العربية الأصيلة الممثلة في القرآن الكريم والحديث الشريف والدراسات اللغوية بالثقافة الأجنبية الدخيلة التي تمثلت بما نقل إلى العربية عن الفارسية والهنودية واليونانية حيث نقلت كتب الطب والفلك والأدب والفلسفة بما فيها كتب أرسططيوس الثلاثة في المنطق .

وكان نتاج تلاقي هذه الثقافات ازدهار الحياة العقلية في البصرة ، واقبال الدارسين وخاصة علماء الكلام - فيهم - على هذه الثقافة الواردة لتعزيز علمهم وتقديره حجتهم واستنبطاً لهم .

وكان امتداد الثقافات في وقت نشأت فيه المدرسة النحوية البصرية فلا بد والحالة هذه أن تتأثر بهذا التيار العلمي الدخيلي .

وعلمونا لدينا أن النحوبي يبحث دائماً عن حجة يؤيد بها قوله وذلك أما بالدليل العقل كما في القياس أو النقل كما في السماع أو بهما مما .

وقد سيطرت الفزعنة القياسية على المدرسة البصرية فوصف يونس بن حبيب بأنه صاحب قياس في النحو^٢ ، ووصف ابن أبي اسحق بأنه كان شديداً في التجريد للقياس^٣ .

وأخضع علماء اللغة في البصرة ما وصل إليهم عن العرب لقياس العقل والمنطق وهم وإن أثروا بعلمهم هذا اللغة إلا أنهم قد بعدوا بها عن طبيعتها .

تأثير صاحبنا بهذه الحياة العقلية في البصرة ، ولا بد - والحالة هذه - أن يكون قد شدّاً الولانا من هذه الثقافات الدخيلة لما أوتي من همة عالية ورغبة شديدة في تحصيل العلم ، يدلنا على ذلك عمق ثقافته وغزارة علمه وسعة اطلاعه ، وانعكاس ذلك كله على كثرة مؤلفاته .

وقد أوضحتنا في مكان آخر من البحث^٤ معرفة أبي زيد - التي لم نعرف مداها - بالفارسية والبطانية والعبرية ، وأوردنا الأمثلة التي تبين ذلك ، وقد جاءت هذه المعرفة - ولا شك - نتيجة تأثره بالثقافة الأجنبية والحياة العقلية في البصرة .

خلاصة القول : إن أبي زيد في حياته العلمية اطلع على ثقافات العصر والــ بما تزخر به البصرة من علوم ، وإنه قد بدأ حياته العلمية بالثقافة العربية الخالصة التي قامت حول القرآن الكريم وتقديره وقراءاته المتعددة ، والحديث الشريف وروايته ، والدراسات اللغوية التي قامت لخدمة القرآن والسنة ، ثم اهتم بالثقافة الأجنبية التي اعتمد على ما ترجم من كتب الحكمة والفلسفة والأدب والفلك .

بقي أن نشير إلى دراسة هامة اهتم بها أبو زيد وأمضى سنوات عديدة من عمره في تحصيلها وجاب من أجلها الصحراء ، تلك هي مشافهة الأعراب والرواية عنهم ، وذلك ما سنتناوله في السطور التالية مكملاً للحديث عن ثقافة أبي زيد .

١) انظر البحث من ٤ وما يليه .

٢) انظر أخبار النحوين البصريين لأبي سعيد السيرافي ٢٧/ .

٣) المراجع السابق ٢٠/ .

٤) انظر البحث من ١٥٧ .

الرحلة الى الbadia

اختلط العرب بالأعاجم وغيرهم من أبناء الأمم غير العربية نتيجة الفتح الإسلامي فادى هذا الاختلاط الى فساد ملكة اللسان العربي في المدن والى سقوط الأخذ عن أهلها والاحتياج بكلامهم مما اضطر علماء العربية بدفع من غيرتهم على لغة القرآن وصيانتها أن يضرموا الى الbadia للاستماع الى أهلها الذين سلمت سنته من اللحن .

اهتم العلماء اهتماما بالغا بالرحلة الى الbadia حتى عدوا ذلك من ثقافة العالم ، فكان أن نصح الخليل بن أحمد تلميذه الكسائي بالتوجه الى الbadia يصقل نفسه بعد أن أمضى سنوات في الاستماع الى استاذه والأخذ عنه .

ولقد أثار الكسائي في حضوره الى البصرة لسماع الخليل دعشه احدهم حيث قال للكسائي : تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة .

ويعجب الكسائي بما وصل اليه استاذه من العلم فيسألة من أين أخذت علمك هذا ؟

فيجيبه الخليل : من بوادي العجاز ونجد وتهامة ، فيخرج الى الbadia ويرجع وقد أنفق خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ .

ومن أجل ذلك تنافس علماء اللغة من بصرىين وكوفيين في الرحلة الى الbadia والأخذ عن العرب ، واشتهر بينهم في هذه الرحلة أبو زيد الانصاري ، فهو يصرح في أول كتابه *النوادر* ^١ بأن ما كان فيه من اللغات وأبواب الرجز بذلك سماعه من العرب .

وقد أورد المؤرخون الذين ترجموا لأبي زيد أكثر من عبارة تدل على قيامه بهذه الدراسة ، وصفه الأزهري بأنه « كثير السماع عن الأعرب » ^٢ ، وقال عنه السيرافي بأنه « كثير السماع من العرب » ^٣ ، وروى أبو الطيب اللغوي بأنه أحفظ الناس لغة بعد أبي مالك وأكثرهم أخذها عن الbadia .

وكان أن نزل بعض أعراب مصر مثل عقيل وقشير بالبصرة من محل أصايبهم فتعلم عندهم أبو زيد .

ويريحتنا أبو زيد عندما يقول : « ما أقول قالت العرب الا اذا سمعته من عجز هوازن وبنى كلاب وبني هلال او من عالية السافلة او من سافلة العالية والا لم أقل قالت العرب » ^٤ ، فيبين لنا بذلك القبائل العربية التي طاف بها في رحلاته ، وتجدر الاشارة الى أن هؤلاء الذين ذكرهم أبو زيد هم أقصى الناس كما يقول السيوطي ^٥ .

وتبرز لنا في رحلات أبي زيد الى الbadia مسألة هامة تبين لنا مدى ما يتمتع به الرجل من شخصية قوية وعقل حر ورأي مجتهد في رسم منهج مستقل له ، فقد كان رحمة الله - مع تحريره

١) انظر معجم الأدباء - ياقوت ١٦٩/٣ .

٢) انظر *النوادر* في اللغة لأبي زيد الانصاري ١/

٣) تهذيب اللغة ١٢/١

٤) أخبار التعوين - أبو سعيد السيرافي ٥٤

٥) مراتب التعوين - أبو الطيب المنور ٤١/

٦) المراجع السابق ٩٠

٧) المزهر - السيوطي ٤٨٣/٢

الشديد و توثيق الناس له يوسع دائرة من يؤخذونهم و يروي ما سمعه ولو كان غريباً نادراً ، ولذلك انفرد باشياء ، وكان ما روى عنه من اللغة كثيراً ، بعكس زميله الأصمعي الذي كان يضيق دائرة الأخذ ولا يجواز الا أصح اللغات .

ويضاف لما تقدم مسألة أخرى تميز بها أبو زيد عن كثير من علماء عصره وذلك أن خروجه للبادية كان خروجاً جاداً يهدف إلى جمع اللغة ورواية نادرها وغريبها حتى غالب عليه ذلك ، ولم يكن خروجه سعياً إلى جمع ما يروج في قصور الخلفاء عند سررهم و مجالس أنسهم .

وكان أيضاً ينشر ما يسمعه من الأعراش بين الناس ولم يكن ضئيناً كخلف الأحمر ، روى الجوهري ^١ : « قال أعرابي بمحضر من أبي زيد الأنصاري ، ما خيرَ اللَّبَنَ لِلمرِيضِ ، بِنَصْبِ (خير واللبن) فقال خلف ما أحسنها من كلمة لو لم تدنسها باسمها الناس ، قال شمر وكان خلف ضئيناً ونشر أبو زيد في الناس ، فلم يستطع خلف أن يحتفظ بها لنفسه » .

وهو في خروجه منطعث للعلم يسأل في المسألة غير واحد من العرب من يوثق في عربيته . ويلوح في سؤاله ولا يقنع بالإجابة الأولى ، حتى أبو حاتم عن أبي زيد أنه قال : « قلت لأعرابي ما المتكاكى قال المتأذف قلت وما المتأذف قال المحبنطي قلت وما المحبنطي قال أنت أحق ومضى ^٢ .

فانت ترى معي كيف أن أبي زيد يكتثر من السؤال ليجمع مزيدها من الألفاظ التي تجتمع على معنى واحد ، مما يدل على تتبّعه لهذه الظاهرة اللغوية - الترافق - ويبين أيضاً جدية خروجه لجمع الفاظ اللغة .

وقد أكسيته كثرة تنقلاته في البادية ولقاءاته بالأعراش خبرة في مناقشتهم واجراء الحوار معهم ، فهو يقول لمن تجمهر من العلماء حول أعرابي فصيح مستوحش من الناس دعوني أأسأله وأتول السؤال فانا أرفق به ^٣ .

كما أكسيته تلك الرحلات معرفة دقيقة بلغات العرب وكلامهم ، أنشد لرجل منبني عقيل :

الَّمَّ تَعْلَمَيْ مَا طَلِيلٌ بِالْقَوْمِ وَاقْفَا عَلَى طَلْلَلْ أَضْحَتْ مَعَارِفَهُ قَفْرَا

ثم عقب عليه بقوله : فكسروا الظاء في انشادهم وليس من لفتهم ^٤ ، مما يدل على معرفة أبي زيد بكلامهم .

وتصور لنا الأخبار المروية العلاقة بين أبي زيد والأعراش وكيف كان يسلك الوسائل المختلفة للحصول على ما يريد ، فكان أحياناً يقتصر على الاستماع إليهم دون أن يتدخل في شيء إلا أن يسجل ويروي ما سمع كأن يقول : « سمعت أبا مرة الكلابي وأعرابياً منبني عقيل يقولان : فكاك الرقبة (بفتح الفاء) وقال غيرهما فِكاك (يكسر الفاء) ^٥ .

١) مقدمة الصحاح ٢٩/١ ، ٢٠ تاليف الجوهري تحقيق احمد عبد الفتاح عطار . مني بنشره السيد حسن شربيل . مطابع دار الكتاب العربي بمصر .

٢) نزهة الألباء ٨٦/٨٦ تاليف أبي البركات كمال الدين بن الأنباري تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، ط بنداد سنة ١٩٥٩ م .

٣) مجالس العلماء ١٤٢/١٤٢ تاليف الزجاجي ، تحقيق عبد السلام هارون ، الكويت سنة ١٩٦٢ م .

٤) لسان العرب / ليفي

٥) اصلاح الملنون / ٩٨ تاليف ابن السكك ت تحقيق احمد شاكر و زميله ، الطبعة الثالثة مصر سنة ١٩٧٠ م .

وفي بعض الأحيان يستدرج الأعراب للكلام ، فقد حضر عنده أعرابي فقال له أبو زيد : أنتم أهل خشونة يا أهل البدية ، ونحن أهل لين وغزل فقال الأعرابي : كيف تكونون أغزل منا وفيينا من يقول :

هيفاءً مُقبِلَة عَجَزَاءً مُهَبِّرَةً
غَرَّاءً كَالْقَمَرِ الشَّهُورِ طَلَعَتْهُ
مَا لَأَنْ قَلْبِي لَنَاهُ عَنْ مَوَدَّتِهَا
وَهَلْ يَلِينُ لِقَوْلِ الْوَاعِظِ الْحَجَرِ
قال أبو زيد : فكتبنا ^١ .

لكن أبا زيد في أحيان كثيرة يلتجأ إلى السؤال المباشر كان يقول : سالت أعرابيا ٠٠٠ وقلت لأعرابيا ٠

وقد وصل اليانا أسماء بعض الأعراب الذين اتصل بهم أبو زيد وأخذ عنهم : يأتي في مقدمة هؤلاء العجاج ، فقد بلغ من شدة اعجاب أبي زيد به أنه كان يروي قصائده ويلقنه لطلابه .

أما علاقة أبي زيد بروبة بن العجاج فقد فاقت علاقته بوالده وكثير اتصاله به إلى حد أنه كان يستوقفه في الطريق ويستنشده الشعر ليكتبه ^٢ ، حتى عرف عنه كثرة مشافهته له وسماعه منه ، روى أن أبا حاتم عندما اختلف مع شيخه الأصمعي في رواية بيت من الشعر ، قال له : أخبرني به من سمعه من فلق في روبة ، يعني أبا زيد الانصاري ^٣ .

وكان أبو زيد إلى جانب روايته الشعر عن روبة يروي عنه اللغة أيضا . وبلغت هذه العلاقة إلى حد أن أبا زيد كان يتتبع روبة ويروي أخباره .

ولعل أبا زيد في صلته بروبة وكثرة أخذه عنه متأثراً باستاذته يونس بن حبيب الذي كان شديد الاختصاص بروبة بن العجاج حتى قال عن نفسه انه غلام روبة .

وأتصال أبو زيد بأبي الدقيش الأعرابي وكان أنصح الناس ، ولازمه وزاره في مرضه .

كما كانت لأبي زيد صلات بالمنتزع الأعرابي وأبي خيرة العدوى فقد روى عنهم .

ويضيف المؤرخون أسماء عدد من فصحاء الأعراب أخذ منهم أبو زيد مثل أبي مهديه وأبي طفيلاه وأبي البيداء وأبي مالك عمرو بن كركرة .

ورأى أبو زيد في كتابه *النواود* في اللغة يروي عن عدد من الأعراب ، أذكر منهم : أبا المضاء الكلابي ، وأبا السمسال العدوى ، والعلاء ، والحرمازى والعلكل ، والحجاج الكلابي ، وأبا مرة الكلابي ، وأبا العامرية التميري ، وأبا الصقر ، والغاضري ، وأبا الضبيب ، وأبا الساج وأبا السمح والصقيل .

ونعيد إلى الأذهان ما سبق قوله من أن عامة هذا الكتاب من سمعان أبي زيد عن العرب باستثناء ما أنشده عن المفضل .

(١) نور القبس ١٠٥/١٠٦

(٢) المرجع السابق ١٠٧/١٠٧

(٣) الفصانص ٢٩٤/٣ تاليف أبي الفتح عثمان بن جنى ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٦هـ - سنة ١٩٥٥م .

لم يكن أبو زيد يقصر جهوده على هؤلاء بل كان دائم البحث عن المعرفة فهو يلتقي بالأعراب في حلقة استاذه يونس في مسجد البصرة ، وفي حلقة استاذه المفضل في مسجد الكوفة كما يلتقي بهم في حلقة عندما يجلس للتدريس في مسجد البصرة .

تبين من هذه الأخبار مقدار ما كان يبذله أبو زيد من جهد في سبيل تحصيل علوم العربية التي أخلص لها وأفني عمره الطويل من أجلها ، لا يشغله عنها شاغل ، فإذا أضيف إلى ذلك عقلية واعية وهمة عالية كانت الحصيلة علماً من أعلام العربية اقترب اسمه بها على مر الأيام والعصور .

شيوخ أبي زيد ومن أخذ عنهم

طاف أبو زيد بأشياخ كثريين لارضاء رغبته الشديدة في تحصيل العلم وكان بعض شيوخه علماء في النحو واللغة ، في حين كان الآخرون أئمة في الحديث .

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء عديدة من شيوخ أبي زيد وإن لم تأت عليهم كلهم : فمن شيوخه في الحديث : حميد الطويل (ت سنة ١٤٢هـ) ، وسليمان التيمي (ت سنة ١٤٣هـ) ، وعمرو بن عبيد (ت سنة ١٤٣هـ) ، وعبدالله بن عون (ت سنة ١٥١هـ) ، وسعيد ابن أبي عروبة (ت سنة ١٥٧هـ) ، وشعبة بن العجاج (ت سنة ١٦٠هـ) ، وقيس بن الريبع (ت سنة ١٦٨هـ) .

وهؤلاء لم يكن لهم كبير اثر في أبي زيد الانصاري ، فقد اقتصر اثرهم في ظهور التزعة السلفية عند أبي زيد وفي ميله إلى التعرى واللذة ، وفي ارتعاله في سبيل طلب العلم .

اما شيوخه في النحو واللغة فيأتي في مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء والمفضل الفسي ، وسوف نبرز اثرهما الواضح في أبي زيد الانصاري في حديث لاحق ، حيث يمثل الشیخان التزعيین البصرية والکوفية في منهج أبي زيد .

ومن شيوخ أبي زيد في النحو واللغة : الخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب وعيسي بن عمر الشقفي وأبو الخطاب الأخفش الأكبر ورؤبة بن العجاج وأبو السمال قعنب المدوى .

اما الخليل بن أحمد فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه ، وقد قاتر أبو زيد في منهجه بالخليل في حسن استعماله للقياس ، حيث كان لأبي زيد بما أفاده من استاذة ، فضل معرفة باستعمال القياس .

كما اعتمد أبو زيد على الخليل في النحو ، فكان يعرض على شيخه ما يعترضه من مسائل نحوية ، كان يقول سالت الخليل عن الذين قالوا : مررت باخواك وضررت أخواك^١ ، أو أن يقول : قلت للخليل لم قالوا في تصغير واصل أو يصل ولم يقولوا ووصل^٢ .

والأمثلة على ذلك كثيرة وهي في مجموعها تبين مدى ما أفاده أبو زيد في هذا المجال من شيخه الخليل امام النحو في عصره .

١) المصنف ٢٠٣/١ لأبي الفتاح مثنا بن جنى ، تحقيق ابراهيم مصطفى وزميله طبعة مصر الاولى سنة ١٩٦٠ .

٢) العقد الفريد ٤٨٤/٢ تأليف ابن عبد ربه الاندلسي . طبعة القاهرة سنة ١٩٤٢ م .

وقد كانت لأبي زيد مكانة سامية عند الخليل ، حيث كان الخليل يأخذ رأيه فيما يعرض عليه من مسائل اللغة^١ .

اما يونس بن حبيب فالمعروف ان النحو قد غالب عليه ، وكان له قياس فيه ، ومذاهب يتفرد بها ، وبذلك عرف بتحرره .

واختلف أبو زيد الى حلقة يونس بن حبيب عشر سنين ، وكان الشيخ يعظم مكانة تلميذه ، وطبعي ان يتأثر أبو زيد والحالة هذه باستناده . وكان أهتم ما أفاده منه تعروره في منهجه وانفراده باراءة يميز بها عن شيوخه ومعاصريه على نحو ما سبقناه لنا في مذهبه في النحو واللغة .

واقتصر اثر عيسى بن عمر في أبي زيد الأنصاري على احتفائه بالغريب ، وتقعره في اللغة .

اما شيوخ أبي زيد الآخرون فلم يكن لهم فيه كبير اثر وقد اوضحتنا تأثر أبي زيد بروبة بن العجاج في مكان آخر من البحث^٢ ، وحان الوقت لكي نبرز اثر شيوخيه الكبارين : أبي عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي .

اثر أبي عمرو بن العلاء في أبي زيد الأنصاري

أبو عمرو بن العلاء أمير القراء السبعة ، وعلّم من أعلام القرآن ، والى قراءته صار أهل البصرة أو أكثرهم^٣ .

وكان الى جانب ذلك من أعلم الناس بالفاظ العرب ونواذر كلامهم وفصيح اشعارهم وسائل امثالهم .

وفي منهجه في اللغة ، كان اشد تسلیماً للعرب ، فقيها بالعربية متسلماً بالآثار ، لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله ، وكان حسن الاختيار غير متكلف ، قدوة في العلم واللغة ، امام الناس في العربية ، مقدماً في عصره ، فكان بحق سيد العلماء .

وقد أخذ عنه البصريون والковييون من الأئمة الذين صنفوا الكتب في اللغات وعلم القرآن والقراءات ، ومنهم أبو زيد الأنصاري .

كان أبو زيد من جلة اصحاب أبي عمرو ، فلا غرو أن نرى اثر أبي عمرو فيه واضحًا في أكثر من مجال .

فقد كان أبو عمرو كما أسلفنا من الأعلام في القرآن ، وقد ظهر اثر ذلك في كثرة اهتمام أبي زيد بالقرآن قراءة وتفسيراً واعراباً ، الى حد أنه ألف كتاباً في قراءة أبي عمرو مما يدل على عظيم تأثيره به ، كما ألف كتابين آخرين في معانى القرآن وغريبه .

اما في مجال الحديث الشريف فتروى كتب التراجم لنا ان أبي زيد روى الحديث عن أبي عمرو ابن العلاء^٤ .

١) انظر المزهر / السيوطي ٤٠٢/٢

٢) انظر من ٢٢

٣) تهذيب التهذيب - ابن حجر ١٨٠/١٧

٤) معجم الادباء - ياقوت ٢١٦/١٠

اما الأثر الكبير الذي خلّقه أبو عمرو في أبي زيد فكان في مجال اللغة ، والى جانب الروايات اللغوية الكثيرة ، والشواهد الشعرية التي يرويها أبو زيد عن أبي عمرو نجد أثر أبي عمرو واضحًا في منهج أبي زيد اللغوي ، وذلك في ظهور النزعة السلفية عنده ، واهتمامه الكبير بالأثر وتقديمه السمع ، وسوف نفصل ذلك في حديثنا عن منهج أبي زيد اللغوي .

ويأتي احتفاء أبي زيد بالغريب دلالة واضحة على تأثيره بتأستاده مما أكسبه معرفة أوسع بكلام العرب ومذاهبيهم .

والحق أن أبي زيد قد أفاد كثيراً من شيخه أبي عمرو بن العلاء ، فإذا أضفنا إلى ذلك عقلية فذة وشخصية مستقلة نتبين أثر ذلك في تكوين منهج مستقل ومدرسة جديدة .

أثر المفضل الضبي في أبي زيد الانصاري

اشتهر المفضل الضبي بكثرة روايته للشعر ، وكان أوتى من روى الشعر من الكوفيين إلى حد أنه كان يتحرّج من قول الشعر مع علمه به ، وقد قيل له : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ فقال : علمي به يمنعني من قوله . ولأمانة المفضل في رواية الشعر قال عنه محمد بن سلام الجمحي : أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي .

وقد ظهر أثر ذلك كله واضحًا في تلميذه أبي زيد حيث روى عنه شعراً كثيراً ، وقد اعترف أبو زيد في مقدمة كتابه النواودر بأن ما جاء في الكتاب من شعر فهو سماعه من المفضل الضبي ، وقد ورد في الكتاب ثلاثة أبواب من الشعر ، سوى ما روى عنه متناهياً في أبواب الرجز . والحقيقة أن أبي زيد قد أفاد كثيراً من كثرة الأشعار التي رواها عن المفضل حيث استطاع أن يمد اللغة بالشواهد الشعرية ، فكان له من الشواهد ما ليس لغيره .

وكان المفضل إلى جانب علمه بالشعر عالماً بالنحو واللغة والغريب وأيام الناس ، وكان أحد الأئمة الفضلاء للنحو .

وعلى ذلك ، فإن أثر المفضل الضبي في أبي زيد لم يتوقف عند حد رواية الشعر ، بل تعدى هذا الأثر إلى ميدان اللغة والنحو ، فقد أفاد أبو زيد من الأعراب الذين يحضرون حلقة المفضل ، ومن المناقشات النحوية واللغوية التي كانت تدور في هذه اللقاءات . ونقل لنا بعض آراء المفضل في النحو .

على أن أهم أثر للشيخ في تلميذه كان في تأثير أبي زيد بالمنهج الكوفي وسوف يأتي الحديث في منهجه النحوي عن أن أبي زيد قد مزج بين المنهجين الكوفي والبصري مكوناً المدرسة البغدادية .

وفي مجال القرآن اتّخذ أبو زيد المفضل الضبي طريقاً لرواية قراءة عاصم بن أبي النجود . وأخيراً فاننا نجد أبي زيد يعني بنقل أخبار المفضل ، وذلك يظهر لنا مدى قوة اتصاله وتأثيره .

تلاميذ أبي زيد

بدأ أبو زيد الانصاري حلقاته في سن مبكرة ، ومع أن كتب التراجم لم تشر إلى السنة التي بدأ فيها التدريس إلا أن ابن خلكان أشار إلى أن عدداً من طلاب أبي عمرو بن العلاء الذين لازموه طويلاً أقاموا حلقاتهم بعد وفاته سنة ١٥٤هـ ، ولما كان أبو زيد من جلة أصحاب أبي عمرو فنعن لا تستبعد والحاله هذه أن يكون أحد هؤلاء فيكون عمره إذ ذاك اثنين وثلاثين عاماً .

وقد طال عمر أبي زيد حتى قارب المائة ، فطال تبعاً لذلك عمر حلقاته حتى قال الأصمعي ^١ أنه جلس إليه ثلاثين سنة ، وقال خلف ^٢ الأحمر أنه جلس إلى أبي زيد عشرين سنة .

وربما مال بنا الظن إلى أن الأصمعي أو خلفاً الأحمر قد بالغا في قولهما أو تهاونا في ذكر السنين ، ولكن هذا الظن سرعان ما يتبدد إذا عرفنا أن أبي زيد عاش قرابة قرن من الزمان وأنه بقي مخلصاً لحلقاته ملازماً لها حتى أواخر عمره على ما روى لنا التوزي ^٣ .

وقد كانت حلقة أبي زيد في المسجد يؤمها الناس ، ويفد إليها الأعراب من البدية وتتنوع فيها مادة الدرس ، فيدرس فيها الحديث ، كما تدرس اللغة والنحو ، وعلوم القرآن ويلعّم النساء .

غير أن الهدف الأول الذي رمى إليه كل الذين قصدوا الحلقة هو « علم العربية » الذي برع فيه أبو زيد ، ووصل فيه مكانة سامية حتى عدَّ أحد أئمة البصرة الثلاثة في هذا العلم ^٤ .

وكان أبو زيد بالإضافة إلى سعة علمه وشهرته الواسعة جميل الخلق معبياً ، فلا عجب والحاله هذه أن تعظم حلقاته وأن يتواتد إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب .

وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء العديد من تلاميذ أبي زيد الذين جلسوا في حلقاته وأخذوا منه أخذنا مباشراً ، لكنها لم تحصرهم ، وقد وقعت على أسماء اثنين وأربعين منهم .

وكان الرجل محظوظاً فيهم فبرز منهم كثيرون في علوم شتى : فقد اشتهر منهم في اللغة : أبو حاتم السجستاني والتوزي والرياشي واللعياني والزيادي .

واشتهر منهم في النحو : سيبويه وأبو عنمان المازني وأبو عمر الجرمي واشتهر من تلاميذه في الأدب والأخبار : الجاحظ ، وعمر بن شبة ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف ببابي العيناء .

وأورد ابن الجزرى جماعة من تلاميذه في قراءة القرآن أذكر منهم : خلف بن هشام البزار . ومحمد بن يحيى القطعى ، وأبا حاتم محمد بن أدريس الحنظلى وسليمان بن أيوب .

وفي الحديث روى عنه أبو حاتم السجستاني واعتُد بروايته عنه ، ومن الشعراء المشهورين الذين تلهمذوا عليه : أبو نواس .

١) انظر تاريخ بغداد - الخطيب البندادى ٧٧/٩

٢) انظر ص ١٥ من البعث .

٣) الافتراج - السيوطي ١٠١/١

وبطبيعة الحال لن يتأتى لى الحديث عن جميع تلاميذ أبي زيد لأن ذلك يحتاج الى مجلدات ضخمة ، لذلك سوف أضرب صفحًا عن الكلام عن تلاميذه في الحديث والقرآن ، فليس من شأن البحث الخوض في هذا المجال .

وسيقتصر الحديث على تلاميذه في اللغة وال نحو ، حيث أخض ثلاثة منهم ، بابراز اثر أبي زيد فيهم ، أحسب أن اثره عندهم كان أوضح من غيرهم ، ومؤلء الذين سيتناولهم الحديث هم سيبويه وابو حاتم السجستاني وابو عثمان المازني .

اثر أبي زيد في سيبويه

اما سيبويه فقد جلس الى أبي زيد في حلقة ، وعد الأستاذ على الجندي ناصف ابا زيد من شيوخ سيبويه الذين اعتمد عليهم في تاليف كتابه ^١ .

لكتي وجدت اثر أبي زيد في سيبويه ضئيلا في مجال النحو نظرا لاختلافهما في مذهبهما النحوي ، فقد كان أبو زيد على نحو ما سنتين في مذهبه النحوي ^٢ يتفق مع الكوفيين في بعض جوانب مذهبة ، ويقول بالقياس على الشاذ ويطبقه في منهجه ، ويحترم السماع ويستفهم العربية في تفسير المسائل النحوية بدلا من اللجوء الى التعليل وتحكيم الأصول .

في حين كان سيبويه يرفض القياس على الشاذ ، ويعتبر القواعد فيما يروى عن العرب ، ويرفض من السماع ما لا يتفق مع أصوله .

وتحدثنا الروايات عن لقاء بين أبي زيد وسبويه حيث يقول أبو زيد ^٣ : سمعت من العرب من يقول قررت وتوصيت ، فيقول سيبويه كيف تقول منه يفعل فقال أقرأ ، فقال لا ينبغي أن تقول أقرأ يريد سيبويه أن هذا ابدال لا قوة له ولا قياس يوجبه ولو كان على القياس لوجب أن تخرج الكلمة الى ذات الياء فيقول أقري كما تقول رميأ أرمي .

ومصدر الخلاف بين الشيخ وتلاميذه في هذه المسألة - وفي أمثالها بالطبع - أن الشيخ قدم السماع واحتكم الى الاستعمال لأنهم لا يقولون في المستقبل الا يقرأ ^٤ ، في حين أن سيبويه يحتكم الى المنطق والأصول النحوية ويرفض من السماع ما يخالفهما .

ومن أجل ذلك كان الخلاف بين مذهبهمما جذرية فضعف تأثر التلميذ بشيخه في مجال النحو .

لذلك فقد اقتصر اثر أبي زيد في سيبويه على مجال اللغة ، فعامة ما يرويه في الكتاب عنه ائمأة هو لغويات ، كان يقول سيبويه ^٥ : « وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول : رويد نفسه ، جعله مصدرا كقوله : فَضَرَبَ الرَّقَابَ » ^٦ .

(١) انظر سيبويه امام النعجة - على الجندي ناصف / ٤٢
(٢) انظر البحث من ١١٠ وما بعدها .

(٣) انظر الصناعة / ٢٧٦ تاليف ابن جني . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لة

(٤) انظر لسان العرب / قرا

(٥) كتاب سيبويه ، ٢٤٥/١ تحقيق عبد السلام هارون ، طبعة مصر سنة ١٩٦٦ م .

(٦) سورة محمد / ٤

أو أن يقول^١ : « وزعم من نشق به أنه سمع رفيبة يقول : هذا غلام لك مقبلا جعله حالا ولم يجعله من اسم الأول . »

وقد تتبعنا مضمون روايات سيبويه عن أبي زيد في بعض مطانها أملا في أن تكشف لنا صفة أبي زيد عند سيبويه وأنه المعنى بها ، لكنني وجدت العلماء – وفي مقدمتهم أبو سعيد^٢ السيرافي شارح الكتاب – ينقلون هذه الروايات من الكتاب كما أوردها سيبويه دون أن يكشفوا لنا حقيقتها مما يجعلنا نكتفي بما صرحت به الروايات التاريخية التي أجمعـت على أن أبا زيد هو المعنى بعبارة سيبويه .

أثر أبي زيد في أبي حاتم السجستاني

كان أبو حاتم عالماً بالقرآن واليه نسب نفسه^٢ ، كما كان اماماً بارعاً في اللغة والشعر في نهاية الثقة والاتفاق ، حسن العلم بالعروض وآخر المعمي ، يقول الشعر الجيد ويصيّب المعنى ، لكنه لم يكن بالحاذاق في النحو ، فكان اذا اجتمع بأبي عثمان المازني في دار عيسى بن جعفر الهاشمي تشاగل او بادر بالخروج خوفاً من أن يسأله عن مسألة في النحو^٣ .

يضاف. لِمَا تقدم أن أبا حاتم كان جمئاً للكتب يتبحر فيها ، كما كان كثير التاليف في اللغة ، وكتبه في نهاية الاستقصاء والحسن والبيان .

كان أبو زيد يرى في تلميذه أبي حاتم حبه للعلم وبراعته في اللغة فقرب به إلى نفسه وانعكس أثر ذلك على أبي حاتم في كثرة سماعه لأبي زيد حتى أنه يسمع المسألة الواحدة مائة مرة كما يروى عن نفسه .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم كان يرفع من شأن استاذة ابى زيد ، ويدفع عنه تهمة القدر ، ويونقه في حماس ، ويدعو له بطول العز .

وكان ثمار هذا الاتصال الوطيد وتلك العلاقة المتنامية بين الشيخ وتلميذه ازدياد التأثير في أكثر من مجال .

ففي مجال علم القرآن الذي نسب أبو حاتم نفسه إليه ، رأيته ينقل عن أبي زيد روايات في معاني القرآن واعرابه ، كما يروي القراءة عنه ، ولا غرو في ذلك فقد كان أبو زيد علّاما في القرآن .

وكان من ثمار تأثير أبي حاتم بابي زيد أنائف كتابا في القراءات ، فكان مما يفخر به أهل البصرة حيث كان أهل كتاب صنف في هذا النوع إلى زمانه .

اما في ميدان اللغة فقد بلغ اثر أبي زيد في أبي حاتم الذروة ، ونستطيع ان نلمس ذلك بوضوح اذا ما نظرنا الى كتاب **الأقصناد** لأبي حاتم حيث نشاهد كثرة الروايات عن أبي زيد الى حد يجعلنا على يقين ان أبي زيد كان مصدراً مهماً من مصادر الكتاب .

۱) کتاب سیبیویہ ۱۱۲/۲

٢) انظر شرح الكتاب ٥٥/٢ ، ٦٥ تأليف السيرافي ، مخطوطلة بدار الكتب رقم ١٣٧ نوع

^٢ الأذكياء / ٥٧ تاليف أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، ط بيروت - لبنان .

٤) انظر وقيات الاممانيان - ابن حلكان ١/٣٩٠

^٥) النواود في اللغة - لأبي زيد/ ١٣٦ ، طبعة بيروت سنة ١٩٦٢ م .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد كثرت الروايات المغوية التي يرويها أبو حاتم عن أبي زيد ، كما تعددت الشواهد التي ينقلها عنه ، خاصة وان لأبي زيد من الشواهد ما ليس لغيره ، وقد ظهر كل ذلك واضحا في كثير من كتب اللغة : اذكر منها على سبيل المثال كتاب الأضداد لأبي الطيب^١ المغوي ، وكتاب المغاني الكبير^٢ لابن قتيبة ، ومعجم لسان العرب^٣ لابن منظور^٤ .

وينقل أبو حاتم عن أبي زيد الغريب النادر لأن أبي زيد كان من أشهر البصريين في روايته والاحتفاء به ، جاء في كتاب المزهر للسيوطى^٥ : « قال سيبويه : لا نعلم في الكلام أفعاله إلا يوم الأربعاء ، قال ابن قتيبة وقال لي أبو حاتم ، قال لي أبو زيد قد جاء الأربعاء وهو الرماد العظيم » .

والحق أن أبي حاتم كان يعرف تماما اثر شيخه في ظاهرة النوادر في اللغة ، ويعلم مكانته المرموقة فيها ، ولأجل ذلك فقد أكب على كتابه النوادر ، وقام بشرحه ، لأجل ان تتحقق له الفائدة المرجوة منه .

وكان أبو حاتم يفرغ الى شيخه كلما غمض عليه معنى بيت من الشعر لأنه يعرف مدى سعة علم شيخه بكلام العرب ، حدث صاحب الأغاني أن بشار بن برد قال في دَيْسِمِ العِنْزِيِّ^٦ :

أَدَّيْسَمْ يَا بَنَّ الذَّئْبِ مِنْ نَجْلِ زَارِعِ أَتَرْزُوْيِ هَجَائِيْ سَادِرَا غَيْرَ مُنْصَرِ

قال أبو حاتم : فانشدت أبي زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه .

ويأخذ رأي استاذه في الشعراء ومتذلتهم فيسأله أيهما اشعر بشار أم مروان ؟ فيجيب مروان أجد بشار أهزل^٧ .

وهكذا فقد أفاد أبو حاتم كثيرا من شيخه في مجال الشعر حتى أصبح اماما بارعا فيه . وقد بلغ تأثير أبي حاتم بأبي زيد في مجال اللغة الى حد جعله يقدم روايته ويعتمدتها فيرد ما يخالفها ، قال أبو حاتم ، حدثني أبو زيد سعيد بن اوس الانصاري قال : العوّا مقصور مؤنث : اسم كوكب لا يمتد ، فانشدني عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير شعرا فمدة العوا ، فرددته عليه ولم أقبله منه ولم أتفق بعلمه في ذلك^٨ .

وقد دفعه هذا الأمر الى ان يناقش استاذه الأصمعي فيما يرويه مقدما رواية أبي زيد ، موردا الأدلة على صحتها ، قال أبو حاتم :

قرات على الأصمعي رجز العجاج حتى وصلت الى قوله :
جابا ترى بليتَه مُسَحَّجا

(١) على سبيل المثال / ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥٦ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٧١ ، ٥٦١ ، ٥٦٦ .

(٢) على سبيل المثال ١٨١/١ ، ٣٧٦/١ .

(٣) على سبيل المثال / رثث ، سجع ، انس ، فيض ، شطط ، صبغ ، هنم ، جبل ، ألم .

(٤) ٥٠/٢ .

(٥) انظر الأطافى ١٤٦/٣ تاليف أبي الترج الأصبهاني ، طبعة بيروت سنة ١٩٥٥ .

(٦) المرجع السابق ١٤٣/٣ .

(٧) مجالس العلماء للزجاجي / ١٩٣ .

فقال : تليله مسحجا ، فقلت : بليته ، فقال : هذا لا يكون ، فقلت له : أخبرني به من سمعه من فلق في رؤبة ، أعني أبا زيد الانصاري ، فقال هذا لا يكون . قلت : جعل مسحجا مصدرأ أي تسعحجا فقال هذا لا يكون . قلت : فقد قال جريرا :

اَلَّمْ تَعْلَمَ بِمُسْرِحِيِّ الْقَوَافِيِّ

أي تسرحي ، فكانه توقف . قلت : فقد قال تعالى : « وَمَرَّ قَنَاهُمْ كُلُّ مُمْزَقٍ » ^١ فامسك .

فانت ترى معي مقدار تأثر أبي حاتم بأبي زيد الانصاري وتعلقه بآرائه وتحمسه لاقامة الدليل على صحتها مما يبرز عظيم الفائدة التي جناها أبو حاتم من شيخه أبي زيد .
هذا ، ولم يقتصر تأثر أبي حاتم بأبي زيد على الرواية عنه ، بل ان أبا حاتم قد اتخذ شيخه طريقا في الرواية عن يونس وأبي عمرو بن العلاء ^٢ .

أثر أبي زيد في أبي عثمان المازني

كان أبو عثمان المازني من فضلاء الناس وعظمائهم ورواتهم وثقائهم ومن أهل القرآن ، حاذقا جيد الحفظ والفهم ، كثير الرواية متسعها فيها ، يتشبه بالفقهاء ، لا يناظره أحد إلا قطعه لقدرته على الكلام ، اذا ناظر أهل الكلام لم يستعن بشيء من النحو ، وذاذا ناظر أهل النحو لم يستعن بشيء من الكلام .

وقد ناظر الأخفش في مسائل كثيرة فقطعه ، فكان اذا التقى به تنساً على الأخفش أو بادر خوفا من ان يسأل المازني عن النحو .

وقد احتل المازني مكانة سامية بين علماء عصره ، فكان علامة زمانه ، وشيخ النحاة بعد سيبويه ^٣ .

وقد أخذ المازني اللغة عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الانصاري ، وقرأ كتاب سيبويه على الأخفش .

لكن أبي عبيدة كان قد منعه من الجلوس إليه فترة لأن المازني كان قد أومأ إلى غلط أبي عبيدة في مسألة فاثمار بذلك غضبه ، فانصرف المازني وحمل إليه اخوانه ^٤ .

وقد رمى المازني عند الأصمعي السنّي بالقدر والميل إلى مذاهب أهل الاعتزاز ، فكان اذا أقبل عليه أطبق الأصمعي تعليه وقال : نعم القناع للقدري ، فقلّل غشيانه ، وقلّلت لذلك روايته عنه ^٥ .

وفي حين كثرت المناقشات والمناظرات بين أبي عثمان المازني وبين الأصمعي وأبي عبيدة لم يحدث صدام أو نقاش أو مناظرة بينه وبين أبي زيد الانصاري .

١) سورة سبا / ١٩

٢) انظر شعر الدو في تداخل الكلام - أبو الطيب اللنوي / ١٧٤ ، ١٧٥ ، تحقيق محمد عبد الجواد ، طبعة دار المارف بمصر سنة ١٩٥٦م .

٣) انظر بقية الوهأة - السيوطي ٤٦٤/١

٤) مجمع الأدبياء - ياقوت ١٢٥/٧

يضاف الى ذلك أن أبا زيد كان أعلم من أبي عبيدة والأصمعي في النحو ، وكان يحفظ ثلاثي اللغة كما قيل .

ومن هنا جاء اعتماد أبي عثمان على أبي زيد الانصاري في اللغة وتأثيره به ، وكثرة رواياته عنه ، وملازمته له .

والحق يقال : ان الشيخ قد أخلص في تعليم تلميذه حتى اللحظات الأخيرة من حياته مما كان دهشة التلميذ^١ .

فلا غرو – والحالة هذه – ان يكون تأثر المازني بأبي زيد واضحا جليا في عدة مجالات .

وستستطيع ان نلمس اثر أبي زيد في أبي عثمان بوضوح اذا ما نظرنا الى كتاب التصريف للمازني ، حيث نشهد كثرة الروايات عن أبي زيد الى حد يجعل القارئ يدرك ببساطة ان أبا زيد كان مصدرا مهما من مصادر الكتاب .

كذلك رأيت أبا عثمان المازني يروى عن أبي زيد كثيرا من الشواهد الشعرية ، فقد كان لأبي زيد من الشواهد في اللغة ما ليس لغيره كما مر معنا^٢ .

ورأيته يأخذ عنه كذلك التوارد والغريب لأن أبا زيد كان من أشهر البصريين بروايتها والاحتفاء بها .

ولم يقف تأثير أبي زيد في أبي عثمان المازني في مجال اللغة عند حد الروايات اللغوية والشواهد الشعرية بل نجد أن التأثير قد تعدى ذلك الى المنهج اللغوي ، حيث رأينا المازني متsuma في الرواية كاستاذه^٣ .

كذلك فقد كان أبو زيد ملعا أبي عثمان في كل ما يغمض عليه من مسائل اللغة ، يفرغ اليه ليطلب توجيهها أو شاهدأ او دليلا .

ولم تقتصر روايات المازني عن أبي زيد على مسائل اللغة بل تعددت ذلك الى رواية بعض مسائل الفقه^٤ .

وقد اتخد المازني أبا زيد الانصاري طريقا في الرواية الى الخليج^٥ . لكننا مع كل ما تقدم نلاحظ ثلاثة تأثيرات على أبي عثمان في مجال النحو ولعل ذلك راجع الى ميل أبي عثمان الى التعليل في النحو وتغور أبي زيد منه ، ثم ان أبا زيد في مذهبة النحوي كان يجيز القياس على الشاذ ، وكان المازني يرفضه^٦ ، وكان أبو زيد متأثرا في منهجه في أحد اتجاهيه بالمنهج الكوفي ، أما أبو عثمان فقد كان متذمرا للبصريين ويرفض كل ما هو كوفي .

الى هنا تكون قد أنهينا الحديث عن تلاميذ أبي زيد ، وقبل أن نختم الكلام عن ثقافته العلمية نرى لزاما علينا القاء ضوء على اتجاهه العلمي المذهبى .

١) انظر البحث من ١٧

٢) انظر البحث من ٢٥

٣) انظر مراتب النحويين – أبو الطيب اللغوي / ٤٢

٤) انظر المنصف – ابن جنی ٢٠٣/١ ، ٣٣٨

٥) انظر المنصف – ابن جنی ٢٨١/١

اتجاه أبي زيد المذهبى

تضاربت أقوال المؤرخين في اتجاه أبي زيد المذهبى ، فنقل ابن قتيبة^١ (ت سنة ٢٧٦هـ) أنه يرى رأى القدر ، ونقل أبو الطيب اللخوي^٢ (ت سنة ٣٥١هـ) أنه كان من أهل العدل والتشييع .

أما عبد القاهر البغدادي^٣ (ت سنة ٤٢٩هـ) فقد ذكر أبا زيد مع جمهور أهل النحو واللغة والأدب الذين كانوا على معتقد أهل السنة .

وأشار ياقوت الحموي^٤ (ت سنة ٦٢٦هـ) إلى أنه « كان يرمي بالقدر » ، ولكن أبا حاتم قد دفع ذلك عنه .

واما القسطنطى (ت ٦٤٦هـ)^٥ فقد اتبع أبو الطيب اللخوي فقال : « وكان أبو زيد من أهل العدل والتشييع » .

كما رد ابن خلkan^٦ (ت ٦٨١هـ) ما قاله ابن قتيبة فقد أشار إلى أن أبا زيد كان « يرى رأى القدر » .

واما ابن حجر المستقلاني^٧ (ت ٨٥٢هـ) في تهذيب التهذيب فقد أشار إلى أن أبا زيد « يذكر بالقدر » ثم نقل قول التسائي بأنه « نسب إلى القدر » .

ويجمل بنا الآن أن نصنف هذه الروايات على الوجه الآتي :

١ - رأى يقول أن أبا زيد كان من أهل العدل والتشييع .

٢ - وأغلب الروايات ترجح أنه كان ذا نزعة قدرية في الاعتزال .

٣ - والرأي الأخير يشير إلى أنه كان من أهل السنة والجماعة .

وأول ما نلاحظه في أقوال المؤرخين هذه أن الخلاف يتبع فيها السلف دون مناقشة أو ترجيح للروايات ، كما أنها لم تستند إلى أحد من معاصرى أبي زيد أو تلاميذه ، ومن أجل ذلك فقدت هذه الروايات كثيراً من أهميتها .

مناقشة الروايات

إن طبيعة البحث تحتم علينا لا نعوّل كثيراً على هذه الروايات التاريخية المتضاربة ، وإن ننهي منهجاً موضوعياً لأجل التعرف على اتجاه أبي زيد المنهجي ، وأن نعود إلى منهجه وآثاره بقدر ما تسعفنا هذه الآثار في القاء الضوء على اتجاهه المذهبى ، خاصة وأن أقوال المؤرخين قد تبانت إلى الحد الذي أوضحتنا آنفاً .

١) المعرف - ابن قتيبة / ٢٢٧

٢) مراتب التخوين - أبو الطيب اللخوي / ٤٢

٣) الفرق بين الفرق / ٣٦٥ تاليف عبد القاهر البغدادي . تحقيق محمد معين الدين ، مطبعة المدى - القاهرة .

٤) معجم الأدباء - ياقوت ٢١٢/١١

٥) انباء الرواية - القسطنطى ٣٣/٢

٦) وديات الإيمان - ابن خلkan ١٢١/٢

٧) ٥/٤

ومن أجل التحقق من مدى صحة الرأي الأول القائل بتشييع أبي زيد أخذت أبحث في كتب الشيعة دون أن أجد ذكرًا لأبي زيد فيها : بحثت في كتاب طبقات الشيعة للعامل ، وكتاب معالم العلماء للمازندراني ، وكتاب عيون الخبر الرضا للقمي .

وأقول لعل تهمة التشيع هذه جاءت لأبي زيد من اتصاله بأشياخه التشيعيين من أمثال شعبة ابن الحجاج .

ومع ذلك فاننا لا نستبعد أن يكون لأبي زيد ميل لعلي كرم الله وجهه وآل رضوان الله عليهم فهم قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كان الرجل صاحب تقوى وعفاف وسلام .

أما بالنسبة لتهمة الاعتزال التي الصقت بابي زيد فان أول ما يسترعي الانتباه بشأنها أنها استندت إلى عبارات واهية من أمثال : رمي بالقدر ، ونسب إلى القدر ، ويدرك بالقدر ، مما يقوى عندنا احتمال أنها مجرد اتهامات لا تستند إلى دليل .

وقد لحقت مثل هذه التهمة بكثير من العلماء حتى لم يسلم منها أمام التابعين الحسن البصري فقد اتهم بالقدرية ^١ .

ولعل سبب هذه التهمة - في نظرنا - ما تمت به أبو زيد من عقل حر ورأي مجتهد وشخصية مستقلة حيث انفرد من أهل البصرة بالأخذ عن الكوفيين .

وقد أقبل على الدراسات العقلية وبرع في القياس وكان له فيه فضل معرفة . وجلس لتدريسه في مسجد البصرة ، مما يدل على معرفة عميقه بعلم المنطق اليوناني . وهذا أثر واضح من آثار الثقافة اليونانية .

وقد عرف المعتزلة باقبالهم على الدراسات الفلسفية وميلهم للنزعة العقلية وتسليهم بطرق الاستدلال العقل من أجل الرد على أصحاب الديانات الأخرى وأصحاب الأهواء والبدع من الزنادقة والدهرية والمشبهة ^٢ .

ومن هنا جاءت التهمة لأبي زيد في ظننا .

أما الأمر الآخر الذي يحتمل أن تكون هذه التهمة قد تسررت لأبي زيد من خلاله فهو أن أبا زيد قد تعلم على اثنين من أعلام القدرية في عصره هما عمرو بن عبيد وسعيد بن أبي عربة .

ومع ذلك فاننا لا نستبعد أن يكون لأبي زيد ميل نحو المعتزلة في اعتدال ، بل اتنا نرى أن هذا أمر طبيعي فليس بعيد أن يكون صاحبنا قد تأثر بالأمررين المشار إليهما سابقاً .

أما الذي نرجحه ونطمئن إليه فهو أن أبا زيد كان من أهل السنة والجماعة ولم يكن من ذوي الأهواء ، ويريدنا فيما ذهبنا إليه عبد القاهر البغدادي عندما ذكر أبا زيد مع جمهور أهل التحريف واللغة الذين كانوا على معتقد أهل السنة .

ولكننا مع ذلك أخذنا ببحث عن أدلة موضوعية تؤيدنا فيما ذهبنا إليه فوجدنا أبا زيد في منهجه ينزع منزع السلف الصالح وقد تمثل ذلك فيما يلي :

١) انظر المعارف - ابن قتيبة / ٤٤١

٢) دراسات في الفرق والعقائد / ١٠٨ . ١٠٩ . تاليف د. عرفان عبد العميد . الطبعة الأولى بنسداد ١٢٨٧ - ١٩٦٧ م .

أولاً : عناية أبي زيد بالحديث الشريف

كانت عناية أبي زيد بالحديث الشريف فائقة ، ولا عجب في ذلك فقد كان والده محدثاً ، فاحترم الابن حذو أبيه ودرس الحديث على كبار المحدثين في عصره حتى إذا ما اشتده عوده جلس لتدريسه في مسجد البصرة ٠

ثم كان احتجاج أبي زيد بالحديث الشريف مظهراً قوياً من مظاهر النزعة السلفية عنده مخالفًا بذلك مذهب المعتزلة ، وسوف أوفي هذه المسألة حقها من البحث في حديسي عن مذهب أبي زيد اللغوي ١ ، أما الان فسوف أكتفي بهذه الاشارة حتى لا أخرج عن سياق الكلام ٠

وعلوم لدينا أن المعتزلة في منهجهم يعتمدون على العقل ويفضلون من شأن النقل والرواية ويرمون أهل الحديث بالجهالة ويلقينهم باللحسوية ويتهمونهم بالكذب ٢ ، ومن أجل ذلك احتمم الصراع واستحكم العداء بين الفريقين ٠

وبينما نرى المحدثين يعنون بالحفظ ويعون عليه في رواية الأحاديث النبوية نجد المعتزلة يقلّلون من شأن الحفظ لأنّه يحدّ من النظر العقل في مذهبهم ٠

ومن هنا كانت الهوة بعيدة بين منهج الفريقين مما جعلنا نرجح أن يكون أبو زيد من أهل السنة والجماعة منكرين تهمة القدرة عنه ٠

ثانياً : منهجه في الرواية

أما منهج أبي زيد في الرواية فقد جاء متفقاً مع منهج السلف القائم على عدم التفلسف وادخال الموامل الأجنبية عن التفكير اللغوي ، ومخالفًا مذهب المعتزلة الذين يعملون العقل والمنطق فيما يروى حتى أن النظام المعتزلي ينتقد بعض روايات الصحابيين العليلين : ابن مسعود وأبي هريرة مدعياً أنها كذب لا تتمشى مع العقل ٣ ٠

وكان أبو زيد في كتابه الشهير **النوادو في اللغة** ٤ قد روى أشعاراً عن شيخه المفضل الضبيّ السنّي تتحدث عن الزواج من الجن ٠

وقد أثار هذا الموقف من أبي زيد العقاد تلميذه الجاحظ المعتزلي له الذي أخذ يهزّاً بروايات العرب عن السعال وأولاد السعال من الناس كما يهزّاً بما روى من الشعر في رؤية الجن وأحاديث الجن ٠

وكان الجاحظ قد ذكر أن أباً زيد أنسده أن الجن طرقوا بعضهم فقال :

أَتَوْنَا نَارِي فَتَقْلِتُمْ مَنْوَنَ أَنْتُمْ فَقَالُوا جَنْ قَلْتُمْ عِمْرَا طَلَاما فَقَلْتُمْ إِلَى الطَّعَامِ فَقَالَ مِنْهُمْ زَعِيمٌ نَحْسَدُ الْأَنْسَ الطَّعَاما

وقد عقب الجاحظ على هذه الرواية فقال : « ولم أعب الرواية وإنما عبت الایمان بها والتوكيد لعانيها » ٥ ٠

١) انظر البحث من ١٣٢ وما بعدها ٠

٢) انظر تأويل مختلف الحديث / ٢١ ، ٨٠ تاليف ابن قتيبة . تصحيف محمد النجار ، مصر ١٩٦٦م

٣) انظر الفرق بين الفرق - البنداري / ١٤٧ ، ١٤٨ ٠

٤) ١٤٧/

٥) العيون ١٨٦/١ تاليف الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . الطبعة الثانية مصر ١٩٦٥م ٠

وتجدر الاشارة الى أن الجاحظ في نقهه للرواية وعيبه لها ينطلق من مبدأ المعتزلة الذين ينكرون امكان رؤية الجن ^١ .

في حين أن أبا زيد هنا يتفق مع منهاب أهل السنة القائل بامكان رؤية الجن حتى انهم يعدون من أصولهم اثبات الملائكة والجن والشياطين في اجناس حيوانات العالم ^٢ .

ومن هنا – في رأينا – جاء التعارض بين الموقفين ^٣ .

وستتوقفنا عبارة هامة – تزييع الستار – عن اتجاه أبي زيد المذهبى وردت في تعقيب الجاحظ المعتزلى على رواية شيخه أبي زيد السابقة ، قال الجاحظ : « وأبو زيد وأشباهه مأمونون على الناس الا أن كل من لم يكن متكلما حاذقا وكان عند العلماء قدوة واما ، فما أقرب افساده لهم من افساد المتعتمد لافسادهم » ^٤ .

فمضمون كلام الجاحظ – كما فهمناه – أن أبا زيد لم يكن متكلما حاذقا ، ومن أجل ذلك تعرض لنقد تلميذه بنقله مثل هذه الروايات التي لا يجوز – على حد رأي الجاحظ – نقلها للناس لأن في ذلك افسادا لهم ^٥ .

وهذا كله يجعلنا على يقين بأن أبا زيد من أهل السنة والجماعة وأنه لم يكن من ذوى الأهواء فلم يكن قدريا ولا شيعيا ، فنلتقي بذلك مع رواية عبد القاهر البغدادى التي رجعناها في بداية الحديث ^٦ . وسوف نتبين انعكاسات هذا الاتجاه المذهبى لأبي زيد على مذهبه في النحو واللغة في الباب الثاني من البحث ، أما الان فنختتم حديثنا ببيان منزلة أبي زيد العلمية بين علماء العربية ^٧ .

منزلة أبي زيد العلمية

عرف العلماء – قدامى ومحدثون – مكانة أبي زيد العلمية السامية ، فكان له من الثناء والتقدير ما يتفق وهذه المكانة ^٨ .

فأبو زكريا الفراء يصفه بأنه أعلم الناس باللغة وأحفظهم لها ^٩ . وفي الوقت الذي كان فيه ابن الأعرابى ينحرف عن الأصمعي كان لا يقول في أبي زيد الا خيرا ^{١٠} .
وستل الأصمعي وأبو عبيدة عن أبي زيد فقا : ما شئت من عفاف وتنوى واسلام ^{١١} .

ويصفه صاحب التجوم الرازحة بقوله : « كان اماما في علم النحو واللغة والاشعار ومذاهب العرب وآبائهم وأيامهم ^{١٢} .

وقد أعجب أبو علی الفارسي بأبي زيد كثيرا وبالغ في تقديره فكان يصفه بالضبط في الرواية ^{١٣} ، وطمئن نفسه لما يرويه ، ويستعين به في كثرة ، ويستشهد بما ورد في نوادره ، ويوثقه في تحمس واعتزاز ، ويسر بما يحكى ^{١٤} .

١) انظر الفرق بين الفرق – البغدادى ١٤٨

٢) المرجع السابق / ٣٦

٣) العيون للجاحظ ١/ ١٨٦

٤) ٢١٠/٢

٥) العجة في علل القراءات – أبو علی النايسى ١/ ٢٦٧ و ٢٢٨

وقد سار تلميذه ابن جنی على هديه في الاعجاب بأبي زيد فكان يحسن الرأي فيه ، وقد قال عنه : « ما أبعده مع علمه وفقهه بالثقة من أن تطرق ظنة عليه في تحصيل ما يسممه ١ » .

^٢ والاستاذ احمد امين كان يعجب بابن زيد ويصفه بالتزام الصدق .

وناشر كتابه **النواود في اللغة** قال عنه^٤ : أبو زيد أمام من أئمة العربية وعلّم من أعلام اللغة .

والحق أن أبي زيد جديـر بهذا الاعـجاب ، فقد كان يـشغل أـسـمـى مـكـانـةـ فيـ الـلـفـةـ ، وـيـتـمـتـعـ بـأـقـصـى درـجـاتـ الـاحـتـرـامـ ، قالـ أـبـوـ حـاتـمـ السـجـسـتـانـيـ عـنـهـ ° : « فـاـذـاـ فـسـرـتـ حـرـوفـ الـقـرـآنـ الـمـخـلـفـ فـيـهاـ أوـ حـكـيـتـ عـنـ الـعـرـبـ شـيـبـاـ فـانـمـاـ أـحـكـيـهـ عـنـ الثـقـاتـ عـنـهـمـ مـثـلـ أـبـيـ زـيدـ وـالـأـصـمـيـ وـأـبـيـ عـبـيـدةـ وـيـونـسـ وـنـقـاتـ مـنـ فـصـحـاءـ الـأـعـرـابـ وـحـمـلـةـ الـعـلـمـ » .

ومن هنا هذا القول من أبي حاتم مكانة أبي زيد عند أتباع مدرسة البصرة في اللغة خاصة .

وكانت حلقته بالبصرة ينتابها الناس ، ونستطيع أن نتبين ذلك من كثرة تلاميذه ، وكثرة الأغرب الذين كانوا يتربدون على حلقته ، وقد يغى حتى أواخر أيامه ملازمًا لبيته وحلقته .

وتجدر بآمي زيد أن يكون موضع تقدير الجميع فهو أحد أئمة ثلاثة : - والآخران هما الأصمسي وأبو عبيدة - كانوا أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب لم ير مثلهم قبلهم ولا بعدهم ، عنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من هذا العلم بل كله .

وامتاز أبو زيد بين علماء عصره بأنه لا يلعن البتة حتى كان لسانه لسان أعرابي فصيح ، وكان ذلك مدعاه لأن يفتخر به أهل البصرة لأنه امتاز بفصاحة خاصة في اللغة .

لقد احتل أبو زيد منزلة عالية وشهرة سامية في اللغة اعترف له بالفضل فيها معاصره ولاحقوه حتى كان في استشهاده بشعر شاعر رفع مكانة هذا الشاعر وكفاية له في تفضيله ، روى صاحب **الأخافن** قال^١ : « أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم ابن مهرويه قال حدثني أسميد بن خالد الانصاري قال قلت لأبي زيد النجوي ان الأصمعي قال : لا يقال شتان ما بينهما انما يقال شتان ما هما وانشد قول الأعشى :

شستان ما یومی علی کورها

قال : كذب الاصمعي ، يقال شستان ما هما وشتان ما بينهما وانشدني لربيعة الرقى واحتسب

١٤

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

١٤٢/١) المعتسب لابن جنى

٢) الاعلام - الزرکل ٣/١٤٤

٢) ضعف الاسلام - احمد امين ٢/٢

٤) النواشر في اللغة ، المقدمة /

^{٩٠} مراتب النعوبن = أبو الطيب اللغوي /

TY/10 (7)

ثم عقب صاحب الأغاني على هذه الرواية بقوله : « وفي استشهاد مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمي بشعر ربيعة الرقي كفاية له في تفضيله » .

وقد شهد له بهذه المكانة الممتازة في اللغة شيخه يونس بن حبيب عندما سأله الحكم بن قنبر عن تعاهداتٍ ضيعته أو تعاهداتٍ فاجاب يونس تعاهدت وقال أبو زيد تعاهدت وكان ستة من الأعراب الفصحاء في المجلس فقالوا بما أفتني به أبو زيد فقال يونس بن حبيب : يا أبو زيد رب علم كنت سببه أو شيئاً نحو هذا » ^١ .

ومن جلالة أبي زيد في اللغة أن الخليل بن أحمد كان يأخذ برأيه ويرجع إليه ، حدث أبو حاتم عن أبي زيد قال : كتب رجل من أهل رامهرمز إلى الخليل يسأله كيف يقال ما أوقفك هنا ومن أوقفك فكتب إليه مما واحد ، قال أبو زيد ثم لقيني الخليل فقال لي في ذلك قلت له : إنما يقال من وقفتك وما وقفتك قال فرجع إلى قوله ^٢ .

وجريدة بالذكر إن العلماء كانوا يتباهون بسؤال الخليل لهم نظراً للشهرة العلمية التي حازها الخليل ، فالموصلى عندما هجا الأصمي رد عليه ما كان يدعوه من سؤال الخليل له فقال الموصلى :

الْيَسَّ مِنْ الْمَجَانِبِ أَنْ كَلَّا أَصَمِّعَ بِأَهْلِيَا يَسْتَطِيلُ
وَيَزْعُمَ أَنَّهُ قَدْ كَانَ يَقْنَى أَبَا عُمَرَ وَيْسَالُهُ الْخَلِيلُ ^٣

١) أخبار التعوين - أبو سعيد السيرافي / ٤١

٢) المزهر - السيوطي ٤٠٢/٢

٣) مراتب التعوين - أبو الطيب المنوفي / ٢٨

أثر أبي زيد الأنصاري

في دراسة اللغة

- آثار أبي زيد ● أبو زيد والدراسات الصرفية وال نحوية
- أبو زيد والشروع النقوصية

آثار أبي زيد

- الكتب الموجودة : كتاب الشجر والكلأ – البا واللبن – مسائية – المطر – النوادر في اللغة – الهمز
- الآثار المفقودة

حفظت لنا كتب الترجم أسماء بعض آثار أبي زيد فذكر له ابن مكتوم ستة كتب^١ ، وزاد ابن خلكان فذكر ثمانية عشر كتابا^٢ ، أما ابن العماد العنبي فقد أشار إلى أن لأبي زيد في اللغة نحو عشرين مصنفا^٣ .

لكن السيوطي ذكر لأبي زيد ثلاثين مؤلفا^٤ ، كما ذكر له الققطي اثنين وثلاثين كتابا^٥ ، وزاد ابن النديم فذكر ثلاثة وثلاثين مصنفا^٦ .

أما بقية كتب الترجم فأنها لا تكاد تشير إلا إلى النذر القليل من كتب أبي زيد أو أنها في الغالب لا تتعرض مؤلفاته .

ولكني نقبت في كتب التاريخ وأحصيت مؤلفات صاحبنا فوجدتها خمسة وخمسين مصنفا عفى الدهر على معظمها ، ولم يصل إلينا إلا كتب ستة .

وفكرت في طريقة أعرض بها كتب أبي زيد ، وحاولت جاهدا أن أتعرف تاريخ كل كتاب ، ليكون أساسا للترتيب لكن عبئا حاولت ، لأن كتب التاريخ سكتت عن ذلك ولم تشر إليه لا من قريب ولا من بعيد .

وعندما عزّ عليَ ذلك حاولت تصنيفها بحسب الموضوعات التي تناولتها ، ولكنني رجمت عن هذه الفكرة لأن معظم هذه المؤلفات قد تناولتها يد الزمن ، وأصبح من الصعب التكهن بما تحتويه من مادة .

١) انظر تلخيص أخبار التهويين - ابن مكتوم ٤١/٤١

٢) انظر وفات الأعيان - ابن خلكان ١٢١/٢

٣) شذرات الذهب ٣٥/٢ تاليف ابن العماد العنبي . طبعة بيروت - لبنان .

٤) بقية الوعاء - السيوطي ٥٨٣/١

٥) أنباء الرواية - الققطي ٣٥/٢

٦) الفهرست - ابن النديم ٥٥/٥

ثم اني خشيت أن أقع فيما وقع فيه أحد الباحثين المحدثين ^١ عندما أشار الى أن أبو زيد قد ألف في المنطق مستندا الى عنوان كتاب مفقود لأبي زيد سماه « المنطق » وهو كتاب في اللغة كما أشار اليه السيوطي ^٢ .

لهذا كله آثرت السلامة وعمدت الى ترتيب كتب أبي زيد حسب أحرف الهجاء ، بادئاً الحديث عن الكتب الموجودة .

كتب أبي زيد الموجودة

أولاً : كتاب الشجر والكلأ

هذا الكتاب مطبوع الا أنه أشبه بالمخطوط في ندرته ، توجد منه نسخة وحيدة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٥٩ لغة ، ونسخة في مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم رقم ٣٠٦٤٩ .

نشر هذا الكتاب المستشرق الألماني الدكتور صمويل ناجلبرغ Samuel Nagelberg عن مخطوط محفوظة في مكتبة برلين تحت رقم ٧٥١ ، وطبع في مطبعة ماكس شمرسوف في كرختين سنة ١٩٠٩ ، فجاء الكتاب في سبع وعشرين صفحة عدا الفهارس ، وقد وردت للناشر في أسفل الصفحات تعليلات كثيرة ، كما الحق الناشر بالكتاب روايات علماء اللغة عن النبات والشجر وقد جاءت في تسع وأربعين صفحة .

وقد نشر المستشرق صمويل مع الكتاب رسالة في الريح لابن خالويه وقد جاءت في ست صفحات .

وافتتح كتاب الشجر بعد البسمة بالعبارة التالية : قال ابن خالويه : قرأت كتب أبي زيد على أبي عمر عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد ، أسماء الشجر العصاه ٠٠٠ .

وفي الختام جاءت العبارة التالية : تم الكتاب والله أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلها وسلم تسليما دائما .

عرض مادة الكتاب

يبدأ الكتاب بذكر أسماء الشجر العصاه ومفرداتها ، مبينا صفة كل شجرة ومكان منبتها فيذكر من العصاه السمر وواحدته سَمْرَه وهي شجرة حجازية نجدية شاكة ومنبتها بكل مكان ما خلا حرّ الرمل ، ثم ينتقل الى ذكر أسماء الشمار مبينا صفاتها كأن يقول : ثمرة السلم صفراء ، وثمرة السمرّ غبراء تضرب الى البياض .

بعد ذلك يعدد أسماء الكلأ ومكان منبتها وبيان صفاتها ، وينتهي من ذلك لينتقل الى ذكر أسماء الشجر عندما يكشّر : فيقال للسمر اذا كثر في موضع العرجة ويقال لما كثر من الطّلّع في موضع التّوطة والفالّ ولما كثر من العُرْفُطُ الفَرْشُ والوَهْطُ ٠٠٠

وفي الكتاب استشهاد بالشعر الذي الرمة والمهلل وامرئ القيس وآخرين .

وفي نهاية الكتاب فهرس بأسماء النبات في كتاب الشجر يشتمل على مائتين وثلاثين اسم .

١) النادر في اللغة / القسم الأول / ٣٠ تاليف أبي زيد تحقيق الدكتور محمد عبد القادر ، مخطوطة بجامعة القاهرة رقم ٩٨١ رسائل .

٢) بقية الوعاة - السيوطي ٥٨٣/١

توثيق الكتاب

هذا الكتاب منسوب لابن خالويه في حين أنه مروي عن أبي زيد^١ . وربما كان سبب الخطأ الذي وقع فيه الناشر المستشرق الألماني صمويل ناجلبرغ Samuel Nagelberg أنه حفظ العنوان خطأ فلم يتثبت مما جاء في صدر الكتاب وقد رأيت في طرته هذه العبارة التالية : « قال ابن خالويه قرأت كتب أبي زيد على أبي عمر عن ثعلب عن ابن نجدة عن أبي زيد ، ومن هنا جاء المليس - في اعتقادي - حيث ظهر للناشر أن الكتاب لابن خالويه فاثار بذلك شبهة كلفتنا جهدا مضنيا في سبيل دحضها ووضع الحق في نصايه » .

وقد تبع المستشرق ناجلبرغ فيما ذهب إليه الزميل محمد أبو الفتوح شريف الذي قدم بحثا في كلية دار العلوم نال بموجبه درجة الماجستير^٢ ، فأثبتت لابن خالويه (كتاب الشجر) مستندا إلى فهارس دار الكتب . ودون التتحقق من نسبة الكتاب في كتب الطبقات . وأبادر فأقول أني أشك في صحة نسبة الكتاب لابن خالويه وأرجح أن يكون لابي زيد .

وقد سبقني فيما ذهبت إليه المستشرق آرثر جفري عندما قال بالحرف الواحد في معرض حديثه عن كتب ابن خالويه المطبوعة : « ولكن كتاب الشجر الذي اشتهر باسمه وكان مطبوعا في ألمانيا سنة ١٩٠٩ ليس مصنفه بل بالحقيقة مصنف اللغوي الشهير أبي زيد صاحب كتاب النوادر في اللغة »^٣ .

الا أن المستشرق آرثر جفري اكتفى بطرح القضية في صورتها الآنفة الذكر دون أن يقدم الدليل على ما ذهب إليه .

و قبل أن أبدأ بتوثيق الكتاب أود أن أشير إلى أن ورود اسم ابن خالويه في طرته الكتاب مرة وفي ثانية مرة أخرى لا يعني بالضرورة أن يكون الكتاب من تاليفه ، وأن وجود عبارة أو رواية دخيلة في كتاب لا يقدح - حتما - في توثيق نسبة الكتاب ولهذا ظواهر في أكثر من كتاب : ففي كتاب الشجر للأصمسي تكررت روايات لأبي بكر محمد بن دريد أكثر من مرة^٤ ، وفي كتاب سيبويه جاءت عبارات دخيلة ليست منه مثل ما جاء في تقديم أحد شواهد الكتاب « ويقال وضعي التحويون » وواضح كما يقول يوهان فل^٥ أن مثل هذه العبارات ليست من مقول سيبويه وإنما هي من وضع مخرج الكتاب ولا يمكن أن تكون من قول المؤلف .

على أن مثل هذه الروايات الدخيلة موجودة في أكثرين آخرين من آثار أبي زيد : ففي كتاب النوادر في اللغة وردت روايات دخيلة بكثرة لأبي حاتم السجستاني والرياشي والسكرى والزيادى وأبي الحسن الأخفش . ولم يقل أحد إن الكتاب من تاليف أحدهم .

كما وردت في كتاب اللبا واللبن لأبي زيد روايات للرياشي وأبي حاتم فلم ينسب الكتاب ل أحدهما .

١) انظر كتاب البلقة في شذور اللغة / ١٧ ، نشر الدكتور هنتر والاب لويس شيخو - المطبعة الكاثوليكية بيروت سنة ١٩١٤ م .

٢) انظر ابن خالويه واثره في الترassات الصرفية / ٤٦ تاليف محمد أبو الفتوح شريف . مخطوطه بمكتبة دار العلوم تحت رقم ٣٠٣ رسائل .

٣) مختصر في شواد القرآن من كتاب البديع . المقدمة / ٥ . تاليف ابن خالويه . مصر سنة ١٩٣٤ م .

٤) انظر كتاب البلقة في شذور اللغة / ٢١ . ٤٤ . ٤٢ . ٥١

٥) العربية - يوهان فل / ٥٢

ومكذا يتبيّن لنا أن من عادة علماء اللغة أن يضيفوا تعليقات على مؤلفات سابقيهم من الأئمة لدى قراءتها والاطلاع عليها .

وقد تكرر هذا الأمر مع ابن خالويه في أكثر من كتاب ، يقول المستشرق آرثر جفرى ^١ : « وكانت عادة ابن خالويه أن يهذب مصنفات مشايخه كما رأينا ذلك في كتاب **الشجر** وكما يظهر في كتاب **العشرات** الذي اشتهر باسمه مع أنه في الواقع مصنف شيخه المطرز » .

ومن أجل ذلك كله عجبت للمستشرق صموئيل ناجلبرغ Samuel Nagelberg كيف انزلق من هذه التغيرة رغم أنها لا تخفي على الدارسين المدققين .

وبعد ، وبرغم كل ما تقدم فقد ذهبت أبحث وأنقب دون كلل إلى أن تجمعت أمامي الأدلة التالية لتوثيق الكتاب .

أولاً : التوثيق التاريخي

يمت وجهي في بداية الأمر شطر كتب الطبقات القديمة والحديثة ، أبحث ما وسعني الجهد في ترجمة ابن خالويه نهل أجد بين مؤلفاته كتاباً بعنوان **الشجر** ، ولكن دون جدوى .

بدأت بالنظر في كتاب **الفهرست** لابن النديم (ت ٣٧٧هـ) المعاصر لابن خالويه ، وقد ذكر له من الكتب عشرة لم يكن (**الشجر**) بينها ^٢ .

ثم نظرت في كتاب **نزهة الآباء** لابن الأنباري (القرن السادس الهجري) وقد ذكر في ترجمته لابن خالويه خمسة كتب له ، لم يكن (**كتاب الشجر**) واحداً منها ^٣ .

وبحثت في كتاب **معجم الأدباء** لياقوت (ت ٦٣٦هـ) ، فوجدته قد ذكر لابن خالويه اثني عشر كتاباً لم أجد (**كتاب الشجر**) بينها ^٤ .

ومضيت فنظرت في كتاب **انباه الرواة** للقطبي (ت ٦٤٦هـ) وقد ذكر لابن خالويه أربعة عشر كتاباً دون أن يورد ذكرها (**لكتاب الشجر**) ^٥ . وكانت نهاية المطاف في كتب الطبقات القديمة بكتاب **بغية الوعاة للسيوطى** ، وقد أورد لابن خالويه أحد عشر كتاباً لم يكن (**كتاب الشجر**) واحداً منها ^٦ .

وعدت إلى كتب المحدثين فنظرت في كتاب **كشف الظنون** ل حاجي خليفة وقد ذكر لابن خالويه ستة عشر كتاباً ^٧ ، لم تقع عيني على (**كتاب الشجر**) بينها .

وبحثت في كتاب **معجم المؤلفين** لصاحبه محمد رضا كحاله وقد ذكر بعض تصانيف ابن خالويه ^٨ ، ولكن لم يكن لكتاب **الشجر** حظٌ بينها .

(١) انظر المقدمة / ٦

(٢) ١٢٤ /

(٣) ٣١٢ /

(٤) ٢٠٤ / ٩

(٥) ٣٢٥ / ١

(٦) ٥٣٠ / ١

(٧) **كشف الظنون** / ٨٦ ، ١٢٣ ، ٦٠٢ ، ١٢٧٢ ، ١٢٤٣ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٩ ، ١٤٦٩ ،

١٤٥٤ ، ١٤٥٧ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٨ ، ١٤٧٠

(٨) ٣١١ /

وكان نتائج هذا البحث في كتب التراث القديمة والحديثة التي ادركت - أو ايقنت - أن ابن خالويه لم يترك لنا أثراً بعنوان **الشجر** ، وإنما جاءت نسبة هذا الكتاب إليه نتيجة البس والخلط .

وعندما رجمت ثانية إلى كتب الطبقات أبحث في ترجمة أبي زيد لأرى أن كانت هذه المراجع قد أثبتت له كتاباً بعنوان **الشجر** أم لا ، فوجدتها قد أجمع على ذكر هذا الكتاب لأبي زيد ولكنها ذكرته تارة باسم **(النبات والشجر)** واختصره بعضها فسماه **«النبات»** وذكرته تارة أخرى باسم **«الشجر والكلأ»** واختصره بعضها أيضاً فسماه **«الشجر»** .

وقد ذكره من المؤرخين القدماء : ابن النديم وابن خلكان وباقوت والسيوطى والقطنى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ^١ .

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلى وبروكلمان^٢ .

هذا ، وقد روى المؤرخون ما يشير إلى اهتمام علماء اللغة بهذا الكتاب واقبالهم عليه حفظاً ودراسة ، فذكر أبو الطيب اللغوى بأن الرياشى قد جاء إلى أبي زيد ومعه كتابه في **الشجر والكلأ** وقال له أقرأ عليك هذا ، فرد أبو زيد قائلاً : لا تقرأ على فانى أنسيته^٣ .

كذلك اطلع ابن خلكان على الكتاب وأعجب به ، روى لنا في ترجمة أبي زيد قائلاً : « ولقد رأيت له في النبات كتاباً حسناً جمع فيه أشياء غريبة »^٤ .

ومثل ذلك ذكره أبو سعيد السيرافى في شرحه لكتاب سيبويه عندما قال : « وكنت قرأت كتاب **الشجر والكلأ** لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمة الله »^٥ .

إلى هنا أحسب أنني قد وفيت بعض ما وجب من دفع الشبهات ، ولكنني لن أتوقف عند حد التوثيق الشكلى التارىخي ، وأرى من واجبى الان أن أنتقل إلى التوثيق الموضوعى المنهجى وذلك باستخراج خصائص الكتاب المنهجية ومقارنتها بمنهج كل من أبي زيد وابن خالويه في تاليف مثل هذه الرسائل ، كما أنسى سوف أقبل ما وقفت عليه من النصوص الخارجيه بامثلها من الكتاب امعاناً في التوثيق .

ثانياً : التوثيق المنهجى

كان أبو زيد الأنصارى أحد علماء اللغة الذين اشتهروا بالرحلة إلى الbadia كما أوضحتنا سابقاً ، وكان يرمى من وراء رحلاته إلى جمع مفردات اللغة والبدء بتبويبها حيث غالب عليه ذلك .

وتجدر بالذكر أن علماء اللغة بدأوا بتبويب المفردات حىشما اتفق وكما تيسر لهم سماعها فكانوا يقيدون ما سمعوا من غير ترتيب .

١) انظر : الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، معجم الأدباء ٢١٧ / ١١ ، بقية الوهأة ٥٨٣ / ١ ، إنباء الرواية ٣٥ / ٢ .

٢) انظر كشف الظنون / ١٤٦٦ / ٢ ، الأعلام / ٣ / ١٤٤ ، تاريخ الأدب ١٤٧ / ٢ .

٣) مراقب النحوين - أبو الطيب اللغوى / ٤ / ٣ .

٤) وفيات الأعيان - ابن خلكان / ٢ / ١٢١ .

٥) شرح الكتاب - أبو سعيد السيرافى ٢١ / ٥ .

ثم جاءت الخطوة الثانية التي سبقت عمل المعاجم حيث أخذ علماء اللغة يجمعون ما ورد من الألفاظ اللغوية في موضوع واحد ويسمونه كتاباً وقد يكون الكتاب بعض ورقات ، وقد ظهر ذلك واضعاً في كثير من كتب صاحبنا كما في **كتاب الشاء** و**كتاب الإبل** و**كتاب خلق الإنسان** و**كتاب المياه** و**كتاب الوحوش** . وقد وصللينا من أمثل هذه الكتب : **كتاب المطر** ، **واللبا واللبن** .

وقد اطلعت على هذين الكتابين لأبي زيد ولاحظت أنهما يشتراكان بما في المنهج القائم على مشافهة العرب وتدوين ما سمع منهم ، فهما خاليان من الآراء الشخصية ومن التقول عن الشيوخ والعلماء ، ومن الاستشهادات بآيات القرآن الكريم ، وإن كانوا لا يخلوان من الاستشهاد ببعض أبيات الشعر .

وذهبت أبحث في كتب ابن خالويه الموجودة فعثرت على رسالة له شبّهها بأمثال هذه الكتب هي : **(كتاب الريح)** لابن خالويه وهي مطبوعة وملحقة بكتاب **الشجر** وقد نشرها أيضاً المستشرق الألماني صمويل ناجلبرغ ولدى اطلاعه عليها وجدت ابن خالويه يعتمد فيها اعتماداً كثيراً على من سبقه من الشيوخ والأئمة فهو ينقل عن ابن دريد وعن توادراللحياني وعن ابن مجاهد عن السمرى عن الفراء ، كما ينقل قراءة أبي عمرو بن العلاء وعاصم يستشهد بآيات أنشدتها سيبويه ونقطويه وابن دريد ويروى عن أبي عبد الله القاضى وأبى حفص بن الشحام .

ورأيت ابن خالويه في **(كتاب الريح)** كثيراً ما يستشهد بآيات القرآن الكريم .

ثم عدت في نهاية المطاف إلى **(كتاب الشجر)** أمعن النظر فيه فرأيته في منهجه يتفق مع منهج أبي زيد في تأليف مثل هذه الرسائل .

فالكتاب في جملته يعتمد على السمع من أفواه العرب وليس للرأي فيه مجال كبير ، كما أنه خلوا من التقول عن الأئمة فلم يرد فيه ذكر لعلماء العربية خلا عبارة دخيلة وردت لابن خالويه . ثم ان الكتاب حال من الاستشهاد بالقرآن الكريم .

وكانت خلاصة ذلك كله أنني رجحت - أو أيقنت - خطأ نسبة **(كتاب الشجر)** إلى ابن خالويه . وأنه في حقيقته كتاب أبي زيد .

ثالثاً : توثيق النصوص

وأخيراً فقد طفت أبحث في أمهات كتب العربية عن نصوص مقتبسة من **(كتاب الشجر)** لأبي زيد لمقارنتها بما جاء في الكتاب امعاناً في التوثيق وقد تجمع لدى من النصوص ما يلى :

أولاً :

أ - وقعت على نص في معجم لسان العرب منقول من كتاب **الكلا والشجر** لأبي زيد الذي بين أيدينا . وقد حرصت على تقديم النص كاملاً - برغم طوله - لأهميته حيث يعتبر تلخيصاً للصفحات السبع الأولى من الكتاب .

وقد ورد النص في لسان العرب على الوجه التالي^١ :

« قال أبو زيد في أول كتاب **الكلا والشجر** : **العِضاَه** اسْم يَقْعُدُ عَلَى شَجَرٍ مِنْ شَجَرِ الشَّوْكِ لِهِ أَسْمَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ يَجْمِعُهَا الْعِضاَهُ ، وَاحِدَتْهَا عِضاَهَةٌ ، وَانْمَا الْعِضاَهُ الْخَالِصُ مِنْهُ مَا عَظِيمٌ وَاشْتَدَ

شوكه ، وما صغر من شجر الشوك فانه يقال له العض و الشرس ، واذا اجتمعت جموع ذلك فما له شوك من صغاره عِض و شِرس ولا يُدْعَ عيَان عِضاها .

فمن العضاه السَّمَرُ والمرْفُطُ والستِيالُ والقرَطُ والقَنَادُ الأعظم والكَنَهَبُلُ والعَوْسَجُ والسَّدَرُ والغَافُ والغَرَبُ ، فهذه عضاه اجمع ومن عضاه القياس ، وليس بالعضاه الحالص الشَّوَّحَطُ والنَّبَعُ والشَّرَيْانُ والسِّرَاءُ والنَّشَمُ والعَجَرَمُ والنَّثَلَبُ والنَّفَرَقُ فهذه تدعى كلها عضاه القياس ، يعني القسي ، اذا حركت انفاقات ، ومن العض و الشرس القناد الأصغر ، وهي التي ثمرتها نفخة كنفخة العشر اذا حركت انفاقات ، ومنها الشَّبِرُمُ والشَّبِرِقُ والحاجُ واللَّصَفُ والكَلَبَةُ والعَتَرُ والشَّغَرُ وهذه عض و شرس وليس عض ولا عضاه الشكاعي والحلادى والحادِ والكُبُّ والسُّلَحُ .

ب - وقد وردت الفقرة الأولى من النص المتقدم بنفس الالفاظ تقريبا في أول الكتاب الذي بين أيدينا - والذي نسب خطأ إلى ابن خالويه - على الوجه التالي :

« العضاه اسم يقع على شجر الشوك له أسماء مختلفة يجمعها العضاه وواحدته العضاهه وعضهاه وانما العضاه الحالص منه ما عظم واشتد شوكه وما صغر من شجر الشوك فانه يقال له العض الشرس والعضاه الحالص اذا اجتمعت جموع ذلك قيل لما له شوك من ذلك كله عض وشرس ، والعض و الشرس لا يدع عيَان في الجموع عضاها » .

اما الفقرة الثانية التي ورد فيها بعض أسماء العضاه فقد جاءت تلخيصا لما جاء في الكتاب حتى الصفحة التاسعة .

ثانيا :

أ - جاء في مخطوطة شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي قوله : « و كنت قرأت كتاب الشجر والكلأ لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمة الله فقرأت عليه شُقَّارَي للجميع وشُقَّارَي واحدة و لُصَيْقَي للجميع و لُصَيْقَي واحدة » .

ب - وقد وردت اللفظتان في الكتاب الذي بأيدينا في الصفحتين : الثانية عشرة والثالثة عشرة .

ثالثا :

أ - ووُجِدَت في معجم لسان العرب مادة الأ ما يل : « الأَلَاءُ بوزن العلاء شجر . قال أبو زيد : هي شجرة تشبه الأَلَاءَ لَا تَغَيِّرُ في القيظ ولها ثمرة تشبه سنبيل الذرة، ومنتبتها الرمل والأودية . قال : والسَّلَامَانُ نحو الأَلَاءِ غير أنها أصغر منها، يتَّخذ منها المساوِيَكُ وثمرتها مثل ثمرتها ومنتبتها الأودية والصحاري .

ب - وقد جاء نفس التعبير في الكتاب الذي بين أيدينا حين ذكر أبو زيد أسماء الشجر فقال : « ومنه الأَلَاءَ تقدِيرُه العَلَاءُ وَالواحِدَةُ أَلَاءَةٌ وهي شجرة تشبه الأَلَاءَ لَا تَغَيِّرُ في القيظ ولها

١) كتاب الشجر / ١ المنسوب لابن خالويه . طبعة كرمان ١٩٦٩ .

٢) شرح الكتاب للسيرافي ٢١/٥

ثمرة تشبه سنبيل الذرة ومنتبتها الرمل والأودية . ومنه السلامان والواحدة السلامانة وهي نحو الألاء غير أنها أصغر من الألاء تتخذ منها المساويف وثمرتها نحو من ثمرتها ومنتبتها الأودية والصحاري ^١ .

رابعا :

أ - وقرأت في لسان العرب أيضا ما يلي ^٢ : « قال أبو زيد : ومن العض اليَبُوت والواحدة يَبُوتة وهي شجرة شاكة ذات غصنة وورق وثمرها جَرْوُ ، والجَرْوُ : وعاء بَذْرَ الكعابير التي في رؤوس العيدان ، ولا يكون في غير الرؤوس الا في مُحَقَّرات الشجر ، وإنما سمي جَرْوُ لأنَه مُدْخَرَج وهو من الشَّرْسِ والعِضَامِ وليس من العِضَامِ » .

ب - وقد وقعت في كتاب الشجر لأبي زيد الذي بين أيدينا والمنسوب خطأ لابن خالويه على نفس التعبير تقريبا ، جاء في الكتاب ^٣ : « ومنه اليَبُوت والواحدة يَبُوتة وهي شجرة شاكة ذات غصنة وورق وثمرتها جَرْوُ ومنتبتها الصهاري والسباخ ، والجَرْوُ وعاء بذر الكعابير التي في رؤوس العيدان ولا يكون جروا في غير الرؤوس الا في مُحَقَّرات الشجر وإنما سمي جروا لأنَه مُدْخَرَج فهو لاء شرس وغض وليس بعضاه » .

خامسا :

أ - ووردت العبارة التالية أيضا في لسان العرب ^٤ « قال أبو زيد : في العضاء الشَّبَرُمُ ، الواحدة شَبَرُمَة وهي شجرة شاكة ولها ثمرة نحو النَّسْخِر في لونه ونِبْتَتِه ، ولها زَهْرَة حمراء » .

ب - وقد قرأت هذه العبارة بنفس الألفاظ في كتاب الشجر الذي بأيدينا ^٥ .

سادسا :

أ - وفي معجم تهذيب اللغة للأزهري ^٦ ورد النص التالي : « وقال أبو زيد الغرب ، الواحد غربة وهي شجرة ضخمة شاكة حضراء وهي التي يتخذ منها الكُحْيل وهو القطران حجازية » .

ب - وقد وقعت على هذا القول لأبي زيد في كتابه الشجر الذي بأيدينا حيث ورد فيه : « ومنه الغرب ، والواحدة غربة وهي شجرة ضخمة شاكة حضراء وهي التي يتخذ منها الكُحْيل وهو القطران حجازية » ^٧ .

١	كتاب الشجر /
٢	نادة يَبُوت
٣	٨/ مادة شَبَرُمَة
٤	٧/ مادة شَبَرُمَة
٥	٦/ مادة / غرب
٧	٤/ مادة / غرب

سابعاً :

١ - وأخيراً فقد اطلعت أيضاً على العبارة التالية في لسان العرب^١ :

« قال أبو زيد : الغاف من العضاه وهي شجرة نحو القرط شاكمة حجازية تنبت في القفاف .

ب - وانظر معي الآن لما ورد في كتاب الشجر الذي بآيدينا^٢

« ومنه الغاف والواحدة غافه وهي شجرة نحو القرط شاكمة حجازية تنبت بالقفاف » .

تعقيب

وبعد ، فقد حرصت على ايراد تلك النصوص التي وقعت عليها في كتب العربية منسوبة لأبي زيد ، لمقابلتها بما ورد في (كتاب الشجر) المنسوب خطأ لابن خالويه ، ووضع ذلك كله أمام القاريء ، حتى أدفع الشك باليقين ، وأخلص إلى الحقيقة الثابتة ، وهي أن الكتاب الذي بآيدينا كتاب أبي زيد ، وأن المستشرق صمويل ناجلبرغ قد وقع في خطأ فادح عندما نسب الكتاب دون التحقق منه - لابن خالويه ، وقد تبعه في خطنه الزميل محمد أبو الفتوح شريف في بحثه عن ابن خالويه وأثره في الدراسات الصرفية .

وقد شعرت وأنا أورد النصوص المتقدمة وما يقابلها في (كتاب الشجر) أنني ربما أثقلت على القاريء بكثرتها ، ولكنني أردت أن أقدم الحقيقة ناصعة حتى لا أدع مجالاً لتشكك ، وحتى أضع الحق في نصابه ، وذلك ما قصدت وأرجو أن أكون قد وفقت فيه .

ثانياً : كتاب اللثبا واللبن

نسخ الكتاب

هذا الكتاب عبارة عن رسالة صغيرة لا تتجاوز الصفحتين ، جمع فيها أبو زيد الألفاظ اللغوية التي قيلت في اللبن .

وقد وصل الكتاب اليانا برواية تلميذين لأبي زيد : أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني وأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي .

جاء في مقدمة الكتاب « أخبرني الشيخ المذهب أبو الحسن على عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك بن إبراهيم بن عبد الملك السلمي الرقبي قراءة عليه بمدينة السلام في سنة ٥٥٥٣هـ (١١٥٨م) فأقرّ به قال : أخبرني الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجوالبي قراءة عليه يوم الخميس لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من سنة ٥٥٣٢هـ (١١٣٧م) فأقرّ به قال : أخبرنا الرئيس أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب بقراءاتي عليه فأقرّ به في ٤٩١هـ (١٠٩٨م) قال : أخبرنا الرئيس أبو الحسين هلال بن الحسن الكاتب قراءة عليه وأنا أسمع فأقرّ به في صفر ٣٢٥هـ (٩٣٦م) قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن السري السراج النحوي . قال أخبرنا أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري قال : أخبرنا أبو الحاتم سهل بن محمد السجستاني وأبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي قالا : قال أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري » .

أما خاتمة الكتاب فكانت العبارة التالية : « تمت صفات الـ **اللبا** والـ **اللبن** لأبي زيد والحمد لله تعالى » .

وقد نشر كتاب الـ **اللبا** والـ **اللبن** لأبي زيد الأب لويس شيخو عن مخطوطه وجدت في الكتبخانة الخديوية بمصر ، وأتبعه بملحق وفهرس بالألفاظ اللغوية الواردة في الكتاب .

أما نسخ الكتاب فهي :

١ - مخطوطة محفوظة بالكتبخانة الخديوية بمصر ضمن مجموع لغوي تحت رقم ١٦٦ والمجموع المذكور يحتوي على عدة فصول لغوية جليلة منها كتاب الشاء الذي قام بطبعه في فيينا الدكتور هفتر وكتاب المداخل لأبي عمر محمد الزاهد المعروف بسلام تعلب وكتاب البتر لابن الأعرابي وكتاب الأشربة لابن قتيبة وكتاب الدارات وكتاب النبات والشجر للامام الأصمعي .

أما كتاب الـ **اللبا** والـ **اللبن** لأبي زيد فهو الفصل الرابع من هذه المجموعة ويأتي في الصفحات من ٣١ إلى ٢٩ .

٢ - النسخة المطبوعة

وهي محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٨٣ لغة . وقام بنشرها عن المخطوطة السابقة الأب لويس شيخو مدير تحرير مجلة المشرق ضمن كتاب البلقة في شذور اللغة ، الذي تم طبعه بالطبعية الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤ م .

وقال الأب لويس شيخو في مقدمة الكتاب انه قام بمراجعةه على المعجمات الكبرى لثلاثة تذهب فائدته بما وقع من السهو في النسخة الأصلية . كما الحق الناشر في نهاية الكتاب فصلاً في اللبن والشراب نقله عن كتاب العرائيم المنسوب لابن قتيبة حتى تتم الفائدة .

وختتم الكتاب بفهرس للمفردات الواردة فيه .

وجاء كتاب الـ **اللبا** والـ **اللبن** بما أضيف له من ملحق وفهرس في الصفحات من ١٤١ - ١٥٣ من كتاب البلقة في شذور اللغة .

عرض مادة الكتاب

يخلو الكتاب من مقدمة يبين فيها المؤلف منهجه حيث يبدأ مباشرة في ذكر صفات الـ **اللبا** والـ **اللبن** ، فيقول : « العرب تقول في صفة الـ **اللبا** (مهموز مقصور) الـ **اللبا** (ولبات الناقة) وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقله حلبة ، والمفصح يقال : أفصحت الناقة وأفصح اللبن افصاحاً اذا انقطع وأخلص ، وهي الرّمنة تنزل في الضرع بعد الحلب ... » .

ويستمر على هذه الصورة في سرد صفات الـ **اللبا** والـ **اللبن** الى نهاية الكتاب فيذكر منها ستة وخمسين صفة ، وأبو زيد يورد هذه الصفات كيما اتفق دون نسق معين . ويستشهد في ثنايا الكتاب بالشعر وبلغ عدد ذلك أربع مرات .

وفي الكتاب عبارتان دخيلتان : الأولى لأبي حاتم وقد وردت في الكتاب على الوجه التالي « ... والـ **الدّوّق** الـ **اللبن** الكثير . قال أبو حاتم : لعله فارسي معرب يريد الدّوّق » .

اما العبارة الدخيلة الثانية فقد أوردها الرياشي قال : « صَرِى وَصَرِى لِفَتَانَ ، أَخْبَرَنِي أَبُو عَبِيدَةَ عَنْ يَوْنَسَ قَالَ : الْفَتَّاقُ وَالْفَتَّاقُ وَالْدَّرَّةُ » بعد الحلب حلبت على درتها وان لم تحلب فربما عجلت وربما أخرى ^١ .

ولعل من المفيد أن نعيد إلى الأذهان أن الكتاب وصل اليانا برواية أبي حاتم والرياشي .

توثيق الكتاب

سوف أكتفي في توثيق هذا الكتاب بالتوثيق التاريخي وتوثيق النصوص ، أما التوثيق المنهجي ، فما قلته عن منهج كتاب الشجر ينطبق على هذا الكتاب لأنهما يشتراكان في كونهما رسالتين لغويتين ، تعتمدان على السمع ولا مجال فيها للرأي أو الاجتهاد .

أولاً : التوثيق التاريخي

ذكر المؤرخون القدماء والمحدثون هذا الكتاب بين مصنفات أبي زيد ، وقد أطلق عليه بعضهم « **اللبن الحليب** » واختصر البعض الآخر فسماه ، **اللبن** ^٢ .

ومن المؤرخين القدماء الذين ذكروا هذا الكتاب : ابن النديم والقططي وابن خلkan وابن مكتوم وياقوت السيوطي ^٣ .

اما المحدثون فقد ذكره منهم : بروكلمان ، حاجي خليفة وخير الدين الزركلي ويوسف سركيس وعبد الصاحب الدجيل ^٤ .

(ثانياً) توثيق النصوص

تجمعت لدى نصوص من هذا الكتاب وجدتها في كتاب القدماء أجزئى منها ما يلى :

أولاً :

(أ) قال أبو الفتح بن جنی ^٥ : « قال أبو زيد نسأت اللبن أنسؤه نسناً وذلك أن تأخذ حليباً فتصب عليه ماء واسمها النس » .

(ب) وجاء هذا المعنى في كتاب **اللبا واللبن** حيث قال أبو زيد : « **النس** » وهو الحليب يخلطه الماء ويقال نسات اللبن أنساء نسناً ^٦ .

ثانياً :

(أ) وفي لسان العرب قرأت قول أبي زيد : « **أول الالبان اللبا** عند الولادة وأكثر ما يكون ثلاثة حلبات وأقله حلبة » ^٧ .

(١) البلقة في شذور اللغة / ١٤٢

(٢) الفهرست / ٥٥ ، انباء الرواة / ٢٥ / ٢ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، تلخيص اخبار النحوين / ٤١ ، معجم الأدباء / ١٢٦ / ١١ . بقية الوهأة / ٥٨٣ / ١

(٣) تاريخ الأدب / ١٤٦ / ٢ ، كشف الظنون / ١٤٥٤ / ٢ ، الأصلام / ١٤٤ / ٣ ، معجم المطبوعات / ٣١٢ ، اسلام العرب / ٩٨ / ١

(٤) المحتسب / ٤٠ / ٢ تاليف أبي الفتح عثمان بن جنی ، تحقيق على التجدى ناصف وزملاه ، طبعة القاهرة ١٣٨٦

(٥) البلقة في شذور اللغة / ١٤٣ / ١ / مادة **لبا**

(ب) وقد ورد هذا المعنى في أول كتاب **اللبا** حيث قال أبو زيد^١ : « **اللبا** (ولبات الناقة) وأكثر ما يكون ثلاث حلبات وأقله حلبة » .

ثالثاً :

(أ) وأورد الزمخشري في أمثاله : « **أهون مظلوم سقاء مرّوب** » وقال في ثنایا التعقیب على المثل : وقال أبو زيد : « **واما الرائب فهو المخوض المخرج زبنته** » .^٢

(ب) وجاء في كتاب **اللبا واللبن** قول أبي زيد^٣ : « **وقالوا الرائب الذي مخض وأخرجت زبنته** » وأورد شاهدا قول الشاعر :

أهون مظلوم سقاء مرّوب

تعليق

عثرت في كتاب المزهر للسيوطى على أقوال لأبي زيد في **اللبا واللبن** ، لم أجدها في كتابه الذي بين أيدينا ، وقد يعني هذا أن الكتاب لم يتضمن جميع أقوال أبي زيد في **اللبا واللبن** لأنه اقتصر على أقواله في الصفات فقط .

ويحتمل أن تكون عوادى الدهر عبشت بالكتاب وأضاعت بعضه ، فوصلينا الكتاب ، نقصا في شكله الحالى . لكن هذا الكلام يبقى مجرد احتمال الى أن يكشف البحث العقيقة في المستقبل .

ولدى اطلاعى على الملحق الذى أضافه الناشر إلى كتاب **اللبا واللبن** لأبي زيد ، والذي قال عنه أنه أخذته من كتاب **الجرائم** المنسوب لابن قتيبة وجدت هذه الأقوال في الملحق ، وتکاد تكون بنفس الألفاظ في أغلب الأحيان .

وقد يعني هذا أن ابن قتيبة نقل هذه الأقوال وضمنها كتابه دون أن ينسبها لقائلها ، وأنه اعتمد على أبي زيد في تأليف كتابه .

وأقدم الان الأقوال التي عثرت عليها لأبي زيد وما يقابلها في الملحق المنسوب لابن قتيبة على الوجه التالي :

أولاً :

(أ) جاء في كتاب المزهر للسيوطى^٤ : « **قال أبو زيد : فإذا جعل الزبد في البرمة ليطبح سمنا فهو الأذواب والاذابة** فإذا جاد وخلص ذلك اللبن من الثُّقل فذلك اللبن الاثرة والخلاص ، والثُّقل الذي يكون أسفل اللبن هو الخلوص ، وان اختلط اللبن بالزبد قيل ارتجنَ » .

١) البلقة في شذور اللغة / ١٤٢

٢) المستقى في أمثال العرب / ٤٤٤ - ٤٤٥ تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري . طبعة أولى . حيدر آباد سنة ١٢٨١هـ - ١٩٦٢م .

٣) البلقة في شذور اللغة / ١٤٥

٤) ٤٤٢/١ وانظر ايضاً لسان العرب / خلص

(ب) أما ما يقابل هذا النص في المحقق المنسوب لابن قتيبة ، فيكاد يكون بنفس الالفاظ تقريباً فانظر اليه^١ :

« والزبد حين يذاب في البرمة ليطبع سمنا فهو الاذواب والاذواة فاذا جاد وخلص ذلك اللبن من الشغل فهو الاثر والاخلاص ، والشغل الذي يكون أسفل اللبن هو الخلوص ، فاذا اختلط اللبن بالزبد قيل ارجعن .

ثانية :

(أ) أما النص الثاني فقد جاء في كتاب المزهر كما يلى^٢ : « قال أبو زيد : والماضي من اللبن الذي يحذى اللسان قبل أن يدرك وكذلك النبيذ . . . والاحلابة » اسم للبن تحلبه لأهليك وأنت في المرعى ، ثم تَبَعَّثُ به اليهم » .

(ب) وورد على لسان ابن قتيبة بالوجه التالي^٣ : « والاحلاب ما تحلبه في المرعى ثم تَبَعَّثُ به الى أهلك ، وقد أحلبتهم احلابا ، والماضي الذي يحذى اللسان قبل أن يدرك ، وقد مضر يضره مسحوراً وكذلك النبيذ » .

ثالثاً :

(أ) والنص الثالث قال فيه أبو زيد^٤ : « فان سُخِنَ الحليب خاصة حتى يحترق فهو صَحِيرَةٌ » .

(ب) وقال ابن قتيبة^٥ : « فان سخن الحليب حتى يحترق فهو صَحِيرَةٌ » .

ثالثاً - كتاب مسائية

وصل اليانا هذا الكتاب ملحقاً بكتاب النوادر حتى ان أغلبية علماء اللغة والمؤرخين يضيفونه الى كتاب النوادر ، وقد وقعت على نصوص من الكتاب عندما ناقلواها من كتاب النوادر . وسبب اطلاق هذه التسمية - مسائية - عليه - فيما نعتقد - أن الكتاب يبدأ بقول أبي زيد : « يقال سُنْتَه مسأة ومسائية وسوائية »^٦ .

واقع الأمر أن الكتاب في منهجه لا يختلف عن كتاب النوادر في شيء ، لذلك فسوف أسرد مع الرأي الغالب الذي يعتبر هذا الكتاب باباً من كتاب النوادر ، فلا أخصه بالحديث هنا ، لأنني سأتكلم بالتفصيل عن كتاب النوادر ، وقد سبقني الى ذلك ناشر كتاب النوادر الاستاذ سعيد الشرتونى وكذلك الدكتور محمد عبد القادر أحمد الذي قام بتحقيق الكتاب لأبي زيد .

وقد انفرد بذكر كتاب مسائية من المؤرخين الققطي^٧ .

١)	البلغة في شذور اللغة / ١٤٩
٢)	٤٤٢/١
٣)	البلغة في شذور اللغة / ١٤٩
٤)	المزهر للسيوطى ٤٤١/١
٥)	البلغة في شذور اللغة / ١٤٧
٦)	النوادر في اللغة / ٢٢٢
٧)	أنباء الرواة - القنطري ٢٥/٢

رابعاً - كتاب المطر

نسخ الكتاب

وصل اليانا كتاب المطر لأبي زيد برواية أبي عبد الله محمد بن العباس بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عن عمه أبي جعفر أحمد بن محمد عن أبي زيد .

والكتاب مطبوع ضمن مجموع بعنوان **البلقة في شلور اللغة** لكنه أشبه بالمخوظط في ندرته وقد تمكنت من تصويره عن نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة اليسوعية في بيروت .

وقد نشر المستشرق الاميركي غوتيل Gottheil كتاب المطر في مجلة الجمعية الشرقية الاميركانية سنة ١٨٩٥ (من ٢٨٢ - ٣١٢) ^١ عن مخطوطه المكتبة الأهلية بباريس فكان أول من نشر الكتاب .

وقد تبعه في نشر الكتاب الأب لويس شيخو مدير مجلة المشرق والدكتور هنري أستاذ اللغة العربية في جامعة أنسبروك حيث قاما بنشر الكتاب في مجلة المشرق سنة ١٩٥٠ عن نفس مخطوطه المكتبة الأهلية بباريس . ثم قاما بطبع الكتاب ضمن المجموع السابق الذكر سنة ١٩١٤ .

وقد افتتح الكتاب بعد البسمة بالعبارة التالية :

« قال أبو زيد الانصارى : قال القيسيون : أول المطر الوَسِيْمِيَّ وَأَنْوَافُهُ الْعَرْقُوْتَانِ المؤَخَّرَتَانِ من الدَّلَوِ ثم الشَّرَّاطِ ثم الشَّرِيَّاً ٠٠٠ ٠ وجاء في الختام عبارة « تم الكتاب والحمد لله على نعمه » . وقد أحق بالكتاب فهرس بالفردات الواردة فيه .

اما نسخ الكتاب فهي :

١ - نسخة المكتبة الأهلية في باريس : وهي محفوظة ضمن مجموع لغوي تحت رقم ٤٢٣١ تاريخها يرجع الى سنة ١٢٣١هـ الموافقة للسنة ١٢٣٣-١٢٣٤م . طول الكتاب واحد وعشرون سنتمرا ونصف ، وعرضه خمسة عشر سنتمرا ونصف وعدد الأسطر في كل صفحة خمسة عشر سطرا .

والكتاب منسخ على قرطاس متين وبخط نسخي محكم ضمن مجموع يحتوى على بعض تاليف مثل كتاب خطأ العoram وقصورة ابن دريد ، والنسخة مضبوطة بالشكل الكامل حسنة الخط وهي قليلة الأغلاط . ويأتي كتاب المطر لأبي زيد أول هذا المجموع اللغوى .

٢ - نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٨٣ لغة ضمن مجموع لغوى بعنوان « **البلقة في شلور اللغة** » نشرها الدكتور هنري أستاذ هنري لويس شيخو وتشتمل بالإضافة الى كتابي المطر ، واللبا واللبن لأبي زيد على مجموعة كتب للأصمسي ، وعلى شرح مثلثات قطرب ، وعلى رسالتين احداهما في المؤذنات السماعية ، والآخر في العروض العربية منسوبة الى النضر بن شعيب .

١) البلقة في شلور اللغة / ٩٩ . وقد أشار بروكلمان الى ان صفحات النشر ٢٨٨ - ٣١٢ - انظر تاريخ الادب ١٤٦/٢

وقد طبعت هذه النسخة بالطبعه الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩١٤ وعليها شرح يبين
غريبها للاب لويس شيخو .

عرض مادة الكتاب

دون العلماء مفردات اللغة في بادي الأمر حيشما اتفق ، وكانت تلك مرحلة متقدمة تبعتها مرحلة ثانية أخذ العلماء فيها يجمعون الألفاظ اللغوية المتصلة بموضوع معين في مؤلف خاص يسميه كتابا ، وقد يكون الكتاب بضم ورقات ، فهو أشبه ما يكون بمقالة أو رسالة في مفهوم الحديثين ، وتلك هي المرحلة السابقة لعمل المعاجم ١ .

وكتاب المطر لأبي زيد من هذه الرسائل التي ألفت في هذه الفترة حيث تضمنت الألفاظ اللغوية التي تلعق بظاهرة المطر وما يتصل به من برق ورعد وسحاب .
والكتاب يقع في ست عشرة صفحة ويشتمل على خمسة أبواب تحمل العناوين التالية : أسماء المطر ، الرعد ، البرق ، السحاب ، وأسماء المياه .

وقد بدأ أبو زيد بأسماء المطر وأنوائه ، فذكر للمطر أسماء كثيرة منها القِطْقِطُ والرَّذَادُ
والطَّقْشُ والبَغْشُ والدَّيْمَةُ والدَّهَابُ والوَبِيلُ والمِدْرَارُ . . . وغيرها .

أما أسماء الرعد التي أوردها أبو زيد في هذا الباب فهي : الارْزَامُ والثَّهَرَزُمُ والقَعْنَعَةُ
والرَّجَسُ والصَّاعِقَةُ والآزِيزُ .

ومن أسماء البرق التي وردت في الكتاب : الاستِطَارَةُ والثَّكَشِفُ والقُرَادُ والخَلَبُ
والوَمِيْضُ والعرَاضُ .

ويورد للسحاب أربعة وثلاثين أسماء ذكر منها : الغَيْمُ والفَرَاءُ والمُزَنُ والعَمَاءُ
والصَّبَّيرُ والرَّكَامُ والعَمَاءُ والضَّبَابُ والمَكْفَهِرُ .

ومن أسماء المياه التي يذكرها في هذا الباب : الْعَدْمُلُ والضَّحْلُ والضَّحْضَاجُ والرَّقَاقُ
والبَرَضُ والأجِنُ والمُغَرَّمِضُ والمُطَحَّلِبُ .

ويورد أبو زيد هذه الأسماء في الأبواب المختلفة كيما اتفق ودون نسق معين ، وهي في
مجموعها سمع عن العرب ، ولا مكان للرأي أو الاجتهاد فيها .

ولكنني رأيت أبا زيد ينسب بعض ما سمعه إلى القبائل كان يقول : ومن لغة الكلابين . . .
قال القيسيون . . . ، وهو قول عامة الكلابين . . .

ويروى عن العنبرى وهو أحد رواة القرن الثاني الهجري ، كما يروى عن شيخه رؤبة بن
العجاج .

ويستشهد في الكتاب بالشعر دون ذكر الشاعر في الأعم الأغلب مكتفيا بقوله : قال
الشاعر ، وقال الراجز ، وينفرد بذكر كثير عزة .
ولم يستشهد بالقرآن الكريم .

توثيق الكتاب

لن أتعرض للتوثيق المنهجى لأن الكتاب يخلو من الآراء الشخصية ، وسوف أكتفى للتوثيق الكتاب بالجانب التاريخي ، ثم انتقل بعد ذلك لتوثيق النصوص .

أولاً : التوثيق التاريخي

ذكر كتاب المطر لأبي زيد من المؤرخين القدماء : ابن النديم ، وابن خلكان والقفطي وياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين ، وصاحب روضات الجنات ^١ .

ومن المحدثين بروكلمان وخير الدين الزركلى ويوسف سركيس وصاحب ايضاح المكنون ، وعبد الصاحب الدجىل ^٢ .

ثانياً : توثيق النصوص

أما من حيث توثيق النصوص ، فقد وقعت في الكتب على نصوص كثيرة اجتزء منها الآتي:

أولاً :

(أ) جاء في كتاب الكامل للمبرد ^٣ : « قال أبو زيد الذهاب اسم للمطر كله ، ضعيفه وشديده » ^٤ .

(ب) وقد وردت العبارة بنفس الألفاظ في كتاب المطر لأبي زيد ^٥ .

ثانياً :

(أ) وانشد أبو الطيب اللغوى لأبي زيد ^٦ :

أَرَقْتُ لَهُ وَشَيَعْنَى رِجَالٌ وَقَدْ كَثُرَ الْمَخَالِلُ وَالسُّدُودُ

(ب) وهذا البيت أحد بيتين انشدتهما أبو زيد في كتاب المطر ، وقد ورد بكلمة « قعدت » بدل « أرقت » على الوجه التالي :

تَبَصَّرَ هَلْ تَرَى الْلَوَاحَ بَرَقْ أَوَانِلَهُ عَلَى الْأَفْعَامَ قَوْدٌ
قَعَدْتُ لَهُ وَشَيَعْنَى رِجَالٌ وَقَدْ كَثُرَ الْمَخَالِلُ وَالسُّدُودُ

جاء في لسان العرب : « وقال أبو زيد في كتاب المطر ^٧ : الغريل هو الطين يحمله السيل فيبني على وجه الأرض رطباً كان أو يابساً » .

(١) الفهرست / ٥٥ . وفيات الأعيان / ٢ / ١٢١ . انباء الرواية / ٢ / ٣٥ . معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ . بغية الوعاة / ١ / ٥٨٣ .

(٢) طبقات المفسرين / ٧٧ . روضات الجنات / ٢ / ٢١٢ . تاريخ الأدب / ٢ / ١٤٦ . الأعلام / ٣ / ١٤٤ . معجم المطبوعات / ٢١٢ . ايضاح المكنون / ٣٢٢ . أعلام العرب / ٦ / ٩٦ .

(٣) انظر كتاب البلقة في شذور اللغة / ١٠٣ / ١٠٣ .

(٤) الأضداد / ١ / ٢٢٩ . تاليف أبي الطيب اللغوى . ت تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق سنة ١٩٦٣ م .

(٥) البلقة في شذور اللغة / ١١٠ / ١١٠ .

مادة / غزل

(٦)

(ب) وقد وردت العبارة في كتاب المطر بلغة الغرين بدل الغريل . جاء في الكتاب : « والفرَّينَ » العلين الذي يحمله السيل فيبقى على وجه الأرض رطباً كان أو يابساً ^١ .

رابعاً :

(أ) وورد في لسان العرب قوله في مادة دوم : « فأما دوَّمت فعلى القياس وأما دَيَّمت فلاستمرار القلب في ديمة وديم ، أنشد أبو زيد :

هو الجوادِ ابن الجوادِ ابن سَبَّلٍ . انْ دَيَّمُوا جَادَ وَانْ جَادُوا وَبَلْ

(ب) وقد جاء هذا البيت في كتاب المطر لأبي زيد مع اختلاف في الرواية حيث ورد بقوله « أنا الجواد بن جواد » ، ووردت في العاشية رواية السكري للبيت بقوله « أنا الجواد بن الجواد » . واليك البيت كما أنشده أبو زيد في كتابه المطر :

أنا الجوادِ بْنُ جَوَادَ بْنَ سَبَّلٍ . انْ دَيَّمُوا جَادَ وَانْ جَادُوا وَبَلْ

وعقب أبو زيد بقوله : وقال العبرى : « ان دَوَّمَا جَادَ » ^٢ .

خامساً :

(أ) وجاء في لسان العرب ^٣ : « قال أبو زيد سنا البرق ضوء من غير أن ترى البرق أو ترى مخرجه في موضعه ، فانما يكون السَّنَّا بالليل دون النهار وربما كان في غير سحاب » .

(ب) وقد وردت العبارة في كتاب المطر لأبي زيد بنفس الألفاظ ^٤ .

سادساً :

(أ) وجاء في معجم لسان العرب أيضاً ^٥ : « وقال أبو زيد : العارض السحابة تراها في ناحية من السماء وهو مثل الجلب الا أن العارض يكون أبيض والجلب الى السواد . والجلب يكون أضيق من العارض وأبعد » .

(ب) وقد وردت العبارة السابقة بنفس المعنى مع اختلاف في بعض الألفاظ من حيث التقديم والتأخير ، جاء في كتاب المطر ^٦ : « والعارض السحابة تراها في ناحية السماء وهي مثل الجلب الا أن الجلب أبعد وأضيق من العارض . والعارض الأبيض أكثر ما يكون الى السواد .

خامساً : كتاب النوادر في اللغة

نسخ الكتاب

وصل اليانا كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد بروايتين :

الأولى : رواية أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المبرد المتوفي سنة

١	البلقة في شدور اللغة / ١١٠
٢	الرجع السابق / ١٠٣
٣	مادة / سنا
٤	البلقة في شدور اللغة ١٠٨
٥	مادة / عرض
٦	البلقة في شدور اللغة / ١١٠

٢٨٦هـ عن أبي محمد عبد الله بن محمد التوزي المتوفي سنة ٢٢٨هـ وأبي حاتم السجستاني سهل ابن محمد المتوفي سنة ٢٥٠هـ عن أبي زيد الانصاري ٠

والثانية : رواية أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السكري الحسن بن الحسين المتوفي سنة ٢٧٥هـ عن الرياشي أبي الفضل العباس بن الفرج المتوفي سنة ٢٥٧هـ وأبي حاتم السجستاني عن أبي زيد ٠

وهؤلاء جمِيعاً من أعلام اللغة الذين يرجع الفضل إليهم في حفظ لغتنا ٠

وقد اهتم علماء اللغة الأقدمون والباحثون المحدثون بالكتاب وأقبلوا عليه حفظاً ودراسة وشرحها ، وحرصوا على اقتناه ٠

فقد روى أن العباس بن الفرج الرياشي كان يحفظ الشعر الذي في هذا الكتاب كما يحفظ السورة من القرآن ^١ ، وكان أبو علي الفارسي يكاد يصلى بنوادر أبي زيد اعظاماً لها في حين كان لا يعتقد بنوادر اللحياني ، وقد قرأ ابن جنبي نوادر أبي زيد على أبي علي الفارسي فوصفها له أبو علي بقوله : ليس فيها حرف إلا ولأبي زيد تعلته غرض ما ، وعقب ابن جنبي على ذلك بقوله : وهي كذلك لأنها محشوة بالنكت والأسرار ^٢ ٠

وقام عدد من علماء اللغة بشرح الكتاب نذكر منهم : الأصمعي وأبا حاتم السجستاني وأبا عثمان المازني والبرد وأبا الحسن علي بن سليمان الأخفش ، وقد ترددت أسماؤهم في الكتاب ٠

ولم تتوقف العناية بالكتاب على أهل المشرق فقد وجدنا في الأندلس من كان يحفظ التوادر لأبي زيد ^٣ ٠

وفي عصرنا الحديث اطلع على الكتاب الأستاذ سعيد الشرتوبي فأعجب به وقام بنشره لتكامله الثالثة منه ، ووصفه لدى اطلاعه عليه قائلاً : « ولقد سرت النظر فوجده مم تبيع العذراء عقدها لتشترىه ويقتضى الأديب في قوله ليقتنيه » ^٤ ٠

كما قام أحد الباحثين المحدثين – وهو الدكتور محمد عبد القادر أحمد – بتحقيق الكتاب سنة ١٩٧١م ، لكن التحقيق ما زال مخطوطاً ولم ينشر بعد ٠

وقد حان الوقت لذكر نسخ الكتاب المخطوط منها والمطبوع على الوجه التالي :

١ - نسخة كوبيريل

وهي أقدم النسخ ، موجودة بمكتبة كوبيريل تحت رقم ١٤٠٦ مكرر وتقع في ١٢٦ صفحة ، وقد ذكرها بروكلمان في تاريخه ^٥ ٠

٢ - نسخة الشنقيطي بدار الكتب المصرية

وهي تحت رقم ٤٤ ش ، أولها هذا كتاب أبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت مما سمعه من الفضل بن محمد الضبي ومن العرب قال أبو حاتم : قال لي أبو زيد : ما كان من شعر القصيد ٠٠٠

(١) التوادر في اللغة / ٢

(٢) انظر سر الصناعة / ١٢٠ تأليف ابن جنبي . مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لغة ٠

(٣) فهرست ابن خير الشيبيلي / ٣٧١

(٤) التوادر في اللغة . المقدمة / ٤

(٥) انظر تاريخ الأدب العربي ١٤٦/٢ تأليف كارل بروكلمان . ترجمة الدكتور عبد العليم النجار ، دار المارف سنة ١٩٦١م ٠

وهي مخطوطة بقلم مغربي بخط العلامة اللغوي الكبير الشيخ محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي ، وباسفل كل بيت منها تفسيرات كثيرة كالشرح عليها لغريب مفرداتها ، ومضبوطة بالحركات وبها منها تقييدات .

وهي ضمن مجموعة مخطوطة تحتوى على كتابين مخطوطين أحدهما خود الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى وهو المطبوع المعروف بامال المرتضى ، وثانيهما كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الانصاري .

٣ - نسخة ثالثة

بمعهد أحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية تحت رقم ٢٨٩ لغة وهي مصورة على ميكروفيلم من مكتبة عاطف أفندي في تركيا .

٤ - النسخة المطبوعة

نشرها الاستاذ سعيد الخوري الشرتوبي اللبناني سنة ١٨٩٤ م عن نسخة بخط اللغوي الكبير عبد الله بن المكرم الانصاري صاحب لسان العرب . وقد تم طبع الكتاب بالمطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت والحق في آخرها كتاب مسائية لأبي زيد وهو الكتاب الذي يضيفه بعض الناس الى كتاب النوادر .

وقد أعيد طبع الكتاب سنة ١٩٧٧ ، وفي آخره ملحق بزيادات نسخة عاطف أفندي بعد الاطلاع عليها .

وفي نهاية الكتاب فهرس باسماء الرجال والشعراء والفاظ اللغة التي وردت في الكتاب .

وقد جاء الكتاب المطبوع في مائتين واثنتين وستين صفحة عدا الفهارس والزيادات .

٥ - النسخة المحققة

وقد قام بتحقيق كتاب النوادر في اللغة الصديق الدكتور محمد عبد القادر احمد باشراف الدكتور يوسف خليف حيث منح درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧١ م . والكتاب ما زال مخطوطا وهو موجود بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٩٨١ رسائل .

وقد جاء التحقيق في أربعمائة وحادي وخمسين صفحة عدا الفهارس ، أوله : « قال تمام ابن عبد السلام بن محمد بن أحمد اللغوي اللغوي رحمة الله : قرأت على أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد بن بستان بفسطاط مصر ، قال : أخبرنا ابو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال : أخبرنا ابو العباس محمد بن يزيد الأزدي ، قال أخبرني التوزي وأبو حاتم السجستاني عن أبي زيد ، قال الأخفش : وأخبرني أبو سعيد الحسن بن الحسين البصري المعروف بالسكري عن الرياشي وأبي حاتم عن أبي زيد ، قال ابو سعيد : هذا كتاب أبي زيد ٠٠٠

وآخره : تم كتاب النوادر وما يضاف اليه من كتاب مسائية بحمد الله ومنه وصل الله على خيرته من خلقه محمد النبي وآلـه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما .

عرض مادة الكتاب

لم يبين لنا أبو زيد المنهج الذي سار عليه في تاليف كتابه **النواودر في اللغة** . فقد خلا الكتاب من مقدمة . فهو يبدأ بالعبارة التالية : « أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن أحمد ابن بسام قال أخبرنا أبو الحسن ٠ ٠ ٠ »

وكما خلا الكتاب من مقدمة ، خلا كذلك من خاتمة الا ما جاء في آخره من عبارة : « تم كتاب **النواودر** وما يضاف اليه من كتاب مسائية بحمد الله ومنه ٠ »

وقد قمت بدراسة الكتاب فوجده يحتوى على ستة عشر بابا كما في النسخة المطبوعة : ثلاثة أبواب خاصة بالشعر وسبعة بالرجز وستة بالنواودر .

أما أبواب الشعر فقد جاء ترتيبها في الكتاب على النحو التالي: الأول والثالث والعادى عشر .

وجدت بالذكر أن أبو زيد يصرح في أول الكتاب بأن ما جاء في كتابه من شعر القصيدة فهو سماعه من المفضل بن محمد الضبي . وعندما يأتي بآيات لم يسمعها من المفضل فإنه يشير إلى ذلك^١ .

وطريقته في أبواب الشعر أن يأتي بالبيت أو البيتين أو المقطوعة ، ويشرح ما فيها من ألفاظ غريبة ، وي تعرض لما فيها من ظواهر لفوية ، وقد يأتي بالمعنى الاجمالي بعد ذلك ، ويستشهد أثناء الشرح بآيات أخرى من الشعر وبآيات من القرآن الكريم .

ورأيته يذكر قائل البيت أو الآيات ويعرف به فيذكر اسم قبيلته وعصره ، ويشير إلى أنه جاهل أو اسلامي أو يقول ٠ ٠ ٠ وأدرك الاسلام أو ٠ ٠ ٠ وأدرك معاوية ، وقد يكتفي بقوله : أنشدته بعض القشيريين ، أو : وقال رجل جاهل .

ويشك في نسبة بعض الأبيات لواحد من شاعرين فيثبت ذلك تحقيقا للأمانة العلمية فيقول : وقال زهير بن مسعود الضبي أو سعيد ، فيعقب تلميذه أبو حاتم ويثبت هذا الاحتراز ويقول : شك أبو زيد .

ويصوب خطأ وقع فيه غيره من الناس فيروي شعرا لكتب سعد بن مالك الغنوى ثم يقول : « وهذا الشعر يرويه بعض الناس لسهم الغنوى والثبت ما ذكرت لك ٢ » .

وقد وردت بعض الأبيات في كتاب **النواودر** دون ذكر قائلها وقبلها علماء اللغة واستشهدوا بها لأن أبو زيد ثقة عندهم مأمون ، ولم يغض ذلك من قيمة الكتاب ، فقد وردت أبيات في كتاب سيبويه غير منسوبة لقائلها ومع ذلك تناقلها العلماء .

أما طريقة في اختيار الأشعار فلم تكن على أساس التذوق الأدبي فقد تعمد اختيار الأبيات التي تخدم الدراسة اللغوية بحيث تحتوى على فوائد لفوية والفالاظ نادرة فجاءت كما وصفها ابن جنی محسنة بالنكت والأسرار ، ليس فيها حرف الا ولا بـ زيد تحته غرض ما^٣ .

وقد وردت بعض الأبيات التي تحوى أخبارا كتلك التي تروى قصة الشاعر عدى بن زيد مع النعمان ، وكان عدى كاتب النعمان فقتله بعد عذاب طويل ومساءلة كثيرة^٤ .

١) انظر **النواودر في اللغة** / ١٦٢ ، ١٦٣

٢) المراجع السابق / ٣٧

٣) مخطوطه من الصناعة لابن جنی / ١٢٠

٤) انظر **النواودر في اللغة** / ٢٦

ووردت أبيات أخرى تروي خرافات كتلك التي تحكي قصة عمرو بن يربوع والسلعنة التي تزوجها فأقامت عنده حتى ولدت له بنتين فأبصرت ذات يوم برقا فقالت^١ :

الزمْ بَنِيكَ عَمْرُو أَنِي آبِيقَ بَرْقَ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي أَلِقَ

قال عمرو :

اَلَا لِكَمْ ضَيْفُكَ يَا اَمَّا

وقال الشاعر :

يَا قَاتِلَ اللَّهِ بْنِي السَّعَلَاتِ عَمْرُو بْنِ يَرْبُوعِ شَرَارِ النَّاثِ
غَيْرَ اعْفَاءٍ وَلَا اَكِيَاتِ

وقد عاب أبي زيد على هذه الرواية تلميذه الجاحظ المعتزلي ، وفصلت ذلك عندما تحدثت عن اتجاه أبي زيد العلمي^٢ .

اما الشعر الذي ورد في كتاب التوادر فكان بعضه جاهليا ، منه ما كان موغلا في جاهليته حتى ان أبي الحسن الأخفش عقب على بعض الأبيات قائلا : « حدتنا أبو العباس أحمد بن يعيي أن هذا الشعر من أقدم ما قيل في الجاهلية^٣ .
واما البعض الآخر فكان شعرا اسلاميا .

وقد لاحظت خلو الكتاب من الشعر العباسي نظرا لتوقف التحويين في عصر أبي زيد عن الاستشهاد بشعر المولدين .

وقد وقعت في الكتاب على أسماء كبار الشعراء الجاهليين كثير منهم كان من أصحاب المعلقات ، ومن الجاهليين المشهورين الذين وردت أشعارهم في الكتاب : أمرف القيس وطرفة بن العبد وعمرو بن كلثوم وعنترة والنابغة والأعشى .

كما وقعت على أسماء كبار الشعراء الاسلاميين ومنهم جرير والفرزدق والأخطل وابن الرقيات والمعاج ورؤبة بن العجاج .

واما أبواب الرجز في الكتاب فقد جاءت اكثر أبوابه عددا اذ بلغت سبعة أبواب ، جاء ترتيبها على التوالي : الثاني والرابع والخامس والسابع والتاسع والثاني عشر والخامس عشر .

غير ان هذه الأبواب لم تقتصر على الرجز ، فقد رأيت أبي زيد يدخل فيها كثيرا من شعر القصيدة وأخص البابين الخامس والتاسع حيث طفى القصيدة على الرجز .

اما طريقة في أبواب الرجز فهي نفسها التي اتبعها في أبواب الشعر وهي ان يأتي بالأبيات ويأخذ في شرح مفرداتها الغريبة ويستشهد اثناء الشرح بأبيات من الشعر وبآيات من القرآن الكريم على نحو ما كان يفعل في أبواب الشعر .

١) التوادر في اللغة / ١٤٧

٢) انظر البحث / ٤٤

٣) التوادر في اللغة / ١١٢

وقد رأيته يتعمد اختيار الرجز المحسو بالألفاظ الغريبة، ولا عجب في ذلك فقد كان أبو زيد رجل غريب .

ووردت مفردات غريبة في الباب التاسع صعبت على العالِم اللغوي أبي الحسن الأخفش عندما تعرّض لشرح الكتاب فعرضها على شيوخه فلم يتمكّنوا من معرفة معناها ، قال أبو الحسن : « سالت جماعة شيوخنا عن قوله آتَاهُنَّا وَآتَنَا وَجَهِيرَ فَمَا عُرِفُوهُ وَلَا عُرِفَتِهُ إِلَى هَذِهِ الْمُؤَاخِدَةِ » .^١

وقد ساعدت أبي زيد في فهمه هذه الأرجاز وشرحها معرفته الواسعة بكلام العرب ، انظر اليه في أحد أبواب الرجز حين يقول : « يقال لفرخ الضَّبِّ حين يخرج من بيضته حسل ثم يكون غيداً فما ثم يكون مطْبَعَخاً ثم يكون ضَبَّاً مدركاً » .^٢

وفي باب آخر يقول : « النَّقَالُ وَاحِدُهَا نَقْلٌ وَهِيَ النَّعَالُ ، وَالنَّقَلَانُ وَالنَّقَلَانُ الْخَلْقَانُ الْلَّتَانُ قد خصّفنا فتقطعت سير الرّقّاع منها . يقال نقلت أشدَّ النَّقَالِ وهي التي يجرّها صاحبها جرأً والنَّقْلَة بكسر النون وتسكين القاف من النساء التي يتراكتونها فلا يخطّبونها من الكبر . والنَّقَيلُ الغريب في القوم ان رافقهم أو جاورهم » .^٣

وهكذا تجد معرفة واسعة بكلام العرب .

لكن أبي زيد نادراً ما يذكر اسم القائل في أبواب الرجز ويكتفي في أغلب الأحيان بأن يقول: ... قال الراجز ... أو قال آخر ... أو قال راجز من قيس ... أو وانشدني الأسديون .

ويصرّح في أول الكتاب بأن ما فيه من رجز فهو سماعه عن العرب وعندما ينشد رجزاً عن المفضل يشير إلى ذلك .^٤

ويختار رجزاً يحمل أخباراً فيذكر قصة قيس بن عاصم عندما أخذ ابنته حكيمًا وأمه منفوسه بنت زيد الفوارس الضبي فرقصه وقال :

أَشَبِّهُ أَبَا أَمْكُ أَوْ أَشَبِّهُ حَمَلَ لَا تَكُونَنَ كَهِلَّوْفَ وَكَلَّ
يَبِيَّتٌ فِي مَقْعَدِهِ قَدْ اِنْجَدَلَ وَارْقَ إِلَى الْخَيَّرَاتِ زَنَّا فِي الْجَبَلِ

فأخذته منفوسه منه ثم قالت :

أَشَبِّهُ أَخِي أَوْ أَشَبِّهَنَّ أَبَاكَا أَمَّا أَبِي فَلَنَّ تَنَالَ ذَاكَا
تَقْصُرُ أَنْ تَنَالَ يَدَاكَا

(١) التواجد في اللغة / ١١٨
(٢) المرجع السابق / ٩٢
(٣) المرجع السابق / ١٨٢
(٤) المرجع السابق / ١٠٥
(٥) المرجع السابق / ٩٢

اما أبواب النوادر فجاءت في الكتاب ستة، ترتيبها على النحو التالي : السادس والثامن والعاشر والثالث عشر والسادس عشر .

والنوادر على ما يبدو هي الغرض الأساس لتأليف الكتاب وهي التي حملت اسمه .
وهذه الأبواب سماها أبو زيد عن العرب كما يصرح في أول الكتاب .

ويعرضها أبو زيد في الكتاب على شكل آقوال نثرية ، بينما في الفالب بكلمة يقال ، ومثال ما ورد من النوادر في الكتاب ما يلي :

« يقال ركب فلان **السجنة** اي ركب الطريق وركب فلان **ملك الطريق** اي **سَعَهُ** ،
ويقال انطلق فلان **مهلا** اذا انطلق القوم شاكثون **انطلق** ام لا **يَشِمُ انطلاقه** . ويقال
زَمَهَرَتْ عينا فلان **زمَهَرَتْ** اذا احمررتا **وَغَسَبَ** . ويقال ما **يَعْضُ** فلان الا على **دُرْدُرِهِ** اي
ليست له **أَسْنَان** فهو **يَعْضُ** على **لَثْتِهِ** . ويقال ما لى به **نَبَهَ** اي لم **أَنْتَسِهِ** له ، ويقال **أَبْنَاتِ**
الرَّجَلِ انبالا اذا **وَهَبَتْ** له **نَبَلا** او **سَهَما** **وَاحِدَادِهِ** ^١ .

وقد ينسب هذه النوادر الى قبائلها وأصحابها كمان يقول : **قَالَ الْكَلَابِيُونَ الْمَهْرُوسُ**
وَالْمَجْعُوشُ واحد وهي **هَرِيسَة** وجشيشة وقال ابو المتضا الكلابي : **الْهَرِيسُ وَالْجَشِيشُ**
الحب حين يدق بالمهراس قبل ان يطبع فإذا طُبِخَ فهو **هَرِيسَة** وجشيشة اذا جشوه ^٢ .
وسمعت رجلا منبني عقيل يقول هم الثنون قالوا ذاك ولم يقل الذين ^٣ . وقال رجل منبني
حنظلة ما رأيت من المرأة **مُوْقِفَهَا** . وقال رجل من بكر بن وائل أخذت هذا منه يا فتن
ومنهما ومنهم قال وقال ولم **أَعْرِفَهُ** ولم **أَضْرِبَهُ** فكسر الماء مع الباء ^٤ .

وسمعت اعرابيا منبني تميم يقول ^٥ : **فَلَانَ كَبِرَةُ** **وَلَدَ** ايها اذا كان اكبرهم وقال
رجل منبني عبس ^٦ وقيس يقول ^٧ **وَقَالَ الْقُشَّرِيُونَ** ^٨ . وسمعت اعرابيا من اهل
العالية يقول ^٩ **وَسَمِعْتُ نَمِيرَا** **تَقُولُ** ^{١٠} **وَسَمِعْتُ بَعْضَ الْمَجَلَانِيِّينَ** ^{١١} وهو قولبني كعب
ابن عبد الله بن ابي بكر . وتقول **يَسِّسَ** **يَسِّسَ** **وَحَسِّبَ** **يَحَسِّبَ** في لغة عليا مضر
وسفلها يقولون **يَسِّسَ** **يَسِّسَ** **وَحَسِّبَ** **يَحَسِّبَ** ^{١٢} .

والكتاب في هذه الناحية دراسة واسعة للغات العرب . لكن ابا زيد - رحمه الله - فوت
عليها فرصة كبيرة لأنه اورد اغلب النوادر في الكتاب دون ان ينسبها الى قبائلها وبذلك لم تكتمل
الفائدة المرجوة من الكتاب في هذا المجال .

والكتاب بعد ذلك يدلنا على كثرة تنقلات ابي زيد في الbadia وكثرة القبائل التي طاف بها
في رحلاته وروى عنها ، كما يؤكده لنا اتساع ابي زيد في الرواية ، وتلك صفة عرف بها .

ولا يكتفي ابي زيد بعرض هذه النوادر بل يعتمد في اغلب الاحيان الى شرح غريبها كان يقول :
« ويقال جعل القوم **حُبُولَهُمْ** على **غَوَارِهِمْ** **الْحُبُولُ** واحدها **حَبَلُ** وهي الارسان .
وَالْفَوَارِبُ واحدها غارب وهي أعلى **كُلَّ شَيْءٍ** ^{١٣} .
والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب .

١) **النوادر في اللغة** / ٨٨

٢-٨) المرجع السابق / ٨١ . ٨٩ . ١٧٠ . ١٧١ . ٩٧ . ٢٢٥ ، ٨٣ على الترتيب .

ويكثر من الاستشهاد بالشعر أثناء شرح هذه النوادر ، جاء في الكتاب : « وقال رجل مقتولين ورجلان مقتولين وكذلك المرأة والنساء وهو الذي يخدم 'ال القوم بعلم بطنه ، وقال عمرو بن كلثوم :

تَهَدَّدَنَا وَأَوْعِدَنَا رُوَيْدَا مَتَى كُنَّا لَامِكَ مَقْتُولِينَا
الْوَاوُ مفتوحة وبعضهم يكسرها أي متى كنا خدما لامك ١

والشعر هنا يأتي لخدمة النوادر وليس كما يرد في أبواب الشعر والرجز ٠

كما يستشهد بآيات من القرآن الكريم لايضاح المعنى جاء في الكتاب ٢ : « ويقال أَسْقَيْتَ الْأَرْضَ اسْقَاءَ إِذَا حَفَرْتَ لَهَا نَهْرًا تَشْرَبُ مِنْهُ وَسَقَيْتَ الْأَرْضَ سَقَيَّاً إِذَا وَلَيْتَ ذَلِكَ لَهَا وَيَقُولُ قَدْ أَسْقَانَا اللَّهُ إِذَا أَرْسَلَ عَلَيْنَا مَطْرًا عَامًا وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَسْقِيْهِ مَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ٣ ٠

ويستشهد كذلك بالأمثال ، قال أبو زيد : « يقال ذِمْتُهُ أَذِيمَهُ ذَيْمَا وَذَاماً ٠ أبو زيد وقالوا في مثل لا تُعَدَّمُ الحسنة ذاماً أي عيبة ٤ ٠

وأثناء عرضه لهذه النوادر يروى أخبارا عن العرب ، قال أبو زيد ٥ : « ويقال قد دَخَلْتُ فِي غَيْثَرَةِ النَّاسِ وَأَفْرَّتِهِمْ مُشَدِّدَةَ الرَّاهِ وَهُمَا وَاحِدٌ ، إِذَا رَأَيْتَ قَوْمًا مُخْتَلِطِينَ قَدْ اجْتَمَعُوا فَدَخَلْتُ فِيهِمُ الْغَيْنَ مِنْ غَيْثَرَةِ مَعْجَمَةٍ ٠ قَالَ : وَزَعَمُوا أَنَّ امْرَأَةَ أَمْرَتْ زَوْجَهَا بِالسَّمْسَرَةِ فَقَالَ لَهَا وَيْلَكَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ أَوْضَعَ أَنْ نِسَاءَ أَصْحَابِيْ خَيْرَ لَهُمْ مِنْكَ لَيْ قَالَتْ وَكَيْفَ ذَلِكَ قَالَ إِنَّهُنَّ يَنْبَذِنُنَّ لِأَزْوَاجِهِنَّ فَتَسْقِيَ الرَّاهِ زَوْجَهَا قَبْلَ أَنْ يَغْدُ شَرَبَةَ قَالَتْ فَانَا أَبِدُ لَكَ فَنَبَذَتْ لَهُ جَرَّةً مِنْ نَبِيَّهُ فَلَمَّا كَانَ سَحَرَ أَيْقَظَتْهُ وَلَجَرَّتْهُ تَهَمَّتْ وَالْكَتَيْتُ الْفَلَيَانُ ٠٠٠ فَسَقَتْهُ مِنْهَا عَنْدَ طَلُوعِ الزَّهْرَةِ مِثْلَ هَمَّزَةَ ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُ غَدَّا إِلَى السُّوقِ فَأَقَامَ مَا أَقَامَ ثُمَّ حَسَبَ حَسَابَهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ وَضَعَ عَشَرَةَ دِرَاهِمَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

قَدْ أَمْرَتَنِي ذَوْجِنِي بِالسَّمْسَرَةِ وَصَبَّحْتُنِي لِطَلُوعِ الزَّهْرَةِ
عَشَرَيْنِ مِنْ جَرَّتِهَا الْمُخْمَرَةِ فَكَانَ مَا أَصْبَتْ وَسَطَ الْفَيَثَرَةِ
وَفِي الزَّحَامِ أَنْ وَضَعِيتُ عَشَرَةَ

ونقع في هذه الأبواب على أسماء شيوخ لابي زيد كأبي السماں العدوی ورُوْبة بن العجاج . كما نجد نقولا عن جماعة من ثقات الأعراپ وفصحائهم طالما أخذ عنهم صاحبنا وأئد منهم ومن هؤلاء : أبو خيرة العدوی وأبو المضاء الكلابي وأبو مرة الكلابي والمنتجع بن نبهان وأبو الصقر والحجاج الكلابي والخرماني والعلکل ٠

١) النوادر في اللغة / ١٨٨ ، ٢٢٣

٢) سورة الفرقان ، آية : ٤٩

٣) النوادر في اللغة / ٩٧

٤) المراجع السابق / ١٣٧

و قبل أن أنهي حديثي عن مادة الكتاب ، تجدر الاشارة الى أنه قد اشتمل على كثير من المسائل الصوتية والصرفية وال نحوية ، وكانت قد أعددت عرضاً لبعض هذه المسائل هنا ، ولكن خشيتني من الاطالة جعلتني أرجع عن ذلك ، خاصة وأنني سوف ا تعرض لتفصيل هذه المسائل في حديثي عن مذهب أبي زيد النحوي .

وبعد ، فالكتاب في مجموعه ثروة لفظية هائلة ، فلا نعجب اذا وجدناه مصدراً هاماً لكتير من علماء اللغة في مؤلفاتهم ، وقد وقعت على نصوص كثيرة من الكتاب في مختلف كتب التراث سوف اعرض بعضها عند توثيق الكتاب .

توثيق النوادر

اولاً : التوثيق التاريخي

حظي كتاب **النوادر** بعناسة المؤرخين قدماً و حديثاً ، فلا يكادون يذكرون شيئاً من مؤلفات أبي زيد حتى يكون كتاب **النوادر** في مقدمتها ، وذلك يظهر لنا مدى أهمية الكتاب وكثرة اقبال الدارسين عليه .

و من المؤرخين القدامى الذين ذكروا كتاب **النوادر** في اللغة لأبي زيد : ابن النديم والأزهري وابن خلkan وابن مكتوم والقطناني وياقوت السيوطي ١ .

اما المحدثون فقد ذكره منهم بروكلمان وخير الدين الزركلى ويوسف سركيس ٢ .

ثانياً : التوثيق المنهجي

جاء كتاب **النوادر** مطابقاً لمنهج أبي زيد في النحو واللغة على النحو التالي :

أ - بعد عن التعليل : سوف افصل هذه المسألة عند الحديث عن مذهب أبي زيد النحوي ، ولكنني اكتفي هنا بالاشارة الى أن أبي زيد فسي منهجه قد بعد عن التعليل وخرج على المدرسة البصرية في ميلها الى التعليل واحتفانها به ، وقد جاء كتاب **النوادر** في اللغة مطابقاً لمنهج أبي زيد في بعده عن التعليل ٢ .

ب - القياس على الشاذ : اهتم البصريون بوضع الأصول بعد استقرار الأمثلة ، و كانوا اذا سمعوا مثلاً مخالفاً لتلك الأصول حاولوا تأويله والا نعمته بالشذوذ والنادر وتوقفوا عن القياس عليه .

اما الكوفيون فكانوا اذا سمعوا لفظاً في شعر او نادر كلام جعلوه باباً ، وأنهم لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّا عليه .

و عرف عن أبي زيد البصري تحرره وشخصيته المستقلة فكان يقيس على الشاذ كما سأوضح ذلك بالتفصيل عند الحديث عن مذهب النحوي ، ولكنني هنا أبادر فأقول : ان كتاب **النوادر** في اللغة جاء مطابقاً لمنهج أبي زيد وتفكيره في هذه المسألة وان أبي زيد قد صرخ فيه بالقياس على الشاذ واليك المثال التالي :

١) الفهرست / ٥٥ ، تهذيب اللغة / ١٢١ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، تلخيص اخبار التعوين / ٤١ ، انباء الرواية / ٣٥ / ٢ ، معجم الادباء / ٢١٧ / ١١ ، بقية الوعاء / ٥٨٣ / ١ .

٢) تاريخ الأدب / ٢ / ١٤٦ ، الأعلام / ٣ / ١٤٤ ، معجم المطبوعات / ٣١٢ / ٢ .

٣) انظر البحث / ١١٢ وما بعدهما .

جاء في نوادر أبي زيد قوله : وسمعت أعرابيا منبني تميم يقول فلان " كبيرة ولد أبيه اذا كان أكبرهم .

ومعروف أن الصيغة في أ فعل التفضيل هي « أ فعل » ومعنى ذلك أن قول الأعرابي في نظر البصريين شاذ لا يقاس عليه .

لكن أبو زيد قاس عليه وقال في نفس الكتاب : فلان صِفَرَةٌ ولد أبيه وعِجَزَةٌ ولد أبيه اذا كان آخر ولد يولد لأبيه .

ج - الاتساع في الرواية : احترم أبو زيد السماع ، ووسع دائرة الأخذ ، ولم يكن ليكتسي عن رواية ما سمعه ولو كان نادرا غريبا فسيرأي غيره من البصريين . وكان خروجه إلى الbadiaة جادا يهدف إلى جمع المزيد من الشروء اللغوية التي كانت مادة للدرس الاستقرائي ، وبذلك كان أقرب إلى فهم الطبيعة اللغوية .

وقد لحظت النهج نفسه في كتاب **النوادر** لأبي زيد حيث يقول : « والنتكلُّ والقَيْدَ يجعلان من الحديد والقُدَّةَ » . وعقب أبو الحسن الأخفش قال : « هكذا حكى عن أبي زيد نكل بفتح النون وما علمت أحدا حكاما ولا حكيمت عنه الا بكسر النون » .

وقد حكاما يعقوب في المتنق نِكل بكسر النون عن أبي زيد .

د - الاختفاء بالغريب : كان أبو زيد رجل غريب ، وقد جاء كتابه **النوادر** في اللغة مليئا بالالفاظ الغريبة ومطابقا لمنهجه في هذا المجال . روى أبو زيد في كتابه **النوادر** : اعرنفز الرجل اعرنفازا اذا مات . وعقب أبو الحسن الأخفش على الرواية فقال : « أخبرني محمد بن يزيد قال : قرأت هذا الكتاب من اوله إلى آخره على أبي محمد التوزي فلم ينكر منه الا حرف واحد وهو ان أبي زيد قال : اعرنفز الرجل اذا مات . ولم يعرفها التوزي .

ه - الاستشهاد بال الحديث الشريف : توقف القدماء من البصريين والkovفيين على السواء عن الاستشهاد بال الحديث النبوى .

الا أن أبي زيد بما عرف عنه من تحرر وشخصية مستقلة قد استشهد بال الحديث الشريف، وقام منهجه في النحو واللغة على أساس جواز الاستشهاد بال الحديث ، وسوف أفصل الكلام في هذه المسألة عند الحديث عن مذهب أبي زيد في الشروء المفظية .

وما أود قوله الان هو أن كتاب **النوادر** في اللغة قد جاء موافقا لمنهج أبي زيد القائم على جواز الاستشهاد بال الحديث الشريف .

٢٠١) **النوادر في اللغة** / ٩٧ ، ٢٤٥

٢) اصلاح المتنق / ٩٨ تأليف ابن السكبيت ، تحقيق احمد شاكر وزميله ، الطبعة الثالثة ، دار المارف بمصر سنة ١٩٤٩

٤) **النوادر في اللغة** / ٩٠ وقد وجدت مصنفة في الكتاب والصواب ما ذكرت ، انظر مخطوطة **النوادر** المحققة / ١٦١

٥) **النوادر في اللغة** / ٣١٧

ثالثاً : توثيق النصوص

أبادر هنا فأعترف بأنني لم أجد صعوبة في العثور على نصوص من كتاب التوادر في كتب اللغة ، فقد كان الكتاب في حد ذاته مادة هامة للكثير من علماء اللغة ، وفي مقدمتهم أبو علي الفارسي وابن جنني ، حتى أن يوهان فوك في حديثه عن شرح ديوان المتنبي لابن جنني أشار إلى أن الكتاب اشتمل على القسم الأعظم من التوادر اللغوية التي جمعها أبو زيد^١ .

ولقد تجمع لدى كثير من النصوص أجزئه منها ما يلي :

أولاً : أ) جاء في كتاب (سر صناعة الاعراب) لابن جنني قوله : قرات على أبي علي في توادر أبي زيد لقيس بن جروة الطائي جاهلي^٢ :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَحْتَلَ لَا بِصَهْوَةِ حَرَامِ عَلَيَّ رَمْلَهُ وَشَقَائِقَهُ
فَانِّي لَمْ تَفِيرْ بِعَضَ مَا قَدَّ صَنَعْتُمْ لَا تَعْنِنِ الْمَعْظَمَ ذُو أَنَا عَارِفَهُ
ب) وقد ورد البيتان في كتاب التوادر لأبي زيد بنفس الألفاظ باستثناء كلمة (احتل) التي ورد بدلها (أحل) ، و (حرام) التي ورد بدلها (كرام)^٣ .

ثانياً : أ) ورد في كتاب المنصف على لسان ابن جنني قوله : « وأخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي سعيد عن أبي زيد في كتاب التوادر : وقالوا احبنطيت احبنطاء وهو محبنتط غير مهموز في كلامهم »^٤ .

ب) وقد ورد نفس النص بنفس الألفاظ في كتاب التوادر لأبي زيد^٥ .

ثالثاً : أ) وفي المزهور قال أبو زيد في توادره : قلت لأعرابية بالعيون بنت مائة سنة مالك لا تأتين أهل الرفقة ، فقالت : اني أخزى أن أمشي في الرفاق أي أستحي^٦ .
ب) وقد اطلعت على نفس النص في كتاب التوادر في اللغة لأبي زيد^٧ .

رابعاً : أ) وفي أمالى المرتفق^٨ روى عن أبي زيد أن قيس بن عاصم المنقري أخذ صبياً له يرقسه وام ذلك الصبي منقوسة ، وهي بنت زيد الفوارس ضرار الضبي ، فجعل قيس يقول له :

أَشِبِّهُ أَبَا أَمْكَأَ أَوْ أَشِبِّهُ حَمَلَّ وَلَا تَكُونَنَ كَهِلَّوْنَ وَكَلَّ
وَارِقَّ إِلَى الْخِيرَاتِ زَنَّا فِي الْجَبَلِ

(١) انظر كتاب العربية ليوهان فوك ١٧٨/١

(٢) مخطوطة سر الصناعة لابن جنني ١٤٥/٢

(٣) التوادر في اللغة ٦١/٦

(٤) المنصف لابن جنني ٩/٣

(٥) التوادر في اللغة ١٩٨/٥

(٦) المزهور لليسوطي ١٣٩/١ وقد وردت الخطاء في نقل النص والصواب ما جاء في التوادر .

(٧) التوادر في اللغة ٢/٢

(٨) أمالى المرتفق ٢/٢٨٦ تالب التربت المتنبى على بن العسين الملوى ، تحقيق محمد أبو الفضل ، طبعة معا .

١٩٥٦

فأخذته امه وجعلت ترقضه وتقول :

أشبـهـ أخـيـ أـوـ أـشـبـهـنـ أـبـاـكـاـ أـمـاـ أـبـيـ فـلـنـ تـنـالـ ذـاـكـاـ
تـقـضـرـ عـنـ مـنـالـهـ يـدـاـكـاـ

ب) وقد قرأت القصة بكمالها في كتاب **النواود في اللغة** لأبي زيد^١ .

خامساً : أ) ونقل صاحب اللسان عن أبي زيد في نواوده خمسة أبيات أنشدتها للبيت في الشمل أولها^٢ :

وقد ينشئ الله الفتى بعد عشرة وقد يجمع الله الشتت من الشمل
ب) والآيات الخمسة موجودة في كتاب **النواود في اللغة** لأبي زيد ، وقد زيد عليها بيت واحد للبيت هي قوله^٣ :

وأيـةـ أـمـ لـاـ تـكـيـبـ عـلـىـ اـبـنـهـاـ عـلـىـ شـجـبـ أـوـ لـاـ يـصـادـفـهـاـ نـكـلـ

سادساً : كتاب الهمز

لأبي زيد ثلاثة كتب في الهمزة هي : **تحقيق الهمز** ، **وتحريف الهمز** ، ثم **كتاب الهمز** الذي نحن بصدده الحديث عنه .

أما الكتابان الأول والثاني فهما مفقودان ، لذلك فسوف أرجي الحديث عنهما الآن ، وسيأتي في ذلك عند الحديث عن آثار أبي زيد المفقودة .

أما كتاب الهمز الذي بين أيدينا فمطبوع إلا أنه أشبه بالخطوط في ندرته وقد قمت بتصويره عن أصل محفوظ بالجامعة اليسوعية في بيروت ، بعد أن تطلبيه في المكتبات فلم أثر عليه .

وقد وصل إلينا الكتاب برواية الشيخ أبي الفضل عمر بن عبيدة الله بن البقال عن أبي الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ .

ونشره الأب لويس شيخور في مجلة المشرق سنة ١٩١٠ ، ثم قام بطبعه بالمطبعة الكاثوليكية في السنة نفسها .

نسخ الكتاب

أما نسخ الكتاب فهي :

١ - النسخة المخطوطة

وقد وردت ضمن مجموع قديم خط^٤ سنة ٦٤٩هـ - ١٢٥١م وقد وقف على مضمون هذا المجموع اللغوي المشهور الحسن بن محمد الصفاني وأجازه .

١) **النواود في اللغة** / ٩٢

٢) مادة شمل

٣) انظر **النواود** / ٢٩

وهذا المجموع يتالف من ستة آثار لغوية وأدبية تبلغ ثلاثة عشر صفحة ملکه رجل دمشقي ، وأفرد كل آثر وحده أعلاه بالربع ، فاقتئاماً الآب أنسناس الكرمل .

وكتاب **الهمز** لأبي زيد يأتي في مقدمة هذا المجموع ويبلغ ثمانية وأربعين صفحة ، وفي الصفحة الواحدة خمسة عشر سطراً .

وقد وقع في النسخة بعض إغلاط أشار إليها ناشر الكتاب في النسخة المطبوعة .

٢ - نسخة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٣٧٠ لغة وهي نسخة مطبوعة قام بنشرها عن النسخة المخطوطة السابقة الآب لويس شيخو ، طبع المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين سنة ١٩١٠ ، وفي آخر الكتاب فهرس بالألفاظ الواردة فيه وفهرس آخر بأسماء الشعراء التي وردت في الكتاب .

وقد جاء الكتاب المطبوع في أربعين صفحة بما في ذلك الفهارس . بدأه الناشر بتوطئة تحدث فيها عن المخطوطة التي نشر عنها الكتاب ، كما تحدث عن كتب أبي زيد المنشورة الأخرى ، وعن اختلاف رسم الهمزة بين النسختين : الأصل والمطبوعة .

وذكر في أول الكتاب بعد البسمة رواه على النحو التالي : « أخبرنا الشيخ أبو الفضل عمر ابن عبد الله بن عمر البقال الفقيه بقراءتي عليه فاقر به قال : أخبرنا الشيخ أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس فيما قرئ عليه وأنا أسمع في يوم السبت الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتي عشرة وأربعين ، قال : حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد بن يوسف بن جعفر الكاتب يوم الخميس النصف من رمضان سنة خمس وستين وثلاثة . قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي قراءة علينا من لفظه وأنا أسمع في صفر سنة خمس وثلاثة وسمعنا قبل ذلك مرة أخرى في سنة أربع وثلاثة قال : أخبرني أبو جعفر أحمد بن أبي محمد اليزيدي عمي في سنة خمسين وما تئن قال : قرأت على أبي زيد هذا الكتاب .

أما الخاتمة فقد جاء فيها : تم كتاب **الهمز** بحمد الله وذلك في سحر الثلاثاء الثاني من ذي القعدة من سنة تسع وأربعين وستمائة (١٢٥١م) والحمد لله أولاً وأخراً وظاهراً وباطناً وصلواته على رسوله محمد النبي وأله الأكرمين وسلامه .

(وجاء على الهاشم بخط آخر) بلغت المقابلة بالأصل المنتسخ عنه وكتب المتجوّي ، حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصفاني .

عرض مادة الكتاب

تتحضر أهمية هذا الكتاب في أنه نزوة لفظية هامة ، قدم فيها أبو زيد مجموعة من مفردات اللغة التي اتفقت في كون الهمزة أحد حروفها ، سواً كانت الهمزة فاءً للكلمة كما في قول أبي زيد^١ : « أدر الرجل يادر أدر اذا امتنلا صفن خصبيه وهو جلدتها ، وتقول : أفر الرجل يافر أفر اذا وثب وعدا ، وتقول : قد أكر الرجل ياكر أكر اذا احتفر أكرة في الفدير فيجتمع الماء له فيها فيفترقه صافياً » .

أو كانت الهمزة عيناً للكلمة كما في قوله ^١ : **بَؤْسَ الرَّجُلِ يَبْؤُسُ** 'باساً إذا كان شديد البأس وفي البؤس' : **قَدْ بَثِيسَ يَبَاسُ بَثِيسَاً وَبَثِيسَاً** 'أو كانت الهمزة لاما كما في قوله ^٢ : **قَدْ دَنَّا يَدَنَّا** 'دَنَّاء وَدَنَّوْ' إذا كان دَنَّينا لا خير فيه' .

ويهم أبو زيد في عرضه لهذه المفردات بالتصريف كان يقول ^٣ : **دَفِيَّ الرَّجُلِ يَدَفِنَّا** 'دَنَّا وهو رجل دَنَّان وامرأة دَفَنَّى دَفَنَّى' وبيت دَفِيَّ 'غرفة دَفَنَّة' .

كما يعرض اللفظة في وجوهها المختلفة ، يقول أبو زيد فسي باب من الهمز ^٤ : « عَبَّاتُ الطَّيْبِ عَبَّاتُ اذَا صَنَعْتُهُ وَخَلَطْتُهُ ، وَتَقُولُ : ما عَبَّاتُ بِفَلَانِ عَبَّاتُ اذَا لَمْ تَصْنَعْ بِهِ شَيْئاً وَعَبَّاتُ المَتَاعِ اذَا هَيَّاتُهُ وَعَبَّاتُهُ تَعْبِيَّةٌ كُلُّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، وَعَبَّاتُ الْخَيْلِ تَعْبِيَّةٌ وَتَعْبِيَّةٌ ، وَتَقُولُ هُوَ عَيْبٌ وَجَمَاعَهُ الْأَعْبَاءُ وَهُوَ الْحِيلُ' .

ويقدم هذه المفردات دون نظام معين وترتدى بين آونة وأخرى عبارة : وتقول في باب آخر من الهمز .

والكتاب في مجموعه سماع عن العرب ، وينسب أبو زيد فيه اللغات إلى قبانها في أحيان كثيرة ، كان يقول ^٥ : « ... ولقد هنُّ هناءً وهناءً وهنَّ وهنَّا (تيسم يقول هنَّا وقيس هنَّا) ، وصَرَّاعَهُ صَرَّاعَةٌ تَمِيَّعَةٌ وصَرَّاعَةٌ قَيْسِيَّةٌ .

ويضم الكتاب عن معرفة أبي زيد الواسعة بكلام العرب ، كان يقول أبو زيد : ليس في الأرض قيسى الا يقول القشّاء برفع القاف ^٦ .

وفي الكتاب استشهاد بالقرآن الكريم وبالشعر العربي في كثرة زائدة . وأكثر الشعراء الذين تردد ذكرهم في الكتاب : ذو الرمة ورُؤبة بن العجاج وزهير بن أبي سلمى .

توثيق الكتاب

أولاً : التوثيق التاريخي

ذكر كتاب الهمز من المؤرخين القدماء ^٧ : ابن النديم والأزهري كما ذكره ياتوت وابن خلkan والقطناني وأطلقوا عليه الهمزة .

ومن المحدثين ^٨ ذكره خير الدين الزركلي ويوسف سركيس وعبد الصاحب الدجىلى وبروكلمان وقد سماه : كتاب الهمز وتحقيق الهمز وهو كتابان كما أشرنا سابقاً وقد اعتبرهما بروكلمان كتاباً واحداً .

ثانياً : توثيق النصوص

استحوذ كتاب الهمز لأبي زيد على اهتمام كثير من الباحثين فكثرت لأجل ذلك النقول من الكتاب ، وقد تجمعت لدى نصوص كثيرة اجتنزى منها ما يلى :

١- (الهمز) / ٧ ، ١٢ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٤ على الترتيب تاليف أبي زيد الأنصاري ، الناشر : الألب لويس شيهتو ، طبعة بيروت ، سنة ١٩١٠ .

٢) الفهرست ٥٥ ، تهذيب اللغة ١٢/١ . معجم الأدباء ٢١٧/١١ . وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، انباء الرواة ٢٥/٢ .

٣) الأعلام ١٤٤/٣ ، معجم المطبوعات ٢١٢ . اعلام العرب ٩٨/١ . تاريخ الأدب ١٤٦/٢ .

أولاً : أ) ورد في كتاب المنصف لابن جنی قوله ^١ : « وقرأت على أبي علي عن أبي الحسن علي بن سليمان عن أبي العباس عن الفضل عن أبي زيد في كتاب الهمز : « وتقول أحبنطات احبنطاء اذا افتح جوفك » .

ب) وقد وردت هذه العبارة في كتاب الهمز المطبوع لابي زيد بنفس الالفاظ ^٢ .

ثانياً : أ) وجاء في معجم لسان العرب ^٣ : وقال أبو زيد في كتاب الهمز : ارامت الجرح ارءاما اذا داويته حتى يبرا فيلتثم » .

ب) وقد ورد قول أبي زيد في كتاب الهمز قال ^٤ : « وتقول ارامت الجرح ارءاما اذا داويته حتى يبرا فيلتثم » .

ثالثاً : أ) وقال صاحب اللسان أيضاً ^٥ : وأنشد أبو زيد في كتاب الهمز :

وقد تأجوا كثُرَاج الغنَمَ

ب) وقد ورد انشاد أبي زيد في كتاب الهمز بنفس الالفاظ ^٦ .

رابعاً : أ) وجاء في الامتناع والمؤانسة : حکى أبو زيد قال : قد هجا غرني اذا ذهب ، وقد اهجا طعامكم غرني اذا قطعه قال الشاعر :

فأخراهمْ رَبِّيْ وَدَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ مَطْعَمَ غَيْرِ مَهْجِيٍّ ^٧

ب) وقد ورد قول أبي زيد هذا في كتابه الهمز حيث قال : « وتقول : هجا غرني هجا اذا ذهب وقد أهجا طعامكم غرني اذا قطعه اهباء .

قال الشاعر :

فأخراهمْ رَبِّيْ وَدَلَّ عَلَيْهِمْ وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ مَطْعَمَ غَيْرِ مَهْجِيٍّ ^٨

خامساً : أ) كما ورد في كتاب الابدال لابي الطيب اللغوي نقل من كتاب الهمز ، قال أبو الطيب : قال أبو زيد : يقال سابت الرجل سابا وسائته سأنا وهم واحد اذا خنقته خنقا ^٩ .

ب) وقد جاء هذا القول في كتاب الهمز ، قال أبو زيد : وتقول في باب آخر : سابت الرجل سابا وسائته سأنا وهم واحد اذا خنقته خنقا ^{١٠} .

(١) ٩/٣

(٢) الهمز لابي زيد ٢٠

(٣) مادة / رام

(٤) الهمز ٧

(٥) مادة / ثاج

(٦) الهمز ١٧

(٧) الامتناع والمؤانسة لابي حيان التوحيدى ٣٧/٣

(٨) الهمز ١٨

(٩) الابدال لابي الطيب اللغوي ٥٧٥/٢

(١٠) الهمز ١٣

تعقيب : أورد ابن جنی في كتابه الموسوم **سر صناعة الاعراب** بيتين من الشعر ذكر أنه قرأهما على أبي علي في كتاب **الهمز** لأبي زيد :

أولهما : قال أبو الفتح وقرأت على أبي علي في كتاب **الهمز** لأبي زيد :

ثُمَّ استمرَّ بِهَا شِيخانْ مُبْتَجِحٍ بِالْبَيْنِ عَنْكَ بِمَا يَرِئُكَ شَنَّا إِنَا^١

وثانيهما : قال أبو الفتح : وقرأت على أبي علي في كتاب **الهمز** لأبي زيد :

خَرِقَ إِذَا مَا قَوْمٌ أَبْدَوُا وَجَاهَةً يَفْكِرُ آبَاهُ لَعْبَوْنَ أَمْ قَرْدَ^٢

وبحثت في كتاب **الهمز** المطبوع فلم اعثر على البيتين أو أحدهما ، في حين عثرت على البيت الأول في كتاب آخر لأبي زيد وهو كتاب **النواودر** ، وقد جاء أحد ثلاثة أبيات هي :

هَلْ تَرْجِعُنَ لَيَالِيْ قَدْ مَضَيْنَ لَنَا
وَالْعِيشُ مُنْقَلِبٌ إِذْ ذَالِكَ أَفْنَانَا
إِذْ نَحْنُ فِي غَيْرَةِ الدَّنَيَا وَبَهْجَتِهَا
وَالدَّارُ جَامِعَةُ أَزْمَانَ أَزْمَانَا
لَا استمرَّ بِهَا شِيخانْ مُبْتَجِحٍ بِالْبَيْنِ عَنْكَ بِمَا يَرِئُكَ شَنَّانَا^٣

وتروقت عند هذه المسالة ، وفي رأيي أن الأمر لا يبعده أن يكون أحد ثلاثة أشياء :

- ١ - فاما أن يكون ابن جنی قد وقع في سهو وأنه لم يقرأهما في كتاب **الهمز** .
- ٢ - واما أن يكون قد قرأهما في كتاب **تخفيف الهمز** أو **تحقيق الهمز** لأبي زيد فسقطت الكلمة الأولى .

٣ - أو أن يكون كتاب **الهمز** الذي بين أيدينا فيه نقص ، وأنه لم يصل اليه الصورة الصحيحة التي اطلع عليها ابن جنی وقرأها على شيخه أبي على الفارسي .
ولكني أرجح الأمر الثالث وهو أن كتاب **الهمز** لأبي زيد لم يصل اليه كاملا واستند في ترجيحي لما يلي :

١ - أن الكتاب طبع عن نسخة فريدة امتلكها دمشقي كما يقول ناشره ، فلم يقابل بنسخة أخرى .

ب - أن البغدادي قد أورد نصاً لأبي زيد قال انه آخر كتاب **الهمز** ، وعندما رجعت الى كتاب **الهمز** المطبوع الذي بين يديّ لم أجده هذا النص في آخر الكتاب ، ومن هنا رسم اعتقد باختلاف النسختين ونقص النسخة التي بين يديّ .

اما النص الذي أورده البغدادي فهو^٤ : قال أبو زيد في آخر كتاب **الهمز** ، وسمعت رجلاً من بني كلاب يكفي أباً الأصبع يقول : هذه دابة وهذه شابة وهي امرأة ماءة . وهذا شاب وماء

١) سر صناعة الاعراب لابن جنی / ٣٠٩ ، مخطوطه بدار الكتب المصرية رقم ١٢٠ لسنة ٢٠٠٠ .

٢) المرجع السابق / ٢٧٠

٣) النواودر في اللغة لأبي زيد / ١٨٤ ونلاحظ اختلافاً في الرواية فقد أورد ابن جنی « ثُمَّ استمرَّ بِهَا شِيخانْ مُبْتَجِحٍ بِالْبَيْنِ عَنْكَ بِمَا يَرِئُكَ شَنَّانَا » وكذلك قوله « كما يرئاك » بدل « بما يرئاك » . والشيخان : الشبور ، والمبتجح : المفتر .

٤) خزانة الاقب ١٦٨/٤ عبد القاهر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين وزملاه ، الطبعة الأولى . مصر سنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م .

فيهمز الألف في كل هذه العروض . وذلك أنه نقل عليه اسكان حرفين معا ، وان كان الأصل الآخر فيما التحرير ، كما استثنى بعض العرب في الوقف اسكان الحرفين في قولهم اضربه ، أكرمه ، أحبسه ، قال : من الرجل .

قد قلت للسائل قدْه اعجلْه

وهذا آخر كتاب الهمز .

في حين أن آخر كتاب الهمز كما وصل اليانا قول أبي زيد : وتعول أنهات الأمر انهاء اذا لم تبرمه ولم تنضجه ^١ .

الآثار المفقودة

اما كتب أبي زيد المفقودة فسوف اعرضها مرتبة ترتيباً ابعدياً على النحو التالي :

١ - الابل

هذا الكتاب من الرسائل اللغوية التي سبقت تأليف المعاجم وقد ذكر تارة باسم الابل والثاء ، وتارة أخرى مختصرًا باسم الابل .

ولقي الكتاب عناء من المؤرخين القدماء والمحدثين وقد ذكره من القدماء ^٢ : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقططي والسيوطى وابن كثير وصاحب طبقات المفسرين ، وصاحب هرآة الجنان وصاحب عيون التواریخ .

ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وبروكلمان وعمر كحاله ^٣ .

وقد وقعت على نقل من الكتاب في صحاح العوهي حيث جاء فيه ^٤ : « وقال أبو زيد في كتاب الابل : العبيشة الناقة الجسيمة . والعبيش : الأسد . »

٢ - الآيات

لا نعرف عن مضمون هذا الكتاب شيئاً فهو مفقود ، وقد ذكره من المؤرخين القدماء ^٥ ابن النديم والقططي وصاحب عيون التواریخ .

ومن المؤرخين المحدثين انفرد بذكره صاحب ایضاح المکنون ^٦ .

٣ - أسماء الأيام

انفرد بذكر هذا الكتاب من المؤرخين ابن خير الأشبيل ^٧ ، ولا نعرف عن مضمونه شيئاً فلم نقع على نقل أو ذكر لكتاب في مرجع آخر .

(١) الهمز ٣٢ /

(٢) الفهرست ٥٥ / ، وطبقات الأفیان ١٢١ / ٢ ، معجم الأدباء ١١ / ٢١٦ ، انباه الرواية ٢١٦ / ٢٥ ، بقية الوعاة ٥٨٢ / ١ ، البداية والنهاية ٢٢٠ / ١٠ ، طبقات المفسرين ٧٧ ، مرآة الجنان ٣ / ٢٦ ، عيون التواریخ ٩١ / ٦ .

(٣) كشف النقون ١٢٨٣ / ٢ ، تاريخ الأدب ١٤٧ / ٢ ، معجم المؤلفين ٤ / ٢٢٠ .

(٤) مادة / عمثل

(٥) الفهرست ٥٥ / ، انباه الرواية ٣٥ / ٢ ، عيون التواریخ ١٩١ / ٦ .

(٦) ایضاح المکنون ٢٦٢ .

(٧) فهرسة ما رواه عن شیوخه ٣٧١ تالیف ابی یکر محمد بن خیر الأشبيلی ، الطیبة الثانیة ، مصر سنة ١٢٨٢ م - ١٩٦٣ م .

٤ - الأمثال

اهتم علماء اللغة في عصر أبي زيد بجمع الأمثال والاستشهاد بها في مجال اللغة ، حتى انهم أثروا فيها كثيرا من الكتب .

ومن بين هذه الكتب التي اشتهرت كتاب أبي زيد في الأمثال ، حيث بلغت شهرته الأندلس ، وكان من بين كتب الأمثال التي دخلتها^١ .

كما كان أحد الكتب التي اعتمد عليها الميداني في تأليف كتابه **مجمع الأمثال** حيث يقول في المقدمة : « فطالعت من كتب الأئمة الأعلام ما امتد في تقصيه نفس الأيام مثل كتاب أبي عبيدة وأبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد وأبي عمرو وأبي فيد^٢ .

لكن عوادي الدهر أتت على الكتاب فلم يصل اليانا ، ولقد تجمع لدى كثير من الأمثال المروية عن أبي زيد ، حيث أكثر أبو عبيدة البكري والميداني من الرواية عنه في كتابيهما في الأمثال .

أما المؤرخون وأصحاب الطبقات فقد ذكر الكتاب منهم^٣ : ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ .

٥ - ايمان عثمان

يظهر لنا من عنوان الكتاب أنه ليس كتابا في اللغة . وقد أشرت في حديثي عن بيئة أبي زيد أن البصرة في عصره كانت تعيش بالماهاب الدينية والفكرية وقد أحدث مقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه جدلا في العالم الإسلامي ، وكان للبصرة في ذلك نصيب ، وظهرت مشاركة أبي زيد في هذا الجدل وتأثيره به في تأليف هذا الكتاب الذي لم يقدر له أن يصل اليانا ، ولو وقع الكتاب تحت أيدينا لكشف لنا الكثير عن اتجاه أبي زيد العلمي .

ويظهر لنا هذا الكتاب أن أبو زيد لم يقتصر في تأليفه على اللغة فحسب وإنما قد جاوزها إلى موضوعات أخرى .

ذكر الكتاب ابن النديم والقططى وياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب ايضاح المكنون^٤ .

٦ - البرى والخزائم

انفرد بذكره من المؤرخين ابن خير الاشبيلي^٥ ، وهذا مبلغ علمنا بالكتاب .

٧ - بيوت الشعر

لا نعرف عن مضمون هذا الكتاب شيئا ، وقد انفرد بذكره من المؤرخين ابن خير الاشبيلي^٦ .

١) انظر فصل المقال ، المقدمة / ط تأليف أبي عبيدة البكري تحقيق احسان عباس وزميله ، ط . المطرود / سنة ١٩٥٨ .

٢) **مجمع الأمثال** ٤/٤ تأليف الميداني تحقيق محمد معيين الدين ، طبعة مصر سنة ١٤٢٤ - ١٩٥٥ .

٣) **معجم الأدباء** ٢١٦/١١ ، **بقية الوعاء** ١/٥٨٣ ، **طبقات المفسرين** ٧٧ ، **عيون التوارىخ** ١١/٦ .

٤) **الفهرست** ٥٥ ، **أنباء الرواية** ٢١٦/٢٥ ، **معجم الأدباء** ١١/٥٨٣ ، **بقية الوعاء** ١/٥٨٣ ، **طبقات المفسرين** ٧٧ .

٥) **ايضاح المكنون** ٢٧٧ .

٦) **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ٣٧١ .

٧) **الرجع السابق** ٣٧١ .

٨ - بيوتات العرب

اقترن اسم أبي زيد بهذا الكتاب ، وقد لقي عناء من المؤرخين القدماء والمحدثين ، فذكره من القدماء^١ : ابن النديم وباقوت والقططى والسيوطى وابن خلkan ، وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات الجنات وصاحب عيون التوارىخ .

كما ذكره من المؤرخين المحدثين^٢ : حاجي خليفة وخير الدين الزركلى وصاحب معجم المؤلفين .

٩ - البيان

عنوان الكتاب يشير الى أنه في الأدب ، فقد كان صاحبنا من أئمة الأدب ، قرأ دواوين الشعراء على المفضل الصبى ، وكانت له تصانيف أدبية ولغوية .
لكن الكتاب مفقود ، وقد انفرد بذكره صاحب كتاب مرآة الجنان^٣ .

١٠ - التسلية

ذكره ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين^٤ ، وهذا مبلغ علمنا بالكتاب .

١١ - تحقيق الهمز

عشر لويس شيخو ناشر كتاب الهمز لأبي زيد على هذا الكتاب ملحقا بكتاب الهمز . لكنه تضيعض ولم يبق منه الا أسطر قليلة فضرب عنه الناشر صفحات .
وقد انفرد بذكر الكتاب ابن النديم^٥ . وذكره بروكلمان ملحقا بكتاب الهمز عندما أطلق على الاخير الهمز وتحقيق الهمز فجعلهما كتابا واحدا^٦ .

١٢ - تخفيف الهمزة

سماه السيوطى تخفيف الهمز الواحد ، وأشار اليه السيرافي بقوله : ولأبي زيد كتاب في تخفيف الهمز على مذهب أهل النحو^٧ .
لكن عوادى الدهر أنت على الكتاب فلم يقع تحت أيدينا ، وقد اهتم المؤرخون بالكتاب فذكره منهم : ابن خلkan وباقوت والقططى والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين ، ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة^٨ .

(١) الفهرست / ٥٥ ، معجم الأدباء ١١/٢١٦ ، انباء الرواية ٢٥/٢ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، وفيات الاعيان ٢/١٢١ ، طبقات المفسرين ٧٧ ، روضات الجنات ٣١٢ ، عيون التوارىخ ١٩١/٦ .

(٢) كشف الظنون ١/٢٦٥ ، الاعلام ٣/١٤٤ ، معجم المؤلفين ٤/٢٢٠ .

(٣) مرآة الجنان ٢/٥٩ .

(٤) معجم الأدباء ١١/٢١٦ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، طبقات المفسرين ٧٧ .

(٥) الفهرست ٥٥ .

(٦) تاريخ الأدب ٢/١٤٦ .

(٧) أخبار النعوين ٤١/١ .

(٨) وفيات الاعيان ٢/١٢١ ، معجم الأدباء ١١/٢١٦ ، انباء الرواية ٢٥/٢ ، بقية الوعاة ١/٥٨٣ ، طبقات المفسرين ٧٧ .

كشف الظنون ٢/١٤٧٢ .

١٣ - التضارب

لا نعرف شيئاً عن موضوع الكتاب فهو مفقود. وقد ذكره من المؤرخين: ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ^١.

١٤ - التمر

استحوذ «التمر» على اهتمام أهل البصرة لـ له من أثر اقتصادى في حياتهم حيث يشكل ثروة المنطقة الأساسية، فأشار الباحث البصري إلى أنهم أصروا أصناف نخل البصرة فإذا هي ثلاثة وستون صرباً.

وذكر المقدسي أن في البصرة من أجناس التمور تسعه وأربعين. وكتاب أبي زيد - كما أعتقد - رسالة لغوية في التمر شبيهة برسالتية في المطر واللبا واللبن اللتين وصلتا إلينا. وقد ذكر الكتاب من المؤرخين ابن النديم وصاحب عيون التوارىخ وصاحب ايضاح المكنون^٢.

١٥ - الجمع والتثنية

عنوان الكتاب يشير إلى أنه كتاب في اللغة. وقد جاء مكملاً لمؤلف آخر لأبي زيد هو كتاب الواحد والجمع.

وقد أتى الدهر على الكتابين، فلم يبق منهما غير الاسم الذي حفظه لنا المؤرخون.

وقد لقى كتاب الجمع والتثنية اهتمام المؤرخين فذكره من القدماء: ابن النديم وابن خلakan وابن مكتوم وياقوت والقطن والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات الجنات وصاحب عيون التوارىخ^٣. كما ذكره من المحدثين حاجي خليفة وعمر كحاله^٤.

١٦ - الجود والبخل

تعددت أجناس سكان البصرة وتغيرات أخلاقهم وعاداتهم، وظهر الجود إلى جانب البخل، وكان ذلك حافزاً لأبي زيد وغيره من المؤلفين إلى أن يصنفوا في ذلك الكتب، وقد اشتهر من بينها كتاب البخلاء للباحث.

وجاء كتاب صاحبنا بعنوان الجود والبخل، وهو مصنف أدبي على ما يبدو لنا.

وقد ذكره من المؤرخين: ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ^٥.

(١) معجم الأدباء ٢١٦/١١، بقية الوعاة ٥٨٣/١، طبقات المفسرين ٧٧، عيون التوارىخ ١٩١/٦.

(٢) الفهرست ٥٥، عيون التوارىخ ١٩١/٦، ايضاح المكنون ٢٨٤/٤.

(٣) الفهرست ٥٥، وفيات الأعيان ١٢١/٢، تلخيص أخبار النعوين ٤١، معجم الأدباء ١٦/١١، انباء الرواية ٢٥/٢، بقية الوعاة ٥٨٣/١، طبقات المفسرين ٧٧، روضات الجنات ٢١٢، عيون التوارىخ ١٩١/٦.

(٤) كشف الظلون ١٤٠٩/٢، معجم المؤلفين ٤٢٠/٤.

(٥) معجم الأدباء ٢١٦/١١، بقية الوعاة ٥٨٣/١، طبقات المفسرين ٧٧، عيون التوارىخ ١٩١/٦.

١٧ - حياة

لا تتجاوز معرفتنا بهذا الكتاب حد العنوان ، فالكتاب مفقود ، ولم تقع تحت أيدينا نقول" عنه ، وقد انفرد بذكره القبطي^١ .

١٨ - حيلة ومحالة

اقترب اسم أبي زيد بهذا الكتاب أيضا ، فقيل أبو زيد صاحب حيلة ومحالة والكتاب مفقود ، وقد وقفت على نصوص منه لكنها ليست كافية بحيث تلقى الضوء على موضوعه ، وقد اطلع على الكتاب أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني ، جاء في هامش كتاب المتنبّع والمفرد نقل لأبي علي حيث قال : « وقع في كتاب حيلة ومحالة لأبي زيد الضبيطان »^٢ .

وورد في مكان آخر من الكتاب نفسه ما يلٰ^٣ : « في كتاب حيلة لأبي زيد بينونه ، وقد جاء ذلك تعليقا على قول الشاعر :

يا ريحَ بَيْنُونَةَ لَا تَذَمِّنَا جَنْتِ بَأْرَوَاحِ الْمُسْتَغْرِيْنَا

وجاء في كتاب الخصانص لابن جني قوله : « وقد حكى أيضا أبو زيد في كتاب حيلة ومحالة : مكان مُبْقِلٌ^٤ .

وورد في *لسان العرب*^٥ : الدَّهَدَهَانُ الْكَبِيرُ مِنَ الْأَبْلِ ، وأنشد أبو زيد في كتاب حيلة ومحالة للأغراٰ :

لَيْلَمَ سَاقِي الدَّهَدَهَانِ ذِي الْعَدَادِ الْجِلَةُ الْكُوْمُ الشَّرَابُ فِي الْعَضَدِ

وقد ذكر الكتاب من أصحاب *الطبقات*^٦ : ابن النديم وياقوت والقطبي وابن حزم والسيوطى وصاحب *طبقات المفسرين* وصاحب *عيون التواريخ* وبروكلمان .

١٩ - الخباء

ورد هذا الكتاب في ايضاح المكنون مصحفا باسم الجلسة ، وذكره أصحاب *الطبقات* باسم *الحلبة* ، ومنهم ياقوت والقطبي والسيوطى وصاحب *طبقات المفسرين* وصاحب *عيون التواريخ* .

لكن الشيخ حمد الجاسر ذكر أن اسم *الحلبة* مصحف ، والصواب « *الخباء* » ، قال في *تاج العروس* : « *الخباء* : النبت ، وفي المثل « *خباء خير من يقعة سوء* » ، وسمى أبو زيد سعيد بن أوس الانصارى كتابا من كتبه : كتاب *الخباء* لافتتاحه اياه بذكر *الخباء* بمعنى النبت ، واستشهاده عليها بهذا المثل^٧ .

١) *أنباء الرواة* ٢٥/٢ .

٢) *المتنبّع والمفرد* لكراء النيل ٤٤/ ب ، مخطوطه بدار الكتب المصرية ٨٥٨ لنة .

٣) المرجع السابق / ٣٢١ وقد ورد البيت في *اللسان* مادة/ بين .

٤) *الخصانص* لابن جني ٩٧/١ .

٥) مادة/ دعده ، والجلة : المسان من الابل ، والكمون : جمع اكمن وكماء : *النظام الاسنة* ، والثراب : جمع شراب ، وعند العروض : من ازائه الى مؤخره .

٦) *الفهرست* ٥٥/ ، *مجمع الادباء* ١١/ ٢١٦ ، *أنباء الرواة* ٢١٦/ ٢ ، *جمهرة انساب العرب* ٢٧٢ ، *بغية الوعاء*

٧) *طبقات المفسرين* ٥٨٣/١ ، *عيون التواريخ* ١٩١/٦ ، *تاريخ الادب* ١٤٦/ ٢ .

٨) *تاج العروس* / خبا ، تأليف الزبيدي . الطبعة الأولى . مصر ١٣٠٦ .

٤٠ - خلق الإنسان

هذا الكتاب رسالة لغوية تبحث في صفات الإنسان وأسماء أعضائه . وقد ذكره من المؤرخين القدماء : ابن النديم وابن خلكان والقطري وياقوت وابن كثير والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات العجات وصاحب عيون التوارىخ ^١ .
ومن المؤرخين المحدثين ذكره حاجي خليلة وخير الدين الزركلى ^٢ .

٤١ - الرحيل والقتب

الكتاب مفقود وحتى أتعرف على مضمونه اطلعت على كتاب الرحيل والمنزل المنسوب لابن قتيبة فوجدته يتضمن مفردات لغوية يستعملها العرب في أسفارهم ومنازلهم .
وقد انفرد بذكر الكتاب ابن خير الأشبيل ^٣ .

٤٢ - الصفات

ذكر الكتاب من المؤرخين الأزهري والقطري ^٤ . وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٤٣ - الغرائب

ليس لدينا علم بموضوع الكتاب وقد ذكره من المؤرخين ^٥ : ياقوت والقطري والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب ايضاح المكنون وخير الدين الزركلى .

٤٤ - غريب الأسماء

اشتهر أبو زيد برحلاته الى الbadia ، ولم يكن في خروجه يعني بما يروج في قصور الخلفاء عند سررهم ، وانما كان خروجه جادا ينصب على جمع اللغة واستيعاب احوالها . ومن هنا جاءت عنایته بالغريب حتى عرف به .
ومن مظاهر احتفائه بالغريب تاليف هذا الكتاب ، لكن يد المتنون طالته فلم يصل اليها .

وقد نال الكتاب اهتمام المؤرخين فذكره من القدماء : ابن النديم وابن خلكان والقطري وياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ وصاحب روضات العجات ^٦ .
ومن المحدثين ذكره حاجي خليلة وخير الدين الزركلى ^٧ .

(١) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، انباء الرواة / ٢١٦ / ٢٥ / ٢ ، معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ ، البداية والنهاية / ١ / ٢٧٠ . بقية الوعاة / ١ / ٥٨٢ / ٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ ، روضات العجات / ٢١٢ ، عيون التوارىخ / ٦ / ١٩١ .

(٢) كشف الظنون / ١ / ٧٢٢ / ١ ، الأعلام / ١٤٤ / ٣

(٣) فهرسة ما رواه عن شيخه / ٢٧١

(٤) تهذيب اللغة / ١٢ / ١ ، انباء الرواة / ٢٥ / ٢

(٥) معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ ، انباء الرواة / ٢ / ٣٥ / ٢ ، بقية الوعاة / ١ / ٥٨٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ ، ايضاح المكنون / ٢١٦ . الأعلام / ١٤٤ / ٣

(٦) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، انباء الرواة / ٢١٦ / ٢٥ / ٢ ، معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ ، بقية الوعاة / ١ / ٥٨٢ .

طبقات المفسرين / ٧٧ ، عيون التوارىخ / ٦ / ١٩١ ، روضات العجات / ٢١٢ .

(٧) كشف الظنون / ٢ / ١٢٠٢ . الأعلام / ١٤٤ / ٣

٢٥ - غريب الحديث

اعتنى أبو زيد بالحديث الشريف ، ولا عجب في ذلك فقد كان والده محدثاً وكان من شيوخه عدد من علماء الحديث ، وقد جلس في مسجد البصرة يدرس الحديث الشريف ، وكان من المغويين الرواد الذين استشهدوا بالحديث الشريف .

وجاء تاليه هذا الكتاب مظهراً آخر من مظاهر اهتمامه بالحديث الشريف ، لكن الكتاب لم يصللينا ، وقد وقعت على كثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي يستشهد بها أبو زيد ويشرح غريبهما .

جاء في كتاب **الآضداد** لابن الأباري^١ : «... وقال النبي صل الله عليه وسلم : لا عدو ولا هامة ولا صغر . وقال أبو زيد ولا هامة بشدید الميم يعني واحدة الهوم .

وجاء في **لسان العرب**^٢ : «... قوله صل الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين خطبها أبو جهم ومعاوية : أما أبو جهم فأخاف عليك قسقاسته ، أبو زيد : يقال للعصا هي القسقاستة .

وقد ذكر الكتاب ابن النديم وابن الأثير^٣ .

٣٦ - الفرق

هذا الكتاب مفقود ، وحتى أتعرف على موضوعه كان على الرجوع إلى أشياهه ونظائره من المؤلفات التي تحمل هذا الاسم ، فاطلعت على كتاب **الفرق للأصمي** المعاصر لأبي زيد ، فوجدته يتعرض لما يخالف فيه الإنسان البهائم والسباع ، كان يقول على سبيل المثال في باب الشفقة : « وهي شفة الإنسان مفتوحة وهذا الشفتان والجميع الشفتان ، والمشفر من البعير وهذا المشفران والجميع المشافر والجميع المحففلة من ذوات العاضر وهذا الجحفلتان والجميع الجحافل » .

وقد وقعت على روايات لأبي زيد من هذا النوع في كتاب **أدب الكاتب** لابن قتيبة تحت باب **فرق في الأسنان**^٤ : « قال أبو زيد : للإنسان أربع ثنياً وأربع رباعيات واحدة رباعية مخففة ، وأربعة أنياب وأربع ضواحك وأئننا عشرة رحى ثلات في كل شق ، وأربعة نواخذ وهي أقصاها .

وقال أبو زيد : لكل ذي ظلف وخف ثنتين من أسفل فقط وللحاور والسباع كلها أربع ثنياً وللحاور بعد الثناء أربع رباعيات وأربع قوارح وأربعة أنياب وثمانية أضراس » . وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقطنوي وصاحب **مرآة الجنان** وصاحب **روضات الجنان** وصاحب **ايضاح المكنون** ، وخير الدين الزركلي^٥ .

(١) **الآضداد** / ٤٢٦ تاليف محمد بن القاسم الأباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. الكويت ١٩٦٠ مادة / قسس

(٢) **الفرق** / ٥٥ ، وانظر مقدمة النهاية في **غريب الحديث** ٤/١ تاليف ابن الأثير ، تحقيق الراووي وزميله ، الطبعة الأولى مصر سنة ١٢٨٢ - ١٩٦٣ .

(٣) **الفرق** / ٦ تاليف الأصمي . نشر دكتور : دافيد مولر . سنة ١٨٧٦ .

(٤) **أدب الكاتب** / ١٦٢ ، تاليف ابن قتيبة ، طبعة بيروت ١٢٨٧ - ١٩٦٧ .

(٥) **الفرق** / ٥٥ ، وفیات الإهیان ٢/١٢١ ، معجم الایدیاء ١١/٢١٦ ، ائناء الرواية ٢/٣٥ ، مرآة الجنان ٢/٥٩ ، روضات الجنان ٣١٢ ، ايضاح المكنون ٣١٨ ، الاعلام ٣/١٤٤ .

٢٧ - فعلت وأ فعلت

لم يصل اليهنا هذا الكتاب وحتى أتبين موضوعه رجعت الى كتاب أبي اسحق الرجاج فعلت وأ فعلت فوجدته يذكر ما تكلمت به العرب على لفظ فعلت وأ فعلت والمعنى واحد ، وعلى لفظهما والمعنى مختلف ، وعلى لفظ فعلت وحده وعلى لفظ أفعلت وحده . . . الخ .

وو قع في الجمارة على باب يجعله صاحبه لما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة وكان الأصمعي يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأ فعلت .

كما وقعت في كتاب ابن قتيبة على روایات لأبي زيد في باب فعلت وأ فعلت باتفاق المعنى ، وباب أ فعلت الشيء جعلت له ذلك ^١ .

وكذلك أورد ابن السكikt في كتابه روایات لأبي زيد في باب فعلت وأ فعلت ^٢ .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقططي والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات الجنات وصاحب عيون التواریخ وحاجي خلیفة ^٣ .

٢٨ - قراءة أبي عمرو

كان أبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وعلما في القرآن ، وأول من ألف في القراءات .

وكان أبو زيد الانصاري من جلة أصحاب أبي عمرو وكبارهم ، وبلغ من شدة تأثره به أن ألف هذا الكتاب في قراءته .

لكن عوادي الدهر أنت على الكتاب ، وقد حفظه لنا المؤرخون فذكره منهم : ابن النديم وياقوت والسيوطى والقططي وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التواریخ وصاحب ایضاح المکنون ^٤ .

٢٩ - القراءات

ذكره من المؤرخين ابن النديم وصاحب ایضاح المکنون ^٥ وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٣٠ - القصيبي

لا علم لنا بموضوع الكتاب فلم نقع له على ذكر سوى ما جاء في كتب الطبقات فقد ذكره : ابن خلكان وحاجي خلیفة ، وصاحب روضات الجنات ^٦ .

١) انظر ادب الكاتب لابن قتيبة / ٤٦٥ . ٤٧٢ . ٤٧٩ .

٢) انظر اصلاح المطلق لابن السكikt / ٢٤٣ . ٢٤٤ .

٣) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ ، انباه الرواة / ٢٥ / ٢ ، بقية الوعاء / ٥٨٣ / ١ .

٤) طبقات المفسرين / ٧٧ ، روضات الجنات / ٣١٢ ، عيون التواریخ / ٦ / ١٩١ . كشف الظنون / ٢ / ١٤٤٧ .

٥) الفهرست / ٥٥ ، معجم الأدباء / ١١ / ٢١٦ . بقية الوعاء / ١ / ٥٨٣ . انباه الرواة / ٢٥ / ٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ .

٦) عيون التواریخ / ١٩١ / ٦ ، ایضاح المکنون / ٢٢١ .

٧) الفهرست / ٥٥ ، ایضاح المکنون / ٣٢٢ .

٨) وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، كشف الظنون / ٢ / ١٤٥٠ . روضات الجنات / ٣١٢ .

٣١ - القوس والترس

هذا الكتاب من الرسائل اللغوية التي الفت حول موضوع معين وسبقت تأليف المعاجم .

وقد لقي الكتاب اهتمام المؤرخين فذكره منهم : ابن خلkan وياقوت والقطنی وابن کثیر والسيوطی وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التواریخ وصاحب روضات الجنات وعمر رضا کحاله^۱ .

٣٤ - الالمات

موضوع الكتاب يظهر لنا من عنوانه ، فهو يتحدث عن اللامات في اللغة العربية ومواقعها في الكلام . لكن الكتاب لم يصل اليانا وقد ذكره من المؤرخين ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين^٢ .

٣٣ - اللغات

عرف عن أبي زيد كثرة تنقلاته في الbadia ، واتساعه في الرواية ، فكان حسيلة ذلك مادة لغوية ضخمة وعريضة واسعة بلغات العرب .

وقد أمرت تلك الجهود المضنية - فيما أمرته - تاليف هذا الكتاب اللغوي الذي يعده بحق أحد كتب أبي زيد القيمة .

لكن يد المنون طالت الكتاب فلم يصللينا ، وقد وقعت على باب في جمهورة ابن دويد اقتبسها من الكتاب تحت عنوان باب من اللغات عن أبي زيد^٣ .

ومنهج أبي زيد في الكتاب أن يأتي باللغة في وجوهها المختلفة ولغاتها المتعددة بادئاً في غالباً الأحيان بعبارة : تقول العرب أو يقولون أو قالوا ، ومثال ذلك ما جاء من قول أبي زيد : وتقول العرب : نسياناً ونسيناً ونساوة بكسر النون في الجميع . ويتقول متّ ومتّة ودمنت ودمنت⁴ .

ويقال بلفت منهي الشيء ومنهاه ومنهاه ومتناهه ومتناهه ^٥ . وأبو زيد هنا ليس
ناقلاً فحسب بل انه بما أوتي من ذكاء خارق وحسن لغوي سليم يشرح ويعرض لما وقع في المقطة
من تصريف ^٦ كان يقول : قالوا في الابن ابئم فزادوا فيه الميم كما زادوا في الفاء وانما هو فاء وفوه
وفيه مثل فاء فلما صفتوا فاء قالوا فو فيه فثبتت الها وهي في التنزيل (بأفواههم) ولم يقل
بأنفاسهم ^٦ .

ويستشهد أبو زيد في أئمته ذلك كله بأشعار العرب وبالقرآن الكريم ، وينسب اللغات إلى أصحابها في أحيان كثيرة .

١) وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، انباء الرواية ٣٥/٢ ، البداية والنهاية ١٠/١٠ ، بقية الوعاء ١٥٨٢/١ ، طبقات المفسرين ٧٧ ، عيون التواريخ ٩١/٦ ، روضات الجنات ٣١٢/٢ ، معجم المؤلفين ٤/٢٢٠ .

٢) معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بقية الوعاء ٥٨٣/١ ، طبقات المفسرين ٧٧

^{٢٣} انظر كتاب جمهرة اللغة ٤٧٢/٣ ، ٤٨٤ تاليف أبي بكر بن دريد ، الطبعة الأولى حيدر آباد سنة ١٢٤٥هـ .

٤٨٥ ، ٤٧٢ ، ٤٨٤ / ٣) الجمهور لابن دريد .

ومن هنا جاء اهتمام المؤرخين بالكتاب فقد ذكره منهم ^١ : ابن النديم وابن خلkan والقططي وياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات الجنات وصاحب عيون التوارىخ وصاحب مرآة الجنان وصاحب ايضاح المكنون ^٢ .

٣٤ - لغات القرآن

ذكر هذا الكتاب من المؤرخين : ابن النديم والسيوطى وخير الدين الزركلى وصاحب طبقات المفسرين وقد سماه لغة القرآن ^٣ .

ووردت نقول من الكتاب في حواشى كتاب الابدال لأبي الطيب النجوى كما يذكر محققه .

والكتاب مفقود وهو كما يظهر من عنوانه يبحث في الدراسات القرآنية ويشكل أحد كتب ثلاثة الفها أبو زيد في علم القرآن تظهر بوضوح مدى اهتمامه بدراسة القرآن شرحا وتفسيرا ولغة .

٣٥ - المصادر

الكتاب لم يصل اليينا ولكنني وقعت على نصوص منه تبيّنت موضوعه من خلالها، حيث يأتي بالأفعال ويدرك مصادرها ، ومن هنا جاءت تسمية الكتاب .

ومثال ذلك ما جاء في سر الصناعة ، قال ابن جنی : « فاما ما قرأته على أبي علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب من أن أبا زيد قال : خمسم الجرح يخص حموضا وحمص يخص حموضا وانحصر الخمسا ، قال أبو علي : وانحصر انحصر ذكره أبو زيد في مصادره اذا ذهب ورمه ^٤ .

وأورد ابن جنی في مصنف آخر له قوله : ... على أن أبا زيد قد حكى في مصادره تعية وتعيبة بالاظهار ، فهذا يؤنس بترك ادغام تعية ^٥ .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلkan وابن مكتوم والقططي وياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات الجنات وصاحب عيون التوارىخ وصاحب مرآة الجنان وصاحب خلية ^٦ .

٣٦ - معاني القرآن

قامت الدراسات اللغوية لخدمة القرآن الكريم وتوضيح معانيه المغلقة وتقريبها إلى الأذهان حتى يتم فهمه وما اشتمل عليه من أحكام .

(١) الفهرست / ٥٥ . وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، انباء الرواة ٣٥/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ ، بقية الوعاة ٥٨٣/١ . طبقات المفسرين ٧٧ ، روضات الجنات ٣١٢ . عيون التوارىخ ١٩١/٦ ، مرآة الجنان ٥٩/٢ ، ايضاح المكنون ٢٢٥ .

(٢) الفهرست / ٣٥ ، بقية الوعاة ٥٨٣/١ ، الاعلام ١٤٤/٣ ، طبقات المفسرين ٧٧ . سر الصناعة لابن جنی ١٩٩/١ .

(٣) المنصف لابن جنی ١٩٧/٢ .

(٤) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان ١٢١/٢ ، تلخيص اخبار التحويين ٤١ ، انباء الرواة ٣٥/٢ ، معجم الأدباء ٢١٦/١١ . بقية الوعاة ٥٨٢/١ ، طبقات المفسرين ٧٧ ، روضات الجنات ٣١٢ ، عيون التوارىخ ١٩١/٦ ، مرآة الجنان ٥٩/٢ . كشف الظنون ١٤٥٩/٢ .

وقد تلتمذ أبو زيد على يد أبي عمرو بن العلاء الذي كان سيد أهل زمانه في علم القرآن فأفاد منه كثيرا حتى وصف بأن له فضل معرفة بعلم القرآن وكانت حصيلة ذلك أنه ألف ثلاثة كتب في هذا العلم .

أما كتابه معاني القرآن فقد عدت عليه عوادي الدهر ولم يصلينا، ومع ذلك فقد تجمع لدى كثير من الآيات القرآنية التي يشرحها أبو زيد ويوضع معانيها يعتقد أنها مقتبسة من كتابه في المعاني .

وقد ساعد أبو زيد معرفته الواسعة باللغة وبكلام العرب على تفسير الآيات الكريمة وتوضيح ما اشتملت عليه من معانٍ سامية ، فلا عجب أن نراه يستعين بالشعر وباقوال العرب في كثرة تفسير الآيات .

فعندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلأ تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين » ^١ . يقول أم زالدة ومعنى الآية أفلأ تبصرون أنا خير لأن العرب تزيد أم واستدل بقول الشاعر :

يا دهر أم ما كان مشيبي رقصا
يريد يا دهر ما كان مشيبي رقصا ^٢ .

لكن ذلك لا يعني اطلاقا أن يكون أبو زيد في منهجه لا يعتمد على النقل والرواية في تفسير الآيات مكتفيا برأيه في توضيح معانيها ، فقد رأيته – كذلك – يروى عن شيوخه ، ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى ، « اذا الروحوش حشرت ^٣ » حيث قال : أخبرنا قيس بن الربيع عن سعيد بن مسروق عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله عز وجل ، « اذا الروحوش حشرت » قال : حشرها موتها ^٤ .

وبعد ، فالكتاب يعد بحق أحد كتب أبي زيد القيمة وقد ذكره من المؤرخين الأزهري والقطناني وابن مكتنوم ^٥ .

٣٧ - المعزى

هذا الكتاب رسالة لغوية تتحدث عن المعزى شبيهة برسالتيمه عن المطر وعن النبات والشجر .

لكن الكتاب لم يصلينا ، وقد وقعت على بعض الروايات عن أبي زيد تتحدث عن المعزى لكن ناقليها لم يشيروا إلى الكتاب ، فقد ورد في لسان العرب قوله عن أبي زيد ^٦ : الصَّبَّةُ مِنَ الْمَعْزِي مَا بَيْنَ الْعَشَرَةِ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وفي مكان آخر من لسان العرب جاء قول أبي زيد: طرطط العالب بالمعزى اذا دعاهما ^٧ .

وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم والقطناني وابن حزم ^٨ .

(١) الخزف / ٥١ ، ٥٢ .

(٢) انظر المقتضب لل McBride ٢٩٧/٣ ، والصاحب لابن فارس ١٢٥/

(٣) سورة التكوير ٥/

(٤) انظر الأضداد لأبي الطيب المتنوي ١٩٤/١

(٥) تهذيب اللغة ١٢/١ . أنباء الرواية ٢٥/٢ . تلخيص اخبار النحوين ٤١/

(٦) لسان العرب / صبب

(٧) المرجع السابق / طرطط

(٨) الفهرست ٥٥ ، أنباء الرواية ٢٥/٢ . جمهرة انساب العرب / ٢٧٣

٣٨ - المقتضب

ذكره من المؤرخين ابن النديم وياقوت والقطنى والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين^١ ، وذلك مبلغ علمنا بالكتاب^٢ .

٣٩ - المكتوم

الكتاب مفقود ولم نقع على ذكر له سوى ما حفظه لنا المؤرخون فقد ذكره منهم : ياقوت والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب عيون التوارىخ^٣ .

٤٠ - المنطق

ذكر الكتاب من المؤرخين ابن النديم وياقوت وصاحب عيون التوارىخ والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين^٤ وقد أشار الآخرين الى أنه كتاب في اللغة ، كما ذكره من المحدثين صاحب ايضاح المكنون^٥ .

والكتاب في اللغة^٦ على غرار كتاب المنطق لابن شمبل واصلاح المنطق لابن السكين . وقد عرف عن اللغويين القدماء التشابه في أسماء الكتب .
ومع ذلك فقد شك أحد الباحثين المحدثين ان كان الكتاب في منطق ارسسطو او في اللغة^٧ .

٤١ - المياه

الكتاب فيما نعتقد رسالة لغوية عن المياه ، وقد جعل أبو زيد فصلا في كتابه المطر تحدث فيه عن اسماء المياه ، ولكنه فيما يبدو لم يكتف بما ذكره هنا فألف كتابا خاصا بالمياه .

والكتاب تناولته يد المون ، بعد أن لقي عنایة كبيرة من المؤرخين فقد ذكره منهم : ابن النديم وابن خلكان وياقوت والقطنى وابن كثير والسيوطى وصاحب طبقات المفسرين وصاحب روضات العجتان وصاحب عيون التوارىخ وصاحب مرآة العجنان^٨ .
ومن المحدثين ذكره حاجي خليفة وخير الدين الزركلى^٩ .

٤٢ - نابه ونبيه

ذكره من المؤرخين ابن النديم والقطنى وصاحب ايضاح المكنون^١ ، وذلك مبلغ علمنا بالكتاب^٢ .

١) الفهرست / ٥٥ ، مجمع الأدباء ١١/٢١٦ ، انباه الرواة ٢٥/٢ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ .

٢) مجمع الأدباء ١١/٢١٦ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ ، عيون التوارىخ ٦/١٩١ .

٣) الفهرست / ٥٥ ، مجمع الأدباء ١١/٢١٦ ، عيون التوارىخ ٦/١٩١ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، طبقات المفسرين

٤) ايضاح المكنون / ٣٣٩ .

٥) انظر بقية الوعاة / السيوطى ٥٨٢/١

٦) انظر التوادر في اللغة ٦٢/١ تحقيق الدكتور محمد عبد النادر ، مخطوطه بمكتبة جامسة القاهرة ٩٨١ رسائل .

٧) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الاعيان ١٢١/٢ ، مجمع الأدباء ١١/٢١٦ ، انباه الرواة ٢٥/٢ ، البداية والنتهاية

٨) ٢٧٠/١٠ ، بقية الوعاة ١/٥٨٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ ، روضات العجتان ٢١٢ ، عيون التوارىخ ٦/١٩١ ،

٩) مرآة العجنان ٥٩/٢

١٠) كشف النقون ١٤٦٥/٢ ، الأعلام ١٤٤/٣ .

١١) الفهرست / ٥٥ ، انباه الرواة ٢٥/٢ ، ايضاح المكنون / ٣٤١ .

٤٣ - النحو الكبير

أحد كتب أبي زيد الهمة ، لكن يد المون طالته ، ولو وصل اليها لوفّر علينا جهداً كبيراً بذلكاه في التعرف على اتجاه أبي زيد النحو .

وقد وقعت على روايات وآراء نحوية لأبي زيد في كثير من كتب النحو لكنها لم تشر إلى كتابه لا من قريب ولا من بعيد .
وذكر الكتاب من المؤرخين : الأزهري والقطبي^١ .

٤٤ - نعت الغنم

الكتاب مفقود ، وقد وقعت على روايات من الكتاب ، جاء في *لسان العرب* قوله : « ومن كلامهم الذي يضعونه على السنة البهائم قالوا : يا عنز جاء القراء ، قالت : يا ويلي ذنب الوي واست جهوا ، حكاه أبو زيد في كتاب الغنم »^٢ .

وفي مكان آخر ورد قوله : « روى أبو عبيد عن أبي زيد في كتاب الغنم : حديث الشاة بالذال إذا انقطع سلامها في بطنها ، قال الأزهري هذا تصحيف والصواب بالذال والهمز وهو قول القراء »^٣ .

كذلك فقد أورد ابن قتيبة روايات لأبي زيد في شيات الغنم^٤ .
وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وبروكلمان وصاحب *ايضاح المكنون*^٥ .

٤٥ - نعت المشافهات

ذكره من المؤرخين : ابن النديم وصاحب *ايضاح المكنون*^٦ وذلك مبلغ علمنا بالكتاب .

٤٦ - الهشاشة وال بشاشة

ذكره من المؤرخين ابن حزم وخير الدين الزركلي^٧ .

٤٧ - الهوش والنوش

ذكره ابن النديم وصاحب *ايضاح المكنون*^٨ .

٤٨ - الواحد والجمع

يختصر أحياناً فيسمى « الواحد » وهو على غرار كتاب *الجمع والثنية* لأبي زيد .
لكن الكتاب مفقود وقد ذكره من المؤرخين ابن النديم وصاحب *طبقات المفسرين* وصاحب *عيون التوارييخ* وصاحب *ايضاح المكنون*^٩ .

(١) تهذيب اللغة ١٢/١ ، انباه الرواية ٢٥/٢

(٢) *لسان العرب* / جهة

(٣) المراجع السابق / حدا

(٤) انظر ادب الكاتب ١٩٦ . ١٩٧

(٥) القهرست ٥٥ ، تاریخ الأدب ١٤٦/٢ ، *ايضاح المكنون* ٣٤٤/٣

(٦) القهرست ٥٥ ، *ايضاح المكنون* ٣٤٤/٤

(٧) جمهرة انساب العرب . ٣٧٣ ، *الاعلام* ١٤٤/٣

(٨) القهرست ٥٥ ، *ايضاح المكنون* ٣٥١/٣

(٩) القهرست ٥٥ ، *طبقات المفسرين* ٧٧ ، *عيون التوارييخ* ١٩١/٦ ، *ايضاح المكنون* ٣٤٨/٣

٤٩ - الوحوش

هذا الكتاب لم يصل اليينا وحتى أتبين موضوعه اطلعت على كتاب **الوحوش للأصمي** فوجده يبدأ الكتاب بقوله : هذا كتاب أسماء الوحوش وصفاتها ، ثم يقسمه إلى أبواب فيخصص باباً يذكر فيه صفة الحمار وباباً يذكر فيه أسماء البقر وصفاتها ، وآخر يذكر فيه أسماء الظباء وصفاتها ، ثم أسماء الوعول وأسماء النعام وأسماء الأسود وأسماء القباع وأسماء النعالب وأسماء الأرانب إلى أن يختتم الكتاب بقوله : تم **كتاب الوحوش** عن الأصمي .

وقد وقعت على روايات في الوحوش لأبي زيد في كتاب **أدب الكاتب** لابن قتيبة^١ ، وقد ذكر الكتاب من المؤرخين : ابن النديم وابن خلكان وياقوت السيوطي والقططي وصاحب طبقات المفسرين وصاحب **روضات الجنات** وصاحب **مرأة الجنان** وخير الدين الزركلي^٢ .

١) ١٧١ / ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٧١ /

٢) الفهرست / ٥٥ ، وفيات الأعيان / ١٢١ / ٢ ، معجم الأدياء / ١١ / ٢١٧ ، بقية الوعاء / ١ / ٥٨٣ ، أنباء الرواية / ٢٥ / ٢ ، طبقات المفسرين / ٧٧ ، روضات الجنات / ٢١٢ ، مرأة الجنان / ٥٩ / ٢ ، الأهلام / ١٤٤ / ٣

أبو زيد والدراست الصرفية والنحوية

- اتجاهه في الصرف والنحو - أبو زيد يخرج على تقاليد أهل البصرة
- النزعة البصرية في اتجاه أبي زيد : تخطئه القراءات - تخطئه العرب - الضبط والتقييد - الدقة في التحرى عن الشواهد .
- النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد : القياس على الشاذ - البعد عن التعليل - البعد عن التقدير والتأويل .
- مظاهر التجديد في اتجاه أبي زيد : استلهام روح العربية - آراء انفرد بها أبو زيد .
- أبو زيد وتيسير النحو العربي : ظهور الحاجة إلى تيسير النحو - جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي .

اتجاهه في الصرف والنحو

عرف صاحبنا في كتب الطبقات وبين علماء النحو واللغة بأبي زيد النحوي^١ اعترافاً برسوخ قدمه في علم النحو ، فقد كان - رحمة الله - اماماً نحوياً تتعلم على يديه كبار علماء النحو منهم سيبويه وأبو عثمان المازني ، وتأثر به على مر الزمن كثير من العلماء يأتي في مقدمتهم أبو علي الفارسي امام النحو في عصره حتى قيل عنه انه لم يتجاوز كتب أبي زيد وأطراها مما لغيره .

وامتدح أبو سعيد السيرافي منزلة أبي زيد في النحو وعده من الأعلام جاء في شرحه^٢ : «وكنت اقرأ كتاب الشجر والكلا لأبي زيد على أبي بكر بن دريد رحمة الله فقرأت عليه شقّارَي للجميع وشقّارَي واحدة ولصيّقَي واحدة فذكر ابن دريد أن الواحدة شقّاراه ولصيّقاه ، وهذا لا يعمل عليه لأن كثيراً من أهل اللغة لا يضبطون النحو في مثل هذا ويغلطون فيه ، وإنما يقوم بهذا مثل سيبويه وأبي زيد وهؤلاء الأعلام » .

ووازن العلماء بين أبي زيد ويونس بن حبيب امام النحو في عصره ، فقد أشار البرد إلى أن يونس من باب أبي زيد في العلم واللغات وأنه أعلم منه بالنحو^٣ .

هذه الأقوال المقدمة تجمع على مكانة أبي زيد المرموقة في علم النحو ، وهي - على أهميتها - تمثل الجانب التاريخي الشكلي ، ولست من يرکنون اليه كثيراً فيقولون عنده ، لذلك ركزت اهتمامي على الجانب الموضوعي الذي يتمثل في ابراز آراء أبي زيد وأثره في الدراسات الصرفية والنحوية على نحو ما سنبينه في تنايا هذا الفصل .

لكنني أبادر فاقول : ان شهرة أبي زيد في مجال اللغة^٤ طفت على شهرته في علم النحو ، نظراً لما عرف عنه بين علماء النحو البصريين من نهج مستقل وعقلية متحركة وخروج على تقاليدهم المعروفة في أغلب الأحيان .

١) انظر اخبار النحوين البصريين للسيرافي ٤١/١ .

٢) شرح الكتاب للسيرافي ٢١/٥ .

٣) انظر اخبار النحوين البصريين - أبو سعيد السيرافي ٤١/ .

٤) اللئن هنا مصطلح يقصد به البحث في الشروء اللفظية وما إليها .

أبو زيد يخرج على تقاليد أهل البصرة

من العقائق الثابتة لدى الدارسين سبق مدرسة البصرة في نشأتها لمدرسة الكوفة وغيرها من المدارس التح gioye .

ومن أجل ذلك فقد جرت العادة بأن يتوجه علماء النحو واللغة الكوفيون إلى البصرة يتلقون العلم على شيوخها و يجعلسون إلى حلقاتهم في مسجد البصرة .

فأشارت كتب الطبقات إلى أن الكسائي وهو أمم أهل الكوفة في عصره قد توجه إلى البصرة وجلس إلى الخليل بن أحمد وأخذ عنه اللغة وحضر حلقات يونس بن حبيب .

وكذلك فعل أبو زكريا الفراء الكوفي فقد قدم إلى البصرة وتلّمذ على شيخها يونس بن حبيب .

أما البصريون فكانوا يحجمون عن الأخذ عن الكوفيين لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكّون عنهم حجة إلى حد جعل أحد المتعلّصين البصريين - وهو أبو حاتم السجستاني - يقول فيهم « لا تفت إلى رواية الكسائي والأحمر والأموي والفراء ونحوهم وأعوذ بالله من شرهم » ^١ .

لقد أشعلت المنافسة الشديدة نار التّعصب عند هؤلاء ، واعتبروا أنفسهم مهيمنين على العربية ، ووضعوا قواعد جعلوا لها قدسيّة ، لا يجوز مخالفتها ، فقد عرف الكسائي بكثرة رحلاته إلى الbadia ووجهه الخليل بن أحمد البصري إلى ذلك ، وقد أخذ خمس عشرة قبّة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ^٢ ، كما عرف المفضل الضبي بكثرة مجالسته للأعراب وروايته لدوّارين الشعراء ، فبأي حق أذن تهدر جهود هؤلاء في اللغة فلا يُؤخذ عنهم؟!

أما أبو زيد الأنصاري فقد تميز من أهل البصرة بشخصيته المستقلة وتفكيره العر . وضعف العصبية البلدية عنده ، ومن أجل ذلك فقد ثار على تقاليد أهل البصرة بعدم الأخذ عن الكوفيين ، وشدّ رحاله إلى الكوفة وتردد على حلقات مسجدها وتلّمذ على شيخها المفضل الضبي وصرح بالرواية عنه في مقدمة كتابه **النواود** .

ولم يتوقف الأمر بالنسبة لأبي زيد عند حد الأخذ عن الكوفيين ولكنه تعدّى ذلك إلى التأثير **النهجي بالملهّب الكوفي** فبرزت في مذهبة التّزعّة الكوفية ^٣ .

وهذا الموقف من أبي زيد كان جديراً بأن يلفت الانتباه إلى حد جعل أحد الذين ينسجون على منوال أهل البصرة ويهتمون بأخبار نحاتها يقول : « ولا نعلم أحداً من علماء البصريين باللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب الا أبو زيد فإنه روى عن المفضل الضبي ^٤ .

ومن هنا كان أبو زيد أول عالم بصري يخرج على المدرسة البصرية ويجمع إلى علم البصريين علم الكوفيين ويمرجع بين المذهبين في تكون لدّيه مذهب منتخب .

وإذا كان لنا أن نعدّ العلماء الذين يمزجون بين المذهبين بضدّاً فانه يسوغ لنا أن نحكم على أبي زيد بأنه من واضعي بذور المدرسة البغدادية ^٥ .

١) مراتب التّعوين - أبو الطيب اللنوي / ٤٠

٢) انظر مجمّع الأدباء لباتوت ١٣/١٦١

٣) أخبار التّعوين البصريين - أبو سعيد السيرافي / ٤٤ . ٤٥ .

ولستا على كل حال أول من تنبه إلى أن أبو زيد مزج بين الاتجاهين البصري والكوفي فقد سبقنا إلى ذلك كثيرون من أصحاب الطبقات الذين أشاروا إلى أن أبو زيد انفرد بين البصريين بالأخذ عن الكوفيين في حين امتنع البصريون عن ذلك فاستحق أبو زيد أن يلفت الأنظار إليه بعجزه في مذهبة بين المدرستين .

كما سبقنا أحد الباحثين المحدثين في تتبّعه لدرج المدرسة البغدادية حين أشار إلى أنه وجد هذه النزعة - المزج بين المذهبين - بصورة واضحة عند أبي زيد الانصاري حيث قال في ذلك : « كما أني رأيت هذه النزعة نفسها بصورة أوضح عند أبي زيد الانصاري ولعل مرد ذلك إلى أنه ما كان يعرف العصبية المذهبية ، بل كان يأخذ عن الكوفيين كما كان يأخذ عن البصريين » ^١ .

لكن السابقين اكتفوا بعرض القضية دون تفصيل فلم يقلعوا لنا الأدلة على صحتها .
وستحاول هنا إيراد شيء من الأدلة التي تثبت هذا الادعاء الذي ندعّيه .

على أن أثبات هذا الأمر تواجهه مشكلات وعقبات معينة نلخصها فيما يلي :

١ - ما ألمحت إليه قبل من أن السابقين الذين أشاروا إلى أن أبو زيد قد مزج بين المدرستين لم يقدموا الأدلة وتوقفوا عند حد الجانب التاريخي الشكلي ، فلم يتعرضوا للتوضيح مذهب أبي زيد .

٢ - ضياع غالبية كتب أبي زيد وخاصة كتابه الكبير في النحو ^٢ ، يضاف إلى ذلك أن جميع كتبه التي وصلت إلينا باستثناء كتاب النواودر رسائل لغوية تخدم الشروة اللغظية بوجه خاص .

وهكذا فقد كان علىَّ أن أرجع إلى أمهات كتب النحو أتعرف منها على مذهب أبي زيد في النحو .

٣ - أحجام النحوين البصريين في أغلب الأحيان عن الاتيان بآراء أبي زيد في النحو إلا في القليل النادر .

والمعروف أن آراء البصريين وكتبهم هي التي عاشت على مر الزمن وقد أكد ذلك أحد الباحثين المحدثين عندما قال : « لم تكن الفلبة لمدرسة الكوفة التي لمحت طبيعة اللغة بل كانت لمدرسة البصرة العقلية المنطقية ، فساد أسلوبها وانتشرت كتبها ووجهت التفكير اللغوي العربي كما وجهت خطة تعليم العربية إلى اليوم » ^٣ .

ومن هنا ظهرت أمامي صعوبة الكشف عن آراء أبي زيد في أمهات كتب النحو واللهفة .

ويجدر بنا الان أن ندخل في توضيح مذهب أبي زيد في الصرف والنحو فنبدأ ببيان مظاهر النزعة البصرية في مذهبة ثم نعقبها بتوضيح النزعة الكوفية عنده ، موجهين عنابة خاصة لظاهر استقلاله .

(١) أبو ذكريya القراء / ٣٦٤ ، تأليف الدكتور احمد مكي الانصاري ، القاهرة ١٩٦٤
انوار اليه الاذري ، دون أن يذكر له اسما ، واكتفى بقوله : ولا يزال كتاب كبير في النحو . انظر تهذيب
اللغة ١٢/١ .

(٢) الاجتهاد في النحو العربي / ١٢ تأليف امين الخولي ، محاضرة له مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم
٣٨٦٨٨ .

النزعه البصرية في اتجاه أبي زيد

أولاً : تحطئة القراءات

اعتد الكوفيون بالقراءات وجعلوها في مقدمة مصادرهم اللغوية ، واعتمدوا عليها في استخراج كثير من الأحكام ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

تجويزهم العطف على الضمير المخوض دون إعادة الخافض نحو : نظرت اليك وخلد .
استنادا إلى قراءة حمزة قوله تعالى : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام » ^١ .

كما جوّزوا الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الطرف ، استنادا إلى قراءة ابن عامر قوله تعالى : « وكذلك زين لكتير من المشركين قتل أولادهم شركائهم » ^٢ .

وجوّز الكوفيون قيام الجار وال مجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به المنصوب استدلاً بالقراءة الشاذة : « لولا نزّل عليه القرآن » ^٣ بتصب (القرآن) .

أما البصريون فقد قدّموا أصولهم التي وضعوها وجعلوها لها قدسيّة خاصة حتى انهم ردوا ما جاء مخالفًا لها ولم يعملا بها .

ومن هذا المنطلق رفض البصريون بعض القراءات القرآنية واعتبروها شاذة لأنها لم تطابق قواعدهم التي ارتصوها والأمثلة على ذلك كثيرة : منها أن أبا عمرو بن العلاء قد خطأً أهل المدينة في جعلهم (هن) فصلاً ، ونصبهم (أطهر) في قوله تعالى : « هؤلاء بناتي هن أطهر لكم » ^٤ ،
وكان يقول : احتبى مروان في لحنه ^٥ .

وكره قراءة قوله تعالى : « ولا تقربا هذه الشجرة » ^٦ بالياء وقال : يقرأها برابر مكة وسودانها ^٧ .

وكان ينفي ألا يكرهها أبو عمرو لأنها لغة منقوله فيما روى أبو زيد حيث قال : كنا عند المفضل وعنه أعراب فقلت إنهم يقولون شيرة فقالوا نعم فقلت له قل لهم يصغرونها فقالوا شيرة ^٨ .

ومنع المبرد قراءة أبي عمرو لقوله تعالى : « فتوبوا إلى ربكم » ^٩ بالتسكين وزعم أنها لحن في حين أنها وردت في لغة العرب . وقد ردَّ عليه أبو حيان زعمه ^{١٠} .

(١) سورة النساء / الآية الأولى .

(٢) سورة الانعام / ١٣٧ .

(٣) سورة الفرقان / ٢٢ .

(٤) سورة هود / ٧٨ .

(٥) انظر كتاب سيبويه ٣٩٧/١ .

(٦) سورة البقرة / ٢٥ .

(٨.٧) انظر البحر المعيط ١٥٨/١ تأليف أبي حيان الطبي الأول مصر سنة ١٢٢٧هـ .

(٩) سورة البقرة / ٥٤ .

(١٠) البحر المعيط - أبو حيان ٢٠٦/١ .

وأنساق أبو زيد الانصاري في هذا التيار وغلبت عليه نزعته المصرية عندما سمع قراءة شيخه عمرو بن عبيد لقوله تعالى : « فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان » ^١ بالهمز فقط أنها لحن حتى سمع بعض العرب ينطقون بها فرجع عن طنه .

ثم نرى أبو زيد يناقش في القراءة على مذهب النحويين البصريين عندما يسمع شيخه أبو السمال يقرأ (فحاوسوا) بالعلاء فيقول له إنما هو (فجاسوا) ^٢ .

وقد ذهب مع شيخه إلى أبعد من ذلك فلحنن في القراءة ، قال أبو عثمان المازني قال أبو زيد ^٣ : « كان أبو السمال يقرأ حرفًا يلعن فيه بعد أن كان فصيحاً وهو قوله تعالى : « انكم لدائقون العذاب الأليم » ^٤ .

وبعد ، فان مذهب أبي زيد - ومن لف له من البصريين - القائم على تخطئة القراءات مجانب للصواب وليس له ما يسوّغه - في رأينا - لأن القرآن مثل أعلى في الفصاحة وأصفى معنًى يقوّم السنة العربية على مرّ الزمن ، وينهض بهم في مرمى البلاغة ما لا تمدهم القواعد والضوابط ، وهكذا فإن في تخطئة القراءات تضييقًا على المتعلمين والكتاب والشعراء وسائر الناطقين بالعربية في محاكماته .

إذا سمع عن العربي أخذ بما قال وإذا قرأ القاريء بقراءة صحيحة متصلة السنن بالرسول عليه السلام ردت لأنها لم تسمع عن العرب ، أليس هذا مما يثير العجب ؟! وهل أحصى علماء النحو واللغة كلام العرب ؟! فكيف إذا يُجرون مقاييس اللغة على ما روى من القراءات وأبو عمرو ابن العلاء يقول : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير » ^٥ .

ثم إن القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الألفي في اللغة والأقياس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها ^٦ .

وقد رأينا كيف خرج أبو زيد عن العادة عندما خطأ عمرو بن عبيد وكيف عاد إلى الصواب عندما سمع العرب ينطقون بتلك اللغة مما يشهد بصحة ما رواه القراء ، ولكن أبو زيد ما كان له أصلًا أن يظن أو يناقش في قراءة صحت بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنها النزعة البصرية التي تملكته فحادثت به عن الحق .

وكان المفروض أن ينظر النحاة البصريون في قواعدهم على ضوء القراءة إذا صح سندها ، وفي ذلك يقول أحد الباحثين المحدثين : « إن للقرآن أسلوباً من النحو ينبغي أن يقاس عليه ولا يقاس هو على غيره ، وذلك إذا صح سند القراءة ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية ، فليصحح

١) سورة الرحمن ٢٩

٢) انظر المحتسب - ابن جنی ١٥/٢

٣) الإيضاح ١٥٠/١ تأليف أبي علي النارسي ، الطبعة الأولى مصر سنة ١٩٦٩ م .

٤) سورة الصافات ٣٨/٣

٥) الفحاصن - ابن جنی ٢٨٦/١

٦) انظر النشر في القراءات العشر - ابن الجوزي ١٠/١ ، ١١ .

النحاة قواعدهم وليصوغوها كما صاغها القرآن الكريم فإنه النص الوحيد المقطوع بصحته المتأثر في روايته ^١ .

وكما لم تسلم القراءات القرآنية من تخطئة النحاة البصريين لها لم يسلم العربي الذي أخلوا اللغة عنه من نقدهم وتخطئتهم له ، وذلك يقودنا بطبيعة الحال للحديث عن بروز هذه النزعة في مذهب أبي زيد في الصرف والنحو .

ثانياً : تخطئة العرب

قدم البصريون قواعدهم التي وضعوها بعد استقرار أمثلة عن العرب ، فكانوا إذا سمعوا كلاماً مخالفأ أوّلواه والا اعتبروه شاذأ وخطئوا قائله .

ومرجع هذه النزعة عند البصريين إلى عيسى بن عمر وشيخه عبد الله بن أبي اسحاق من متقدمي البصريين ، أما يونس بن حبيب وشيخه أبو عمرو بن العلاء فكانا يتحرزان من تخطئة العربي ويعتمدان قوله وان خالف القياس .

وقد غلبت النزعة الأولى على البصريين وصارت لهم مذهبًا في حين انتقلت الثانية إلى الكوفيين الذين اتخذوها أحدى دعائم قواعدهم .

ومواقف ابن أبي اسحاق مع الفرزدق مشهورة فقد رد عليه كثيراً من شعره وخطأه فيه .

أما عيسى بن عمر فإنه لم يكتف بمحاسبة المعاصرين له وتجاوزهم فرد على النابغة بعض شعره وأعلن استنكاره له وخطأه فيه .

سار أبو زيد الانصارى في هذا التيار وغلبت عليه نزعته البصرية فرأيناه يخطئ في العربية في حالات كثيرة وسوف نكتفي بسرد بعض الأمثلة :

أنسد أبو زيد قول ضابيء بن العارث :

وَمَنْ يَكُنْ أَمْسِي بِالْمَدِينَةِ رَاحِلَهُ فَإِنَّى وَقَيَّارًا بِهَا لَغَرِيبٍ

ثم عقب عليه بقوله : أراد فاني غريب وان قيارة أيضاً لغريب ، ولو قال لغريبان لكان أجدود ^٢ .

فكأن أبو زيد أحسن بأن قول الشاعر ليس جيداً أو أنه أخطأ في تعبيره لأنه خالف الأصول النحوية فلم يعمد إلى تثنية (غريب) ولأجل ذلك حاول أبو زيد تصويبه وتطبيق القواعد النحوية على كلامه وتلك نزعة بصرية .

وأنشد أبو زيد قول عبدة بن الطيب :

فَبَكَى بَنَاتِي شَجَوَهُنْ وَزَوْجَتِي وَالظَّامِعُونَ الَّذِي ثُمَّ تَصَدَّعُوا

١) القراءات والملهجات / ١٤٨ . ١٤٩ تأليف عبد الوهاب حمودة . الطبعة الأولى – مكتبة النهضة المصرية ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م .

٢) النواذر في اللغة / ٢٠ .

وعقب عليه بقوله : « ولو قال فيكت لكان جيداً » .

فأبو زيد يحكم على قول الشاعر من وجاهة نظره النحوية أما الشاعر فقد نطق على سليقته فعلينا أن نحترم كلامه في إطار لهجته ، هذا وقد نجد لكلام أبي زيد ما يسوّغه في اللغة العامة أو المشتركة ، لكن الأمر يتعلق هنا ببيئة الشاعر ، ونحن نعلم أن كلّ كلام في بيئته صحيح .

كما أنشد أبو زيد قول الراجز :

وَيَهَا فَدَاءُ لَكَ يَا فَضَالَةَ أَجِرَهُ الرَّمَسَحُ وَلَا تُهَالَةَ

ثم عقب قائلاً : « أَجِرَهُ كسر الراء لانتقاء الساكينين ولو فتح كان أجود » .

فكأن أبو زيد أحس بأن قول الشاعر ليس جيداً ، واراد أن يحكم الأصول النحوية في قول العربي على مذهب البصريين .

هذه أمثلة قليلة تشير إلى اتجاه أبي زيد في هذا المجال وهذه الأمثلة مع سبقاتها تدل دالة قاطعة على غلبة هذه النزعة البصرية عند أبي زيد .

وقد يكون من المناسب هنا أن نسجل أن البصريين قد جانبهم الصواب في نزاعهم هذه ، لأن القول بتخطئة العربي ليس له ما يسوّغه فاللغة كما هو معلوم لدينا وكما يؤكده العالم اللغوي مولتن Moultin هي مجموعة عاداتٍ ، ومن الصعب التصديق بأن صاحبها ينسى ما تعوده أو يغفلت فيه ، وقصة أبي عمرو بن العلاء في خلافه مع عيسى بن عمر في مسألة (ليس الطيب الا المسك) مشهورة ، حيث ذهب عيسى بن عمر إلى نصب (المسك) ، وذهب أبو عمرو إلى جواز الرفع والنصب وقال : ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ولا في الأرض تعييِّ الا وهو يرفع ، وأرسل اثنين من علماء العربية إلى رجلين من العينين ليحاولا تلقينهما بخلاف ما ينطقوان ، فلم يستطعا إلى ذلك سبيلاً .

ثم اذا كنا نخطيء العربي فعمّن نأخذ اللغة .

ان العربي هو صاحب اللغة ومالها فله أن يتصرف في مفرداتها وتراكيبيها وفق ما يتفق مع طبيعته وعاداته اللغوية ، غاية الأمر أنه ينبغي مراعاة بيئته المتكلم ، ولا نخلط لهجة بأخرى ، وعندنا أن كلّ كلام في بيئته صحيح ، وان كان مخالفًا لكلام أقوام آخرين .

ثالثاً : الضبط والتقييد

بالغ البصريون في التحرى والحيطة في جمع الشواهد التي عدّوها خالصة سليمة ، وامتنعوا عن الأخذ من أهل العاشرة نظراً لفسور اللحن فيهم واحتلاطهم بالأعاجم ، وضرروا إلى الbadia لآن أهلها أبعد ما يكونون عن اللحن ، كل ذلك لأجل أن يضمنوا لقواعدهم السلامة والدقة .

١) النواود في اللغة ٢٣ ، ٢٤ .

٢) المرجع السابق ١٣ ، ١٤ .

٣) انظر . Rivers, Wilga M., *Teaching Foreign Language Skills*, P. 37, U.S.A., Third Impression, 1970.

٤) انظر المجالس المذكورة للعلماء ٣٢٢ لأحد علماء القرن الرابع ، مخطوط بدار الكتب برقم ٧٧ شن وقد صورتها

دار الكتب باسم مجالس أبي مسلم برقم ٩٥٨ ادب .

وقد عرفت البصرة بأنها كانت موطنًا للمذاهب العقلية والفرق الكلامية ، وطبعي أن تتأثر مدرسة النحو واللغة فيها بتلك المذاهب فتجنح نحو التنظيم والتقييد .

وقد أدى إلى هذا الاتجاه ضرورة دينية بسبب فساد الملوك اللسانية نتيجة الفتح الإسلامي ومخالطة الأعاجم مما أوجد خطرًا على صفاء اللغة وسلامتها .

غلبت نزعة الضبط والتقييد هذه على المذهب البصري ، فقد كان البصريون أكثر هيمنة وأقوى سلطاناً على اللغة لأنهم يريدون أن يصنعوا لغة يسودها النظام والمنطق .

أما الكوفيون فكانوا أقرب إلى روح الدراسة اللغوية وأبعد ما يكون عن الأخذ بأسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلسفة .

وقد وصف الاستاذ أحمد أمين المذهبين بقوله : « البصريون أكثر حرية وأقوى عقلاً وطريقهم أكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة ، والكوفيون أقل حرية وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً » ^١ .

أما أبو زيد الأنصاري فقد غلبت عليه نزعة البصرية بحكم نشأته في البصرة وتأثره بما يدور فيها من مذاهب عقلية فما إلى الضبط والتقييد وظاهر ذلك في مذهبة بوضوح :

فقد أنسد في كتابه *النواود في اللغة* قول عدى بن زيد :

فَلَيَتَ دَفَعْتَ الْأَمْرَ عَنِّيْ سَاعَةً فَبَيْتَنَا عَلَى مَا خَيَّلْتَ نَاعِمَّاً بِالِّ

ثم علق على البيت فقال : « قوله فليت دفعت أراد فليتك دفعت أي فليت الأمر لأن ليت حرف مشبه بالفعل ولا يجوز أن يليه الفعل » ^٢ .

فأبو زيد هنا يضع قاعدة بعدم جواز اتباع ليت بالفعل ، وتلك نزعة بصرية قياسية ، بالرغم من ورودها في كلام عربي .

و جاء في كتاب *النواود* أيضًا قول أبي زيد : « وهِجَتْ الْأَبْلَ آهِيجَنْهَا هِيَجَكَهَا بالليل إلى المورد وإلى الكلا ، وكل شيء هاج فمصدره الهَيَجَ غير الفعل فإنه يهيج هِيَجَأً » ^٣ . فهو يضع قاعدة لاشتقاق مصدر هاج .

وفي تعرض أبي زيد لقوله تعالى : « أَوْ جَأْوُكُمْ حَسْرَتْ صَدُورُهُمْ » ^٤ . منع أن يقع الماضي حالاً إلا أن تصله بقد أو الواو مما يبرز عليه التقعيد عليه استجابة لنزعة البصرية ، قال أبو زيد : « ولا يكون جاءني القوم ضاقت صدورهم إلا أن تصله بواو أو بقد كأنك قلت : جاءني القوم ضاقت صدورهم أو وقد ضاقت صدورهم » ^٥ .

١) ضعى الإسلام - أحسد ابن ٢٩٦/٢

٢) النواود في اللغة / ٢٥

٣) النواود في اللغة / ١٩٤ ، ١٩٥

٤) سورة النساء / ٩٠

٥) لسان العرب / حصر

وقد سلك سيبويه المنهج نفسه فلم يجز وقوع الماضي حالا الا مع قد ، وجعل حصر صدورهم على جهة الدعاء عليهم^١ ، في حين أجاز ذلك الكوفيون واستشهدوا بقول أبي صخر المهندي :

وائى لتنعروني لذكركِ نفضة كما انتفاض العصفور بليله القطر^٢

وقال الفراء : العرب تقول أتاني فلان ذهب عقله يريدون قد ذهب عقله^٣ .

ونقول : ان رأى الكوفيين في هذه المسألة أقرب الى الصواب لأنه يعتمد على المسموع من كلام العرب .

أما منهجهم القائم على فهم الطبيعة اللغوية والبعد عن اقحام المنطق فهو أقرب الى المنهج اللغوي الحديث ، حيث يصر هذا المنهج على اتباع المسموع والمنطق بالفعل ، ويهمل اعمال المنطق أو الفكر الفلسفي في التقييد اللغوي .

رابعاً : الدقة في التحرى عن الشواهد

عرف عن الكوفيون بأنهم لم يدققوا تدقيق البصريين في البحث عن الشواهد ، فكانوا أكثر تجويزاً ، وقبلوا كل ما جاء عن العرب واعتقدوا به ، وقد يتتساهلون مع هذا في التثبت من معرفة القائل ، وربما استشهدوا بشطر بيت لا يعرف شطره الآخر ولا يعلم قائله .

أما البصريون فكانوا في منهجهم أكثر تحريراً وتنقيباً عن الشواهد السليمة وقد بالغوا في ذلك فابتعدوا عن كل شاهد متحول ومفتعل ، وقاموا خططهم على اعتماد الشواهد التي يكثر دورانها على ألسنة العرب ، وامتنعوا عن الأخذ عن سكن الأرياف وجاور الحضر ، ولم يقصدوا إلا القبائل التي عرفت ببعدها عن مظنة الفساد ، واشتهرت بجودة الأسلوب .

وهكذا كان البصريون في منهجهم في البحث عن اللغة أكثر تصلباً فلم يعتمدوا إلا الروايات التي وثقوا بها واطمأنوا إليها ، ولم يأخذوا إلا عن الفصحاء ، تحقيقاً للدقة في التحرى عن الشواهد ، وآية ذلك أول كتاب لهم وهو كتاب سيبويه حيث تردد فيه عبارات مثل : « العرب الموثوق بعريبيتهم » أو « عربي أدق بعربيته » أو « حدثنا من يوثق به من العرب ... » .

ومن أجل ذلك فقد افتخر أحد علماء البصرة متباهياً على الكوفيين بقوله : « إنما أخذنا اللغة عن حرفة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكوامين وأكلة الشواريز »^٤ .

وقد غلت هذه التزعة البصرية على أبي زيد الأنصاري حتى رأيناه يقول : « ما أقول قال العرب الا اذا سمعته من عجز هوازن وبني كلاب وبني هلال أو من عالية السافلة أو من سافلة العالية والا لم أقل قالت العرب »^٥ .

١) لسان العرب / حصر .

٢) انظر الاتصال في مسائل الغلاف ١٤٤/١ ، تاليف كمال الدين بن الانباري تحقيق محمد محيي الدين الطيبة الثالثة مصر سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

٣) لسان العرب / حصر .

٤) أخبار التغريبين البصريين للسراافي / ٦٨ .

٥) مراتب التغريبين - أبو الطيب اللغوي / ٩٠ .

ومؤلّاه الذين ذكرهم أبو زيد هم أفعص الناس كما يقول السيوطي^١ . وانطلاقاً من هذا المبدأ رأينا أبو زيد يردد عبارات مثل : « عربي يوثق بعربيته » ، « أعرابي من الفصحاء » ، « أعرابية وهي فصيحة » . وغير ذلك ، فأئبته سيبويه في منهجه عنده كثير في كتابه تردد مثل هذه العبارات .

وقد عاب أبو زيد معاصره الكسانى الكوفي لأخذه عن أعراب الحطمة لأنهم غير فصحاء ، قال أبو زيد : « قدم الكسانى البصرة . فأخذ عن أبي عمرو ويونس وعيسى بن عمر علماً كثيراً صحيحاً ثم خرج إلى بغداد ، فقدم أعراب الحطمة فأخذ عنهم شيئاً فاسداً فخلط هذا بذلك فأفسده »^٢ .

ولا شك في أن أبو زيد يعبر في قوله هذا عن وجهة نظره ومن لف لفه من البصريين ، وهذا بالتالى يدل على غلبة النزعة البصرية عليه في هذا المجال .

هذه اشارات تنبئ عن مظاهر النزعة البصرية في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو وقد ظهرت عنده بحكم نشاته في البصرة وتأثيره بما يدور فيها .

لكن أبو زيد عرف بارتعاله إلى الكوفة وتتلمنه على شيخها المفضل وأخذه عن الكوفيين . فانعكس كل ذلك على آرائه في الصرف والنحو وبرزت فيه النزعة الكوفية التي تناولها بالحديث لابراز جوانبها في الصفحات التالية .

النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد اولاً : القياس على الشاذ

قدم البصريون أصولهم التي وضعوها فكانوا إذا سمعوا شاهداً مخالفًا لتلك الأصول وصفوه بالشذوذ وتوقفوا عن القياس عليه .

اما الكوفيون فكانوا أكثر تحرراً ، وكثيراً ما عمدوا إلى تغيير أو تعديل أصولهم لتكون وفق الأمثلة المسموعة ، وهكذا يهون على الكوفي نصف أصل من أصوله ولا يهون عليه اطراح ما سمع من العرب ، وكان من نتيجة ذلك أن الكوفيين يعتقدون بالمثال الواحد ويقيسون على ما سُمّي بالشاذ .

وقد ظهر تأثر أبي زيد بالمنهج الكوفي في أبرز صورة في تطبيقه القياس على ما سُمّي بالشاذ في اتجاهه النحوي مخالفًا بذلك البصريين وخارجًا على أصولهم .

وسوف نسوق بعض الأمثلة لتوضيح ما ذهبنا إليه :

فالنحوين البصريون يجعلون من أصولهم عدم جواز تصحيح الفعل الأجوف الياء والواو ويوجبون بقاءه مُعَلّاً ، وعندما يواجهون بأمثلة رُوِيَ التصحيح فيها عن العرب مثل : استئناف الجمل ، واستنتيس الشاة ، واستترُّوح الريح وأغْيَلت المرأة وأغْيَمت السماء واستقَيل الصبي ، فإنهم يعدون هذه الأمثلة شاذة ويتوقفون عن القياس عليها .

١) المزهر - السيوطي ٤٨٣/٢

٢) أخبار النحوين البصريين - أبو سعيد السيرافي ٤٤/٤

وقد خالف أبو زيد الانصاري البصريين فيما ذهبوا إليه استجابة لنزعته الكوفية في جواز القياس على الشاذ ، فكان يرى التصحح في ذلك مقياسا اعتبارا بهذه الألفاظ وأمثالها ، وقد روى الجوهري عنه أنه حكى عنهم تصحيح استعمل تصحيحا مطربا ، وأشار الجوهري إلى أن تصحيح هذه الأشياء لغة صحيحة فصيحة^١ .

والمثال الآخر الذي طبق فيه أبو زيد منهجه في جواز القياس على الشاذ هو حلف حرف العطف^٢ .

فقد سمع أبو زيد قول الشاعر :

مالي لا آستي على علاتي صبائحي غبائقي قيلاتي
أراد غبائقي وقيلاتي فحذف حرف العطف .

وقول الآخر :

كيف أصبحتَ كيف أمستَ مما يثبتُ الود في فُوادِ الْكَرِيمِ
أراد : « وكيف أمستَ » .

فاعتبر ذلك مقياسا حيث روى أبو عثمان المازني عنه قوله : « أكلت لحما سمكا تمرا » أراد سمكا وتمرا .

لكن ابن جني - وهو من ينسجون على منوال البصريين - يرفض ذلك ويعتبره شادا ضعيفا في القياس ويطيل الشرح في رده ويطلاقنه^٣ .

وأنشد أبو زيد في نوادره قول ذي الخرق الطهوي :

يقولُ الخنا وأبغضُ العجمِ ناطقاً إلى رَبُّنا صوتُ الحمارِ اليُجَدِّعُ

فأدخل الشاعر الألف واللام على الفعل وهذا لا يقبله النحويون البصريون وقد انكره أبو العباس المبرد وهو الذي انتهى إليه علم البصريين في زمنه ، فقد نقل تلميذه أبو الحسن الأخفش تعليقه على الرواية قال : « وقال لا يجوز ادخال الألف واللام على الأفعال ، فان أريد بها الذي كان أفسد في العربية » .

وقد امتحن أبو الحسن موقف المبرد بقوله : « وكان لا يلتفت إلى شيء من هذه الروايات التي تشد عن الاجتماع والقياس » .

(١) انظر ارتشاف الضرب ١١٧ ، ١١٨ ، تاليف أبي حيان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٨٢٨ نحو وانظر أيضاً البحر المحيط ٣٥/٢ تاليف أبي حيان ، الطبعة الأولى مصر ١٢٢٨م ، وكذلك همس الهوامع ٢٢٤/٢ ، تاليف السيوطى ، الطبعة الأولى ، مصر ١٢٢٧م .

(٢) انظر مخطوطة سر صناعة الأهرب - ابن جني ٢٢٣ ، والخصائص - ابن جني ٢٩٠/١ ، ٢٩١ .

(٣) النوادر في اللغة ٦٨-٦٦ .

هذا موقف البصريين ومن لفَّ لفَّهم ، أما أبو زيد فقد قاس ذلك وقال : يقال **الى يضر بك** ورأيت **الى يضر بك** يريده الذي يضر بك وهذا **الوَضَعَ** **الشعر** يريده الذي وضع **الشعر** ،^١

وفي رأينا أن **البصريين** **جانبوا الصواب** فيما ذهبوا إليه في رفضهم **ل الشواهد والأمثلة** التي تختلف **أصولهم** لأن هذه **الأمثلة** **والشواهد** قد تمثل لهجة يتكلم بها العرب ، فلا يجوز والحالة هذه رفضها وتجاهلها بحال من الأحوال ، وفي ذلك يقول ابن جنی في باب اختلاف اللغات وكلها حجة : « **فالتناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ** »^٢ .

كما يقول أبو حيان في شرح التسهيل : « **كل ما كان لغة لقبيلة صعب القياس عليه** »^٣ .
نهاية الأمر انه كان على الكوفيين ان ينظروا الى هذه الأمثلة المفردة في اطار لهجاتها الخاصة او بيئتها المعينة .

ثانياً : بعد التعليل

نطق العرب على سجيتهم ، وكما أساميها طبعتهم لأن اللغة في الأصل مجموعة عادات ، وان هذه العادات اللغوية تكون قد استقرت بشكل خاص في مرحلة الطفولة المبكرة^٤ **Babbling Stages** عندما يكون الطفل يمارس جهاز تكلمه ليبيحه أذنيه .

وبذلك فان الكفاءة في استخدامها كما يقول Palmer تاتي نتيجة لتكوين عادات ثابتة^٥ .

ومعنى هذا الكلام أننا لستنا بحاجة في اللغة الى التعليل والتعلق بأساليب الفلاسفة .

لذلك لم يحاول العرب وضع تعليل لما نطقوا به ، واطردت أساليبهم على هذا النحو المعين ، الى أن جاء علماء اللغة في مرحلة جمعها وأخذوا يبحثون فيها بغية الوقوف على أسرارها بهدف ضبطها وتسخيرها على الدارسين .

ومن أجل تحقيق غرضهم في تعقيد اللغة أخذوا يجتهدون في وضع العلل والأسباب محاولين أن يترجموا عما لم يصرح به العرب .

وقد أشار لما ذهبنا اليه الخليل بن أحمد عندما سُئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، هل أخذها عن العرب أم اخترعها من نفسه أجاب : « **ان العرب نطقوا على سجيتها وطبعها** ، وعرفت موضع كلامها ، وقامت في عقولها عللها ، وان لم ينقل ذلك عنها ، وعللت أنا بما عندي أنه علة ، لما عللت منه ، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمس وان لم يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذي ذكرته محتمل أنه علة ، فإن سُنحت لغيري علة لما عللت من النحو هي أليق مما ذكرت بالملول فليات بها »^٦ .

١) لسان العرب / لوم .

٢) الفصائض - ابن جنی ١٢/٧

٣) المزهر للسيوطى ١٥٣/١

٤) Firth, *The Tongues of Men and Speech*, P. 22, London 1966, Oxford University Press.

٥) Byrne, Donn, *English Teaching Extracts*, P. 36, Great Britain 1972.

٦) الاقتراح - السيوطى ٦٨/

وقالوا : كان عبد الله بن اسحاق أول من علل النحو ، وكان شديد التجرييد للقياس .

ووصل التعليل مرحلة متقدمة على يد الخليل وسيبوه .

وتكلم السيوطي في الاقتراح عما أسماه بالعلل التعليمية والعلل القياسية والعلل الجدلية والنظيرية . وتكلم غيره من النحاة عن العلل الثنائي والثالث ^١ .

وفي نهاية المطاف خرجت هذه العلل عن العد المستساغ ، وظهر فيها النهج المنطقي والافتراض العقلن فأصبحت مرذولة مستكره ، بعد أن جافت البساطة وقصد فيها إلى الإبعاد ، يتضح ذلك في أبواب كثيرة طرقوا فيها ما ليس من النحو في شيء والتمسوا لها من العلل ما لا يقبل ، ولا يتصل بالواقع بسبب . وقد كان ذلك مدعما عند أبي علي الفارسي لأن يقول عن الرماني النحوي الذي عرف بأسلوبه المعقّد في تحليل المادة النحوية : « إن كان النحو ما مع الرماني فليس معنا منه شيء وإن كان النحو ما معنا فليس معه منه شيء » ^٢ .

أما الكوفيون فقد قام منهمجهم على اعتماد السموع من كلام العرب ، والميل عن تحكم المقياس العقلية في القضايا النحوية ، فكانوا بذلك أقرب إلى روح الدراسة اللغوية وأبعد ما يكون عن الأخذ بأسباب المنطق أو التعلق بأساليب الفلسفه ، يدلنا على ذلك قول الكسائي الكوفي عندما سئل عن اختلاف أحوال « أي » وتعليقه أجاب بقوله : أي كذا خلقت ، ومعنى ذلك في وضوح أن تلك الطواهر اللغوية تنقل و لاتمتنع ولا تفسر بعمل عقلي ، وذلك هو الأساس السليم للمنهج اللغوي .

وقد ظهرت هذه النزعة الكوفية عند أبي زيد الانصاري الذي كان يتردد على الكوفة في مراحل دراسته فرأينا في اتجاهه النحوي يبتعد عن التعليل فقد أنشد في كتابه التوادر قول عمرو بن ملقط :

مَهْمَا لِيَ التَّيَّلَةَ مَهْمَا لِيَ أَوْدَى بَنْلَىَ وَسِرْ بَالِيَّ

وأكفى بالتعليق عليه بقوله : « مهما تجيء للجزاء فجاء بها في غير موضعها » ^٣ في حين أن أبي الحسن الأخفش لم يرض بقول أبي زيد المتقدم وغلبت عليه نزعته البصرية في ميله إلى التعليل فقال في شرح طويل : « قوله مهما لي ما الثانية زائدة للتوكيد وهي غير لازمة كما تلزم في الجزء اذا قلت مهما تصنع أصنع فهي في الجزء ما ضمت اليها الأخرى وجعلت للشرط كحرف واحد وأبدلوا الها من الألف وأنها حرف ها لا مستقر لها فكرهوا اجتماع ميمين ليس بينهما الا ألف وهي لخفايتها وانها تهوى في مخرجها حاجز ليس بمحضين فكانهم جمعوا بين ميمين فأبدلوا منها الها كما كانت شريكتها في الغفاء ولم تكن هاوية بمنزلة العركرة ، فهذا الشاعر زاد (ما) للتوكيد كما تراه في قوله عز وجل « فيما نقضهم ميتاهم » ^٤ « وما خطاياهم » ^٥ وزيادتها للتوكيد تكثّر جدا وانما المعتمد عليه (ما) الأولى وهي التي للاستفهام

١) انظر الرد على النحاة / ١٥١ تأليف ابن مضاء القرطبي ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف - الطبعة الأولى - مصر سنة ١٩٤٧ م .

٢) معجم الأدباء للياقوت ٧٤/١٤ ، ٧٥

٣) التوادر في اللغة / ٦٢ ، ٦٣

٤) سورة المائدة / ١٣

٥) سورة نوح / ٢٥ وهي قراءة

والثانية مؤكدة واستثنال الجمع بين ميمينها هنا كاستثنال في الجزء لما بينت لك فعوّضت الهاء من الف ما الأولى لهذا الشرح ^١ .

فابو الحسن يخرج أولاً بعلة استثنال الجمع بين ميمين ليس بينهما إلا ألف ، ثم يبدأ ثانياً بتعليق ابدال الهاء من الألف فيصرح بأنهم فعلوا ذلك لعلة خفاء الألف وعلة أنها حرف هاء لا مستقر ... وهل يعقل أن يكون كل هذا التعليل قد صرخ به الشاعر أو دار في خلده عندما نطق هذا البيت ^٢ ؟

لكن أبو زيد الانصاري - كما رأينا - تمشياً مع مذهبه في البعد عن التعليل احتمل الاستعمال اللغوي فصرح بأن الشاعر قد استعمل الكلمة في غير موضعها ، وهو منهج أقرب إلى الطبيعة اللغوية يظهر مدى ما تتمتع به صاحبنا من حس لغوي وبعد عن الأخذ بأسباب المنطق .

وأقول إن المدرسة البصرية قد جانت الصواب مرة ثانية في ميلها إلى التعليل لأن المنهج اللغوي السليم يقتضي التخل التام عن التعليل النحوى في أي لون من الوانه النظرية حيث إن ميدان البحث اللغوى هو اللغة نفسها دون الأخذ بأسباب المنطق وأساليب الفلسفة كما أن الظواهر اللغوية تنقل ولا تمنطق ولا تفسر بعمل عقل فليس من شأن (البراماتيكا) ^٣ Grammar كما يقول العالم اللغوى Morris أن يضع قوانين اللغة كي تتبعها ولكنه يلاحظ ويسجل ^٤ .

ومن هذا المنطلق كان حكمنا على المنهج الكوفي بأنه أقرب إلى الطبيعة اللغوية لأنه ينحى عن التعليل والأمعان المنطقي ويميل إلى التتبع اللغوى واعتماد المسموع من كلام العرب .

ولقد أصاب أبو زيد في رأينا - في خروجه على المدرسة البصرية ونزعوه نحو مدرسة الكوفة في عدم ميلها إلى التعليل ، فقد كان الرجل متعرراً ، وتلك صفة يتميز بها من يود أن يكون مؤسساً لمذهب جديد .

وحيديثنا عن بعد أبي زيد عن التعليل يسلمنا للحديث عن جانب آخر من جوانب نزعته الكوفية ، يتصل به اتصالاً وثيقاً ذلك هو :

ثالثاً : البعد عن التقدير والتاويل

شهدت العربية في مراحل جمعها علماء برة من أبنائها وقفوا حياتهم في سبيل خدمتها ، والتعرف على أسرارها ، فكانوا يضربون إلى البدائية يجوبون صحراءها من أجل الالقاء بالأعراب الخالص ومشافهتهم حيث يدونون ما يسمونه منهم في صحائفهم ويعودون به ليجروا دراساتهم عليه في محاولة ضبط اللغة وتيسيرها على الدارسين .

ولكن أفرق البصريون في منهجم العقلي الذي قادهم إلى الأخذ بأسباب المنطق فأبعدهم عن منهج البحث اللغوى السليم ، فأخذوا يفترضون ما لم يسمعوا ويقدرون ما لم تنطق به العرب .

وقد رأينا في الصفحات الماضية كيف أن اقحام المنطق في الدراسات اللغوية قاد البصريين إلى محاولة تعليل الظواهر اللغوية ، كما قادهم على نحو ما سنبين في هذه السطور إلى التقدير والتاويل .

١) التوايد في اللغة ٦٢ - ٦٤ .

٢) انظر دراسات في علم اللغة - للدكتور كمال بشر ٨٦/٢ حيث نقلت ترجمة « البراماتيكا » منه .

٣) Byrne, Donn. English Teaching Extracts. P. 88.

تحكمت نظرية العامل في عقول البصريين فجعلتهم يفرطون في التقدير والتأويل فإذا واجهوا مثلاً كقولك : الولد قام ، قالوا ان فاعل قام ضمير مستتر تقديره هو يعود على الولد ، وإذا رأوا مثلاً كقولك : أزيداً ضربته قالوا ان زيداً مفعول بفعل ضمير تقديره أضررت زيداً ، وهذه دعوى لا دليل عليها الا ما زعموا من أن (ضررت) من الأفعال المتعددة الى مفعول واحد ، وقد تدعى الى الضمير ، ولا بد لزيد من ناصب ان لم يكن ظاهراً فمقدر ، ولا ظاهر ، فلم يبق الا الاضماء . وهذا بناء على أن كل منصوب لا بد له من ناصب ، وتلك قضية في المنطق تقول بأن لكل معلوم علة .

وقد أدى مثل هذه التقديرات والتأويلات المملاة التي أوجدها النحويون ، الى أن يصبح الكلام معقداً غير مفهوم اذا سمع لأول وهلة ، في حين ان العربي الذي اتخذ اللغة وسيلة للتعبير عن أفكاره وأداة للتفكير في شؤون حياته لم يصرح بمثل هذه التقديرات والتأويلات ، بل على العكس من ذلك وجدناه يشترط منها ، فقد روى أن أعرابياً وقف على مجلس الأخفش المتوفى سنة ٢٤١٥هـ فسمع كلامهم في النحو فحار وعجب ، واستطرق ووسوس ، فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ؟ قال : أراكم تتكلمون في كلامنا بما ليس فيه^١ .

ووصل الحال ببعض النحوين الى أن يعتمدوا القموض في دراساتهم النحوية والى أن يجعلوا من النحو رياضة ذهنية ، فقد قال الجاحظ لأبي الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بال نحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها ؟ وما بالنا نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ؟ وما بالك تقدم بعض المويض وتؤخر بعض المفهوم ؟ قال : أنا رجل لم أصنع كتببي هذه لله ، ولبيست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني اليه قللت حاجاتهم اليّ فيها وانا قد كسبت في هذا التدبير اذ كنت الى التكسب ذهبت^٢ .

وكان من نتيجة تلك التأويلات والتقديرات المتكلفة ان كره بعض الدارسين النحو ورغبوها عن دراسته لما وجدوا فيه من تعقيد وتكلف ، ولعل من الطريف أن نسوق هنا ما روى عن دماد صاحب أبي عبيدة من أنه قرأ من النحو الى بابي الفاء والواو ، فلما استمع الى قول الغليل وأصحابه : ان ما بعدهما ينتصب بآن مضمرة وجوهاً نبا فهمه عن ذلك ، وكتب الى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره يشكو اليه ما لقيه من عنت الى أن قال^٣ :

فقد كِدْتُ يَا بَكْرُ مِنْ طُولِ مَا افْكَرْ فِي بَابِهِ أَنْ أَجِنْ

اما أبو زيد الانصاري بما أوتي من حس لغوي سليم نراه يستلهم روح العربية ويبعد عن التأويل والتقدير فيخرج على المدرسة البصرية فيما ذهبت اليه في هذا المجال .

في الوقت الذي نجد فيه أبا على الفارسيَّ وهو من ينسجون على منوال البصريينَ عندما يسمع قول الشاعر :

لَعَلَّ أَبَيِ الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبٌ

(١) انظر معجم الأدباء - ياقوت ١٠٣/١٢

(٢) انظر العيون - الجاحظ ١١/١

(٣) أخبار النحوين البصريين - ابو سعيد السيرافي ٦٠

يرفض الجر بلعل جريبا على مذهب البصريين ، ويقوده ذلك الى أن يتناول البيت حتى لا يخالف الأصل الذي ارتضاه - وهو عدم جواز الجر بلعل - . فيقول : ان أصل البيت لعله لا يبي المفوار جوابه قريب موصوف قريب وضمير الشأن ولام لعل الثانية تخفيفا وادغم الأولى في لام الجر ومن ثم كانت مكسورة ، ومن فتح فهو على لغة المال لزيد .

وقد أثار هذا التأويل والتقدير ضيق العالم اللغوي السيوطي فعقب على قول الفارسي بقوله : « وهذا تكلف كثير مردود » ١

وأقول في الوقت الذي نرى فيه أبا علي يذهب لما سبقت الاشارة اليه نسمع أبا زيد يقول : ان لعل حرف جر وما بعدها مجرور بها فيتجنب التأويل والتقدير مقدما عليه ما سمعه من العرب حيث ان الجر بلعل لغةبني عقيل ٢ . وذلك لعمري النهج اللغوي السليم .

وعندما يتناول جمهور البصريين الا تعريف للتمييز ويتأولون ما ورد عن العرب في ذلك يخرج عليهم أبو زيد الانصاري بجواز ذلك لأنه سمع العرب تقول ما فعلت العشرون الدرهم ٣ .

وهكذا يبتعد عن التأويل والتقدير انطلاقا من مذهبه الذي يقوم على استلهام روح العربية وعدم التعلق بأسباب المتعلق .

وخلاله القول فيما اسلفنا : ان أبا زيد الانصاري تمثينا مع نزعته الكوفية يبتعد عن التأويل والتأويل اللذين امتألات بهما كتب النحاة البصريين وانه بدلا من ذلك استجواب لطبعه اللغوي السليم الذي يستلهم روح العربية وينأى عن الأخذ بأسباب المتعلق ، فيتفق بذلك مع النهج اللغوي الحديث الذي يحذر الباحث في اللغة من التعلق بالمنطق وبكل ما يعده خارجا عن ميدان البحث في اللغة ، وهكذا تصبح اللغة وسيلة سهلة للتتفاهم وأداة طيبة للتعبير عن الأفكار .

ويكون أبو زيد في احترامه للسموع عن العرب وقياسه على ما سمي بالشاذ وبعده عن التأويل والتقدير والتعليق قد خلص النحو من كثير مما لا يحتاج اليه الدارس ، وبذلك كان أبو زيد رائدا في مجال تيسير النحو على الدارسين ، وكانت الدعوات التي خرجت تبادلي بتسهيل النحو صدى لما ردد أبو زيد منذ مئات السنين ، وسوف نأتي على هذه المسالة مبرزين جهود صاحبنا في تسهيل النحو عقب الانتهاء من بيان مذهبة في الصرف والنحو .

اما الان ، وقد انتهينا من توضيع النزاعتين البصرية والковفية في اتجاه أبي زيد ، آن الاوان لأن نقول : ان ذلك لا يعني اطلاقا أن يكون أبو زيد في مسلكه هذا في الصرف والنحو قد اقتصر على الأخذ من البصريين والkovفيين دون أن يكون له في ذلك مظاهر استقلال وتجدد ، حيث ان الواقع يشير الى أن لأبي زيد فضل سبق على غيره من علماء عصره البصريين في التحرر من المصبية البلدية ، وقد ساعده ذلك على تمكين حرية الرأي عنده ، وعلى حرية العرفة بالأخذ عن الكوفيين وبالتالي الى بروز شخصيته واستقلالها على نحو فريد مكنته من التجدد في نواح كثيرة .

١) انظر همع الهوامع ٢٣/٢

٢) انظر ارشاد الضرب - ابو حيان ٦٠١

٣) انظر البحر العبيط - ابو حيان ١٩٩/١

وخلاصة القول في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو : أنه اوتذر على أساس ثلاثة :
أولها : تعمد بدأه بالخروج على تقليد أهل البصرة بعدم الأخذ عن الكوفيين .

ثانيها : انتخاب من المذهبين البصري والكوفي على نحو ما أسلفنا ، ومن أجل ذلك اعتبرناه واحدا من المؤسسين الحقيقيين للمدرسة البغدادية .

ثالثها : تجديد سعاده عليه استقلال شخصيته .

مظاهر التجديد في اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو

استلهام روح العربية في تفسير الطواهر اللغوية

اعتمد البصريون على العقل والمنطق في تفسير الطواهر اللغوية ومن أجل ذلك كانوا أقوى سلطاناً عليها وأكثر تشددًا في تعقيدها ، لكنهم كانوا أبعد عن الطبيعة اللغوية والمنهج اللغوي السليم ، فقد قادهم اقحام المنطق في الدراسة اللغوية الى مزيد من الجدل والمناقشة ثم الى مزيد من الاختلاف على نحو ما امثالات به كتب النحو عندهم مما ادى الى تعقيد النحو وزعده كثير من الدارسين فيه .

وقد وصل بهم الحال بسبب تحكم المنهج العقل في دراستهم اللغوية الى أن يفضلوا لغة من لغات العرب على غيرها ، فيقدموا لغة تميم مثلاً على لغة أهل الحجاز في (ما) وذلك أن العجائزين يعملون (ما) عمل (ليس) وبني تميم يهملونها ويرفون جزأي الجملة بعدها فيقولون : إن لغة تميم أقيس لأن (ما) لا تختص بالدخول على الاسم فليس من قياسها أن تكون عاملة فيه ١ .

وتجدر الاشارة هنا الى أن تفضيل لغة على أخرى غير مقبول ، ولكن من حقهم تحديد البيئة والصيغة خوفاً من الخلط لا على أساس الأفضلية .

كما رفضوا بعض الاساليب العربية لأنها لم تتفق مع قواعدهم وقاموا يشرعون أساليب في العربية لم يسمعواها من العرب .

وأقول : إن مهمه الباحث اللغوي تنحصر في ملاحظة الطواهر اللغوية ووضعها دون محاولة التدخل فيها ، لأن لغة منطقاً خاصاً يختلف عن المنطق العام ، وقد خرجت اللغة في أحوال كثيرة عن هذا المنطق وكان ذلك أمراً طبيعياً لأن لكل لغة خواصها .

وقد أحسن أبو زيد الانصاري صنعاً في اعتماده على حسّه اللغوي الذي يستلهم روح العربية في تفسير الطواهر اللغوية فكان بذلك أقرب من غيره الى طبيعة الدراسة اللغوية .

فقد أنسد في نوادره قول الشاعر :

ازْمَ عَلَيْهِ وَنَائِي بِكَلَكَلٍ

١) انظر أحياء النحو / ٢٩ تأليف الاستاذ ابراهيم مصطفى ، طبعة مصر ١٩٥١ م .

فعقب أبو الحسن الأخفش - وهو من ينتهج منهج البصريين - على البيت بقوله : « يقال **ازم** عليه **وازِم** عليه فهذا إنما اسكن **ازم** استثنالاً للكثرة والفتحة لا تستثنل » .

فأبوبالحسن هنا يتوجه إلى العقل والمنطق يسائلهما في سبب اسكنان (ازم) فيهتدى إلى علة استثنال الكثرة ، في حين نرى أبا زيد عندما يشرح اسكنان (ازم) يقول : « سمعت من يقول وليحيلنَ أسكننَ لام القسم والابتداء وهذا النحو سمعت منبني ضبئ سرير وسررَ وبشر جرور وبارجَرَ ومن لفتهم صبور وصبر يكرهون الضميين » .^١

فنلاحظ أن أبا زيد لا يلتجأ إلى العقل والمنطق لتفسيـر الظاهرة اللغوية ، ويستعـض عن ذلك باستلهام العربية على النحو المتقدم ، ويتفق في ذلك مع المنهج اللغوي السليم .

على أن أهم ما يبرز شخصية أبي زيد الاستقلالية انفراده بآراء تميز بها - في الصرف والنحو - عن غيره من علماء النحو من المدرستين وذلك ما سوف نتناوله في الصفحات التالية منهـنـ حديثـنا عن اتجـاهـه في الـصـرـفـ والنـحـوـ .

آراء انفرد بها أبو زيد
ومن مظاهر استقلال أبي زيد أنه كان ينفرد - في بعض الأحيان - بين النحوين بآراء يتميز بها مما يشير إلى حرية تفكيره ، وتجديده في منهـجه .

وعلى الرغم من أن المراجع لم تسعـفـنا بمزيد من مـادـةـ أبيـ زـيدـ النـحـوـيةـ كماـ أـشـرـنـاـ سابـقاـ ،ـ الاـ أنـاـ لمـ نـعـدـ بـعـدـ بـعـضـ الـأـمـثـلـةـ الـتـيـ تـكـشـفـ عـلـىـ قـلـقـلـهـ اـسـتـقـلـالـ سـخـصـيـةـ صـاحـبـناـ .

وسوف نوردهـاـ عـلـىـ الـوـجـهـ التـالـيـ :

١ - زيادة أم : أم في الأصل حرف عطف نائب عن تكـرـيرـ الـأـسـمـ أوـ الفـعـلـ نـحـوـ :
أـزـيدـ عـنـدـكـ أـمـ عـمـرـ ،ـ فـاـذـاـ عـادـلـ الـهـمـزـةـ وـجـاءـ بـعـدـ مـفـرـدـ أوـ جـمـلـةـ فيـ مـعـنـيـ المـفـرـدـ سـمـيـتـ أـمـ مـتـصـلـةـ ،ـ وـاـذـاـ انـخـرـمـ هـذـاـ الشـرـطـانـ اوـ أـحـدـهـماـ سـمـيـتـ مـنـفـصـلـةـ^٢ .

وقـالـ قـوـمـ مـنـ النـحـاـةـ هـيـ (ـأـوـ)ـ أـبـدـلـتـ الـمـيـمـ مـنـ الـوـاـوـ لـتـحـولـ إـلـىـ مـعـنـىـ ،ـ أـيـ إـلـىـ غـيرـ مـعـنـىـ (ـأـوـ)ـ ،ـ وـهـوـ قـوـلـكـ فـيـ الـاسـتـفـهـاـمـ أـزـيدـ قـامـ أـمـ عـمـرـ .

وقـالـ آخـرـونـ فـيـ (ـأـمـ)ـ مـعـنـىـ الـعـطـفـ وـهـيـ اـسـتـفـهـاـمـ كـالـأـلـفـ إـلـاـ إـنـهـاـ لـاـ تـكـوـنـ فـيـ أـوـلـ الـكـلـامـ لـأـنـ فـيـهـاـ مـعـنـىـ الـعـطـفـ .

وـكـانـ أـبـوـ عـبـيـدةـ يـقـولـ (ـأـمـ)ـ تـأـتـيـ بـمـعـنـىـ أـلـفـ الـاسـتـفـهـاـمـ كـتـوـلـهـ -ـ جـلـ تـنـاؤـهـ -ـ «ـ أـمـ تـرـيـدـونـ أـنـ تـسـالـوـاـ رـسـوـلـكـمـ^٣ـ بـمـعـنـىـ (ـأـتـرـيـدـونـ)ـ .

أـمـ أـبـوـ زـكـرـيـاـ الـفـرـاءـ فـقـالـ :ـ الـعـرـبـ تـجـعـلـ (ـبـلـ)ـ مـكـانـ (ـأـمـ)ـ ،ـ وـ (ـأـمـ)ـ مـكـانـ (ـبـلـ)ـ ،ـ إـذـاـ كـانـ فـيـ أـوـلـ الـكـلـامـ اـسـتـفـهـاـمـ^٤ـ .

١) النواود في اللغة / ٤٠٤ /

٢) البعـرـ الـحـيـطـ -ـ أـبـوـ حـيـانـ ٤٥/١

٣) سورة البقرة / ١٠٨ /

٤) انظر الصاحبـيـ فـيـ قـتـ الـلـغـةـ / ١٢٦ـ تـالـيـتـ أـبـيـ الـحـسـنـ أـحـمـدـ بـنـ فـارـسـ ،ـ تـحـقـيقـ دـهـ مـصـطـفـيـ الشـوـبـيـ .ـ بـيـرـوـتـ ١٩٩٤ـ مـ ١٣٨٣ـ .ـ

وقال الفارسي وتبعه ابن جنبي ان (أم) لمجرد الاضراب وهي بمعنى (بل) عاطفة ما بعدها على ما قبلها ، واستدل على المطاف بما نقل أن بعض العرب قال : ان هنا ابلا أم شاء^١ .

تلك أقوال عامة النحويين في (أم) حصروها في المفصلة والمتصلة وفي أنها حرف عطف .

وقد انفرد أبو زيد بين النحويين - فيما نعلم - فذهب إلى أن العرب تزيد (أم) واستدل على ذلك بقوله تعالى : « أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُنَّ »^٢ ومعناه أنا خير .

ومن الشعر يقول الشاعر^٣ :

يَا دَهْنَ أَمْ مَا كَانَ مَشِيبِي رَقْصَا بَلْ قَدْ تَكُونُ مِشِيبِي تَوْقِثَا

أَرَادَ يَا دَهْنَ مَا كَانَ مَشِيبِي رَقْصَا .

وبقول الآخر^٤ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَا مَنْجَا مِنَ الْهَرَمِ أَمْ هَلْ عَلَى الْعِيشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ هَرَمِ

٢ - **النسبة إلى الجمع المكسر:** الجمع المكسر اذا كان له مفرد من لفظه تكون النسبة الى مفردته ، أما اذا لم يكن له واحد في لفظه فانه ينسب اليه على لفظه نحو : عباديد وشماطيط ، نقول : عباديدي وشماططي .

وإذا كان له مفرد شاذ فان سيبويه وجمهور البصريين ينسبون الى مفرده الشاذ نحو : ملاميح نقول في النسبة اليه لمحى ، وقد اجاز أبو زيد في هذه الحالة النسبة الى لفظ الجمع فيقول ملاميحي لأنه سمع العرب قالوا في النسب الى محاسن محاسني^٥ .

٣ - **تشيية سواء :** (سواء) اسم اجرى مجرى المصدر فلا يجوز تثنية ، وقد استغفروا بتشيية (سي) بمعنى سواء فقالوا هما (سيئان) ، وقد اجاز أبو زيد الأنصاري تثنية (سواء) فقال هما (سواءان) سمعها عن بعض العرب^٦ .

٤ - **وقرا أبو زيد قوله تعالى :** « فَبَشِّرْنَاهُمَا بِاسْحَقٍ وَمِنْ وَرَاهُ اسْحَقَ يَعْقُوبَ »^٧ بفتح الباء في (يعقوب) زاعما أنه في موضع الخفظ عطفا على قوله (باسحق) ، والمعنى بشرناهـ (باسحق) ومن وراء اسحق (بيعقوب) مخالفـ بذلك جمهور النحويين الذين قالوا : (يعقوب) بالرفع ، والمعنى من وراء اسحق مبـثـرـ به .

وقد عقب الأزهرى على رواية أبي زيد هذه بقوله « وهذا غير جائز عند حذاق النحويين من البصريين والковيين »^٨ .

١) الارشاد - أبو حيان / ١٠٧ .

٢) سورة الزخرف / ٥٢ .

٣) لسان العرب / مادة أم

٤) همع الهوامع - السيوطي / ١٣٦/٢ .

٥) المرجع السابق / ١٩٧/٢ . وانظر ايضا الارشاد / ٢٥٠ .

٦) انظر البعـرـ الحـيـطـ / ٤٤/١ ، والارشاد / ٢٢١/ .

٧) سورة هود / ٧١ .

٨) لسان العرب / مادة عقب

أبو زيد و تيسير النحو العربي

ظهور الحاجة إلى تيسير النحو

كان عمل علماء اللغة الأول ينحصر في جميع اللغة من أفواه العرب الخلص فجاءوا من أجل ذلك البدائية وتكتبوا المشاق الكثيرة .

ثم كانت الخطوة التالية حيث وقف العلماء أمام ما جمع من اللغة واستنبطوا منه القواعد المختلفة .

لکنهم - والحق يقال - أضاعوا كثيرا من الفائدة المرجوة بتعلّقهم بأسباب المنطق وأساليب الجدل الكلامية وتعدد آرائهم النحوية في المسألة الواحدة وتمسّك كل فريق باقامة الحجة والبرهان والتعليل لما ذهب إليه على نحو ما امتنّ به كتبهم .

تشددوا في جميع الشواهد ووضعوا أصولهم التي ارتفعوا بها بعد استقرارها، أمثلة من كلام العرب ثم وجدوا أنفسهم أمام شواهد فصيحة كثيرة تخالف قواعدهم ، فماذا يفعلون ؟

لجأوا إلى التأويل المتكلف والوصف بالقلة والشذوذ ، وقد كثر ذلك منهم ، فقل أن تجد قاعدة من القواعد تخلو من هذا البلاء .

وهكذا جهد النحاة في تأويل ما خالف القاعدة من أمثلة أكثر مما جهدوا في مراجعة منطقهم ونظرياتهم ، والخطأ الذي وقعوا فيه أنهم ما كانوا يخلصون إلى القاعدة من المادة التي تحت أيديهم، بل أنهم يبنون القاعدة على أساس من اعتبارات عقلية أخرى ، ثم يعملون إلى المادة فيفرضون عليها القاعدة التي يقولون بها^١ ، وكان القاعدة هي الأصل والكلام العربي هو الفرع .

يقول النحاة : المبتدأ مرفوع والفاعل مرفوع والمفعول منصوب وليتهم وقفوا عند هذا الحد، إذا لهان الأمر ، ولكنهم يستمرون فيتساءلون لم رفع المبتدأ والفاعل ؟ ولم نصب المفعول ؟ ولم لم يكن العكس مثلاً فينصب الفاعل ويرفع المفعول ؟ ويجيبون على كل سؤال فيختلفون ويقدم كل فريق الحجة والدليل ، وينشأ اعتراف جديـد واجابة أخرى وتحتمـدـ الحـربـ الجـدـلـيـةـ فيـ غـيـرـ طـائـلـ .

ويتساءل أحد الباحثين المحدثين^٢ عندما يقع على مثل ذلك في كتبهم - وما أكثره - فيقول : هل كان العربي الأصيل ومن معه من الناطقين الأوائل يرتبون هذه القضايا الجدلية العنيفة قبل أن ينطقوا بالكلمة ؟

ان النظرة الوعية لا يتردد في كتب التحول تؤكد بأن جميع هذه العلل والتعليلات التي أطلقها النحاة زائفة لا تمت إلى العقل والواقع بصلة ما .

وهكذا وجدنا النحو العربي مصاباً ببعض العلل والآفات التي توالت وتشابكت مع الأيام والتي ولدت معه ساعة تكوينه ونمت وتنقلت في أعماقه خلال العصور المختلفة .

١) انظر دراسات تقديرية في النحو العربي ، المقدمة ٤/١ تأليف الدكتور عبد الرحمن ابروب ، طبعة مصر سنة ١٩٥٧ م

٢) انظر اللغة والنحو بين القديم والحديث ١٥٢ تأليف عباس حسن ، دار المعرفة ١٩٦٦ م .

وكانت نتيجة ما تقدم شكوكى الدارسين من كثير مما امتنع به كتب النحو من الجدل والتعليلات والتاويلات ، وانصراف كثير منهم عن تعب التحصيل ومشقة الاستيعاب .

وتنادى المصلحون على مر الزمن بضرورة تخلص النحو مما علق به من نظرية العامل والعلل المتکلفة والتاویلات المملاة والجدل العقلى ، والعودة بالنحو الى مقتضى السليقة والطبيعة اللغوية ، وذلك كله بقصد تيسيره على الدارسين .

ويبرز في هذا الخضم ابن مضاء في كتابه الرد على النحاة ليعنها ثورة على أصول النحاة ونظرياتهم مطالبًا بالقضاء على نظرية العامل والعلل الثنائي والثالث .

وتتوالى الدعوات باصلاح النحو الى عصرنا هذا ، فقد ازداد ضيق المتعلمين بما حرثه كتب النحو من الببلة والغوضى والآراء المتضاربة والمتغيرة ، وصرفتهم مشاغل العصر الكثيرة عن الوقوف أمام تلك المسائل النحوية المعقّدة، فيبعد تناوله وصعبت مباحثه وأصبحت الحاجة ملحة الى تيسير النحو ، وظهرت في هذا العصر محاولات تهدف الى تيسير النحو ، لكنها كانت بداية على الطريق الطويل ، ويستدعيها هذا المقام ان نذكر الصيحة المبكرة في تيسير النحو ، تلك التي أطلقها أبو زيد الانصارى .

جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي

أبادر فاقول : لست أزعم أنتي أول من تبه الى جهد أبي زيد في تيسير النحو العربي فقد سبقني الى ذلك الأستاذ الباحث عباس حسن حين أشار بكلام مفاده أن منهج أبي زيد الانصارى الذي يبيح القياس على القليل من غير سعي وراء الكثير الذي نصادفه يعتبر تيسيرًا محموداً يمنج اللغة قوة وقدرة على مسيرة الحياة المتتجدة من غير أن ينالها أذى أو يتسرّب اليها ضعف .^١ فكان للأستاذ فضل السبق على ، لكنه على أي حال لم يمس سوى جانب واحد من جوانب التيسير التي تضمنها منهج أبي زيد النحوي في حين كان لأبي زيد أثر في تيسير النحو في أكثر من مجال .^٢

وعلينا الان أن نتبين الجوانب التي طرقها أبو زيد ميسرا فيها النحو على الدارسين ، وسوف نبرزها على الوجه التالي :

١ - الغاء نظرية العامل : أكثر النحاة من العناية بنظرية العامل وحكموها في الأساليب العربية فرفضوا من الأساليب ما يتعارض مع نظرتهم^٣ ، ووضعوا مكانها أساليب لا تعرفها العربية ، وفي ذلك شر خطير أضافوه الى العربية ، في حين كان الأجرد بهم أن يطوعوا قواعدهم لتوافق المطوق من العربية .^٤

وأدت نظرية العامل فيما أدى اليه الى أن يقدر النحوي العامل وفق ما يرى وبالتالي يقع الخلاف بين النحويين ويعتبر كل نحوى ليدعم رأيه ، وتمتليء الكتب النحوية بالأدلة العقلية مما يزيد الأمر تعقيداً .

وأهم ما يعنيها في تقد هذه النظرية كما يقول أحد الباحثين^٥ المحدثين أنهم جعلوا

١) اللغة وال نحو بين القديم والحديث - عباس حسن ٥٧ ، ٨٧ ، ٩٠

٢) انظر احياء النحو - ابراهيم مصطفى ٢٠ /

٣) انظر المرجع السابق ٤١ /

الاعراب حكما لفظيا خالصا يتبع لفظ العامل وأثره ، ولم يروا في علاماته اشارة الى معنى ، ولا اثرا في تصوير الكلام ، أو القاء ظل على صورته ، فقد روي أن الكسائي قرأ في حضرة الرشيد قوله الشاعر :

أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تَعْطِي الْعَلْوَقُ بِهِ رَئَمَانَ أَنْفَ إِذَا مَا خَنَّ بِاللَّبَنِ

فتح نون (رئمان) ، وكان الأصمعي حاضرا فقال : هي (رئمان) بضم النون ، فاقبل عليه الكسائي وقال له : اسكت ما أنت وهذا ، يجوز رئمان ورئمان !

وهكذا فقد أ美的 التقدير الى رفع ونصب وجر رئمان دون أن يشير الى ما يجره ذلك من تغير في المعنى .

كانت نظرية العامل بما تجر معها من تأويل وتقدير عينا تقليلا على الدارسين ، أدت الى تعقيد النحو ، والى صعوبة الخوض في مسائله ، بعد أن فرضت عليهم تفسير كل شيء في اللغة تفسيرا نحويا حتى ما لا يحتاج الى تفسير .

وأصبحت الحاجة ملحة الى وجوب كسر طوق هذه النظرية التي أرهقت الدارسين وأقضت مضاجعهم .

فكان في خروج أبي زيد الانصاري على نظرية العامل ومحاولة الالات من قيدها دعوة مبكرة للتيسير على الدارسين .

وبرغم أن المراجع لم تقدم لنا مزيدا من مادة أبي زيد النحوية لتنويع الأمثلة ، فإن المتألين التالين يكشفان بوضوح عدم انصياع أبي زيد لنظرية العامل وخروجه عليها .

ذهب جمهور البصريين الى أن أداة الشرط لها حق الصدارة ، ولأنها عامل ضعيف لا يجوز تقديم أحد معموليها عليها^١ ، وعلى عادتهم في تحكيم نظرية العامل في الأساليب العربية فانهم يتأولون ما ورد مخالفها لها حتى لو كان من الآيات القرآنية .

وعلى ذلك فقد تأولوا قوله تعالى : « ثم غرضهم على الملائكة فقال أبىثونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين »^٢ على الوجه التالي قالوا ، ان « ان » كنتم صادقين » شرط جوابه محنوف تقديره فأبىثونى يدل عليه أبىثونى السابق ولا يكون أبىثونى هو الجواب »^٣ .

وما أغنانا نحن عن هذا التأويل والمسألة أبسط من كل هذا الذي يزعمون ، ولكن أين تذهب نظرية العامل ؟ وأين يذهب التقدير والتأويل ؟

واما أبو زيد الانصاري بما تميز به من تحرر ومن تيسير في النحو العربي فقد خرج على نظرية العامل وذهب الى أن جواب الشرط هو المتقدم في نحو هذه المسألة ، وهكذا فلا حاجة الى هذا التقدير وما فيه من تعسف لم تقصد اليه اللغة ، ولم يقصد اليه أصحابها فينبغي اذا ان نحترم ارادتهم .

١) انظر احياء النحو - ابراهيم مصطفى / ٢٦

٢) الارشاف - ابو حيان / ٩٢٧

٣) سورة البقرة / ٢١

٤) البحر المحيط - ابو حيان / ١٤٦

ولدى تعرض جمهور البصريين لقوله تعالى : « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين » ^١ قالوا انَّ اَنْ شرطية والجواب محدود التقدير فلم فعلتم ذلك ويكون الشرط وجوابه قد كسر مرتين على سبيل التوكيد ولكن حذف الشرط من الأول وأبقى جوابه وهو فلم تقتلون ، وحذف الجواب من الثاني وأبقى شرطه .

اما مذهب أبي زيد القائم على عدم الانصياع لنظرية العامل فقد قال : انَّ اَنْ كنتم شرط والجواب فتقدمن عليه ، فلا حاجة الى هذه التاویلات التي لم تعبر على العربية غير التعقيد والتتكلف ^٢ .

وفي رأينا ان منهج أبي زيد في الخروج على نظرية العامل على نحو ما تقدم أقرب الى طبيعة الدراسة اللغوية.ال الحديثة ، واذا ما طبقنا على أبواب النحو ما سلكه أبو زيد يتحقق لنا ما نبتغيه من تيسير قواعده على الدارسين .

٢ - الغاء التعليل : أوضحت في حديثي عن النزعة الكوفية في اتجاه أبي زيد النحوى بعده عن التعليل ^٣ ، وسوف ابين في هذه السطور أثر ذلك المنهج في تيسير النحو العربي على الدارسين .

نعلم أن علماء اللغة استقرأوا الكلام العربي ثم وضعوا قواعدهم وذلك في حد ذاته منهج سليم فلি�تهم توقفوا عنده ولكنهم مضوا متأثرين بالفلسفة وعلم الكلام يبحثون عن تعليل لكل قاعدة من قواعدهم ، لم كانت الفضة علامه الرفع ، والفتحة علامه النصب ، ولم يكن المكس مثلا ؟

ولكن هل كان لذلك او غيره من المسائل التحووية تعليل سوى أن العرب نطقوا به هكذا ، فكيف يعزوون اذا على شيء لم تصرح به العرب ؟!

ومن ذلك يتبيّن لنا أن تعليلاتهم هذه التي امتلأت بها كتبهم لم تعبر على العربية سوى المفهوم .

وأكثر من ذلك أنهم اتخذوا من هذه العلل قيوداً أخضعوا لها الكلام العربي الأصيل مما زاد الأمر تعقيدا .

ان المنهج اللغوي السليم يقتضينا أن نرفض هذه التعليلات المتكلفة التي امتلأت بها كتب النحو ، واذا طلب منا تقديم سبب او تفسير لأي ظاهرة نحوية ، لم يكن أمامنا سوى أن نجيب : هكذا نطق العرب ... وفي ذلك تيسير على الدارسين ، ومن أجله اعتبرنا أبا زيد الانصاري رائدا في مجال تيسير النحو العربي لأنه ابتعد عن التعليل والاحتکام الى المنطق في تفسير الظواهر نحوية على نحو ما أشرنا سابقاً واستعاض عن ذلك بحسه اللغوي الذي يستلزم روح العربية ويحثكم الى الاستعمال وكلام العرب يتجلى ذلك في تحليله (لات) في قوله (لات حين مناص) ، فتراء يستلزم الحس اللغوي في تركيبها ويقيسها على نظائرها ، ويستشهد بالشعر وبكلام العرب ، فهو حين يقول بالتركيب لا يقوله مجرد التفليسف وانما يقوله بوحى من العربية ، استمع اليه يقول : انتا فيها صلة والعرب تصل هذه الاتاء في كلامها وتنزعها وانشد :

١) سورة البقرة / ٩١

٢) انظر البعض المحيط - ابو حيان ٢٠٨/١

٣) انظر البحث ١١٢ وما بعدها .

طلبوا سلحتنا ولات آوان فاجبنا آن ليس حين بقاء

قال : والأصل فيها (لا) والمعنى فيها (ليس) والعرب تقول : ما استطيع وما استطيع ، ويقولون : ثُمِّتَ في موضع ثم ورُبِّتَ في موضع رب ويا ويلتنا ويا ويلنا^١ .

فأبوا زيد كما ترى يستشهد بكلام العرب : العرب تصل ٠٠٠ والعرب تقول ٠٠٠ ويقولون ٠٠٠ ولا تجد أثراً لتعليق منطقي ، فالكلام سهل ميسور لا تعقيد فيه ولا اختلاف ، لأنه يستند إلى طبيعة اللغة ٠٠٠ وهذا هو النهج اللغوي السليم ، وهو ما ينادي بتطبيقه علماء اللغة المحدثون ، ودعاة اصلاح النحو العربي وتسيره .

وقد مر معنا^٢ انشاد أبي زيد لقول رجل منبني عقيل :

الْمُتَعَلِّمُ مَا طَلِّبَ بِالْقَوْمِ وَاقِفًا عَلَى طَلَلِ أَضْحَتْ مَعَارِفَهُ قَفْرَا

وتعقيب أبي زيد عليه بقوله : « كسروا ظاء في انشادهم وليس من لفتهم »^٣ .

ولا شك أن قول أبي زيد هذا جاء نتيجة تتبع اللفظة في لغةبني عقيل دون تأثر بالمنهج العقل .

لكن سيبويه في تعرضه لمادة (طللت) ينها عندها عقلياً في تعلييل كسر الظاء فيقول : « أما طللت فما صلها طللت الا أنهم حذفوا فالقوا الحركة على ألفاء كما قالوا خفت ، وهذا النحو شاذ »^٤ .

وفي رأينا أن اتجاه أبي زيد القائم على البعد عن التعلييل ، يعتبر تسيراً مموداً على الدارسين ، ولكن مما يؤسف له أن منهج أبي زيد هذا وصيحته تلك لم يجدا أذناً صاغية بين البصريين من أهل زمانه حيث شفروا بكتاب سيبويه وما امتنلاً به من تعلييل منطقي وجدل عقل حتى قال قائلهم : « من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحى »^٥ .

٣ - القياس على الشاذ : أشرت في حديث سابق^٦ الى أن مذهب أبي زيد النحوي قام على تطبيق القياس على الشاذ والاختد به ، وسوف نرى الآن أثر ذلك المنهج في تسير النحو العربي على الدارسين .

من المعروف أن البصريين بنوا قواعدهم على أساس الكثرة الغالبة في كلام العرب ، وقد بالغوا في احترام هذه القواعد ، فكانوا اذا سمعوا مثلاً مخالفًا لقاعدة من قواعدهم تأولوه والا رموه بالشنود وتوقفوا عن القياس عليه .

(١) لسان العرب / لاث

(٢) انظر البعث ٢١/٠

(٣) لسان العرب / طلل

(٤) لسان العرب / طلل

(٥) سمع الأدباء ١٢٢/٧

(٦) انظر البعث ١١٠ وما بعدها .

وربما كان هذا المثال الذي رموه بالشنوذ يمثل قراءة قرآنية أو لغة من لغات العرب . ومن أجل ذلك فقد جاءت قواعدهم قاصرة مضطربة لأنها لا تمثل كلام العرب .

وهكذا ففي منهجم القائم على عدم القياس على الشاذ اعنة وتفسيق لأنهم لم يحصلوا كلام العرب ، وقد مر معنا^١ قوله أبي عمرو بن العلاء : « ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله . ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم كثير » .

ومن أجل ما تقدم كان في اتجاه أبي زيد القائم على القياس على ما سمي بالشاذ تيسير للنحو على الدارسين لأنه منهج يقبل بالقليل ويريد النفس من مشقة السعي وراء الكثير ، وذلك يتفق مع روح العصر الذي نعيش فيه ، حيث كثرت المشاغل ، وأصبح من الصعب الوقف طويلا أمام المسألة الواحدة .

كما أنه منهج يحترم المسموع من كلام العرب ولا يهدر شيئا منه .

وفوق هذا وذاك فان في هذا المنهج تنمية لوارد اللغة ، وتطويرها لها ، حيث يمنحها القوة والقدرة على مسيرة الحياة بمستحدثاتها العلمية والحضارية وينعها من التوقف والجمود .

وبعد ، تلك مجهودات أبي زيد في ميدان الصرف والنحو ، تبقى شاهدة له بالفضل على مر الأيام ، لا ينال منها ان تخطئه بعض اصحاب الطبقات فلم يذكروه في طبقات النحوين .

أبو زيد والثروة اللغوية

- اتجامه في الثروة اللغوية : النزعة البصرية - النزعة الكوفية - مظاهر الاستقلال في اتجاه أبي زيد .
- جهود أبي زيد في الثروة اللغوية : أبو زيد ودلالة الألفاظ - أبو زيد والمعاجم اللغوية - أبو زيد والنواذر .

اتجاهه في الثروة اللغوية

الثروة اللغوية كما سنتناولها في هذا الفصل يعني بها الألفاظ من حيث دلالتها واستعمالها .

وسوف نتناول بالحديث في هذا الفصل المعجم العربي وجهود أبي زيد في نشاته ، وقد يشمل حديثنا عن الثروة اللغوية بعض أمثلة صوتية توضح منهج أبي زيد في هذه الدراسة .

وقد أوضحت في الفصل السابق في حديثي عن اتجاه أبي زيد في الصرف والنحو أنه كان من المؤسسين الحقيقيين للمدرسة البغدادية ، بمعنى أن منهبه منتخب من البصريين والковفيين بالإضافة إلى بعض مظاهر الاستقلال .

وعند النظر في موقف أبي زيد من الثروة اللغوية وجذناته ينتهي المنهج نفسه فتبرز نزعته البصرية في بعض الجوانب كما تظهر نزعته الكوفية في جوانب أخرى ، في وقت يبقى معه محافظاً على شخصيته المميزة ومظاهر استقلاله على نحو ما سنوضح .

وسوف نعرض بعض الأمثلة التي توضح ما ذهبت إليه وتبرز اتجاه أبي زيد في الثروة اللغوية على النحو التالي :

النزعه البصرية في اتجاه أبي زيد

التعييد

اتجهت المدرسة البصرية إلى الضبط والتعييد تطبيقاً لنهجها العقل المتأثر بالفلسفة وعلم الكلام ، فقد حرص البصريون على تنظيم اللغة واحكام سلطانها عليها ، وظهرت هذه النزعه البصرية في اتجاه أبي زيد ، وسوف اجتذب الأمثلة التالية لتوضيح ما ذهبت إليه :

١ - وضع أبو زيد قاعدة تبين نطق صوت المهمزة في التحقيق وذلك بأن نضع العين مكانها

عند النطق ^١ ، وساق بعض الأمثلة لتوضيح القاعدة ، قال : « فالتحقيق أن تعطى الهمزة حقها من الأشیاع فإذا أردت أن تعرف أشیاع الهمزة تجعل العین في موضعها كقولك من الخبر قد خبات لك خبیثات بوزن قرعت فانا أخیب واقرع ^٢ .

٢ - ووضع قاعدة أخرى لبيان كيفية تخفيف الهمزة اذا تبعت حرفًا ساکناً وذلك بأن تلقي الهمزة ونحرك بحركتها العرف الساکن قبلها كما في قولنا يلُوم ويزُّر بعد التخفيف يلَّوم ويزَّر ، قال أبو زيد ^٣ : « كل همزة تبعت حرفًا ساکناً عدلتها إلى التخفيف فانك تلقيها وتحرك بحركتها العرف الساکن قبلها » كقولك : « الرجل يلُوم والأسد يزُّر . فإذا أردت التخفيف قلت الرجل يلَّوم والأسد يزَّر » .

٣ - ووضع قاعدة أخرى لبيان نطق اللفظة « فَلَوْ » عند فتح الفاء وكسرها : قال أبو زيد : « اذا فتحت الفاء شدت واذا كسرت خففت فقلت فِلَو مثل جِرْو ^٤ .

٤ - ويضع قوانين تبين استعمال بعض الالفاظ كما في لفظتي (حَظْوَة) و (شَلَيْة) فيقصر استعمال الأولى فيما بين الرجال والنساء ، ويقصر استعمال اللفظة الثانية في المال فيقول : « يقال انه لـهـ حَظْوَةـ فيـهـنـ وـعـنـهـنـ ولاـ يـقـالـ ذـلـكـ الاـ فـيـماـ بـيـنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ » ^٥ .

وفي لفظة (شَلَيْة) يقول : « ذهبت ماشية فلان وبقيت له شَلَيْة وجمعها شَلَيَّا ولا يقال الا في المال ^٦ .

٥ - ولا يقتصر أبو زيد على وضع القواعد في الأصوات العربية او في استعمال بعض الالفاظ وإنما يتعدي ذلك ليضع القوانين التي تبين اوجه التعبير في الكلام كان يقول : « يقال ما سلَيْتَ أن أقول ذلك ، ولا يقال سلَيْتَ أن أقوله الا في معنى ما سلَيْتَ أن أقوله ^٧ .

او أن يقول ^٨ : « يقال ما عند فلان صِرَّي ^٩ اي ما عنده درهم ولا دينار ولا يقال عنه صِرَّي ولا له صِرَّي الا أن يقال ما له صِرَّي لا يكون في غير الدرهم والدينار . فيبين كما ترى وجه الكلام في التعبير لأن أساليب اللغة متعددة وطرق التعبير فيها لا تكاد تقع تحت حصر .

وذلك على أي حال يشير إلى أن أبو زيد كان يرتكب الاستعمال ويتابع العرب في تعبيراتهم فيسجلها على شكل قواعد وقوانين .

وقد قاده ذلك التتبع إلى أن يروي في نوادره بعض نوادر التعبير ويشرحها - كان يقول : ^{١٠} « أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة وأعطانا كلنا مائة معناه كسا كل واحد منا حلة وأعطي كل واحد منا مائة » .

١) وجدير بالذكر هنا أن أبو زيد قد جاوز الصواب يجعله الهمزة من موضع العين لاختلاف مخرجيهما .

٢) لسان العرب ١٩/١

٣) المرجع السابق / فلا

٤) المرجع السابق/حظا ، شلا

٥) لسان العرب / سلا

٦) النوادر في اللغة ٢٢١/٢٢١ .

٧) المرجع السابق / ٢٢٢ ، ٢٢١

نحوية العرب

احترم البصريون أصولهم وعمدوا إلى تخطئة العربي إذا خالف هذه الأصول وقد غلبت تلك النزعة البصرية على أبي زيد الانصاري ، فرأيناه ينتقد العربي في كلامه ويحاول تصويبه ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

أنشد أبو زيد البيتين التاليين لعباس بن مرداس :

فَلَمَّا أَرَى مِثْلَ الْحَيِّ حِيَا مُصْبِحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقِينَا فَوَارِسَا
أَكْرَى وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَنْزَبَ مِنَا بِالسَّيُوفِ الْقَوَانِسَا

ثم علّق عليهما فقال : « لا يقال ما رأيت أضرب منك زيدا إنما هو ما رأيت أضرب منك لزيد ، ^أ » .

ويعنى ذلك أن الشاعر كان مخططا في نظر أبي زيد ، لذلك رأيناه يحاول أن يبين وجه الكلام في التعبير .

وانشد أبو زيد قول بعض بنى نهشل :

وَكُونِي بِالْمَكَارِمِ ذَكْرِيَنِي وَدَلِي دَلِي مَاجِدَةَ صَنَاعَ

وقال في شرحه : « والمعنى وصيري مذكورة في بالمكان وتقديره في العربية ردِي ، لو قلت با فلان كن بفلان بشرني لم يجز ، ^أ » .

فأبى زيد كما رأيناه يرفض بعض الأساليب العربية ، ويقدم الأصول النحوية على قول العربي ، ويعكم من خلالها بتخطئته في حين كان المفروض أن يكون المكس هو الصحيح بحيث نحترم ما ينطق به العربي ولو أدى ذلك إلى تعديل القواعد التي وضعت ، لكنها النزعة البصرية التي سيطرت على أبي زيد فأبعدته عن المنهج اللغوي السليم .

النزعه الكوفية في اتجاه أبي زيد

القياس على القليل

كان البصريون أكثر اتباعاً لأصولهم التي ارتبواها ، فإذا سمعوا مثلاً من العرب مخالفات تلك الأصول حاولوا تاويله ، والا نعمتهم بالشذوذ وتوقفوا عن القياس عليه ، أما الكوفيون فكانوا أقل تمسكاً بقواعدهم وأكثر تقديرًا لما يسمون عن العرب ، فإذا سمعوا مثلاً مخالفات لقواعدهم قبلوه وقادوا عليه ، فكانوا في مذهبهم يقيسون على القليل .

وقد تغلبت هذه النزعه الكوفية على أبي زيد فكان في منهجه يقيس على القليل ، واليك بعض الأمثلة :

١) النواود في اللغة ٥٩/

٢) المراجع السابق ٢٠/

سمع أبو زيد من العرب من يقول قريت في قرأت فإذا أراد أن يقول منه يفعل قال يقرأ ، وهذا شاذ لأن القياس يوجب أن يقول يقرى لكن أبا زيد قاس ذلك فقال في مكان آخر : دنا يدنا^١ .

كما روى أبو زيد عن العرب قولهم : خطائى ودرائى جمع خطيئة ودرية . وقد خالفت هذه الرواية قاعدة البصريين في جمع هذه الصيغة ، فيبئن أبو عثمان المازني في شرح طوبل جمع خطيئة على خطايا ذاكرا المراحل التي تمر بها الكلمة وما يستتبعها من قلب وابدال .

وكان هذا الشرح اعتبر ناقصا في نظر ابن جنی فيبئن أنه يحتاج إلى تتبیع وخالقه فيما ذهب إليه ، وأضاف شيئاً غيره . ثم عقب ابن سیده وقال : « ان ما حکاه أبو زيد من قولهم درية ودرائى وخطيئة وخطائى شاذ لا يقاس عليه »^٢ .

اما أبو زيد الانصاري فقد خالف البصريين واعتبر ذلك مقيساً فجمع جريئة على جرائى جريباً على مذهبـه في القياس على القليل^٣ .

البعد عن التفاسيف

لم يقبل الكوفيون على التفاسيف في تفسير الطواهر اللغوية ، فكان منهجهم أقرب إلى الطبيعة اللغوية ، وظهرت تلك النزعة الكوفية في مذهب أبي زيد فكان إذا أراد دليلاً لما ذهب إليه لا يتلمسه في المتعلق أو في علل النحو بل يستمدّه من اللغة يُسأّلها ويهتدى بهديها :

ذهب أبو زيد إلى أن مضارع (خلف) مضموم العين ، وأراد دليلاً لما ارتأه فلم يلجأ إلى التعليل ، ولكنه أخذ الدليل من كلام العرب قال : « وشاهد الضم في مستقبل فعله (يعني خلف) قول الشماخ^٤ :

تضيّبهم وتخطّبنا المَيَا وَخَلْفٌ في ربع عن ربوع

وخلال أبو زيد سببواه فيما ذهب إليه من أن مصدر الفعل (عزى) (تعزية) على الحذف والعرض ، ولا يجوز غير ذلك ، فقال أبو زيد بجوار الاتمام دون أن يلجأ إلى التعليل لرأيه على مذهب النحو المنسّقين بالأدلة المقلية ، ولكنه استمدّ الشاهد من الكلام العربي ، فكان دليلاً انتشار ظاهرة الاتمام بين العرب على نطاق واسع ، لأجل ذلك لم يزد في رده على أن قال : الاتمام أكثر في لسان العرب^٥ .

مظاهر الاستقلال في اتجاه أبي زيد الاستشهاد بال الحديث الشريف

توقف علماء اللغة من البصريين والكوفيين على السواء عن الاستشهاد بال الحديث الشريف بحجة أن الحديث تجوز روايته بالمعنى وأنه لم يثبت نقل الفاظه عن النبي عليه السلام ، وقد

١) لسان العرب / دنا

٢) انظر المصنف - ابن جنی ٥٧/٢ ، ولسان العرب / أسم .

٣) لسان العرب / جرأ

٤) لسان العرب / خلف

٥) المرجع السابق / عزا

تصرف الرواة في الفاظ الحديث بعد احتفاظهم بمعانيها والدليل على ذلك وجود احاديث تختلف الفاظها اختلافاً كبيراً ومن هذه الالفاظ ما يكون جارياً على المعرف في كلام العرب ومنها ما يكون مخالفاً .

ثم كان اشتغال عدد كبير من الأعاجم في رواية الأحاديث سبباً آخر جعل علماء اللغة يتوقفون عن الاستشهاد بالحديث الشريف^١ .

اما أبو زيد الأنصاري فقد خالف علماء اللغة من المدرستين واستشهد بالحديث الشريف، فكان ذلك من أبرز مظاهر استقلال شخصيته .

ونكتفي بأن نسوق بعض الأمثلة التالية التي استشهد فيها أبو زيد بالحديث النبوي الشريف :

في شرح أبي زيد لادة يتفهق قال : « هو يتفيهق في كلامه ويتفهق اذا كان متشدقاً متعللاً للفصاحة ، وفي الحديث الشريف : ان ابغضكم اليه الشّارون المتشدقون المتفهقون »^٢ .

فأبو زيد هنا يشرح المادّة اللغوية ثم يستشهد على صحة ما ذهب اليه بحديث الرسول عليه السلام .

واستشهد أبو زيد بالحديث الشريف في تعرّضه لادة فطبع فقال : « فظلت للأمر فطاعة اذا هالك وغلبك فلم تشق بان تطبيقهم ، وفي الحديث : « لما أسرى بي وأصبحت بمكة فظلت بأمرى، أي اشتد علىي وهبته »^٣ .

وانشد أبو زيد في نوادره قول الخطينة :

ندمت ندمة الكسوع لما شرّيت رضا بني سهم برغمي

وقال في شرحة : « شرّيت ها هنا في معنى اشتريت ويكون له معنيان وكذلك يعمّت وابتعدت ويدخل فيه حديث النبي صلى الله عليه وسلم : لا بيع حاضر لباد »^٤ .

واستشهد أبو زيد بالحديث الشريف في شرحة لادة قال حيث قال :

« تفأّلت تفأّلاً وذكّر أن تسمع الانسان وأنت تريّد الحاجة يدعو سعيد يا فتح أو يدعو باسم قبيح والاسم الفائل ، مهمور ، وفي نوادر الأعراب : يقال لا فأل عليك بمعنى لا ضير عليك ولا طير عليك ولا شر عليك ، وفي الحديث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا عدو ولا طيرة ويعجبني الفائل الصالح »^٥ .

١) انظر موسوعة البصرة النعوية / ٢٥٦ تاليف الدكتور عبد الرحمن السيد ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ م .

٢) الابدال ٢١٥/١ تاليف ابي الطيب المنور تحقيق عزالدين الشنوفي ، طبعة دمشق ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ م .

٣) لسان العرب / فلذ

٤) النوادر في اللغة / ٢٣

٥) لسان العرب / فاء

وفي توضيجه لمعنى الوليمة قال أبو زيد مستشهدًا بالحديث الشريف: « يسمى الطعام الذي يصنع عند العرس الوليمة ، وقال النبي صل الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف وقد جمع إليه أهله : « أولم ولو بشأة » أي أصنع وليمة » ^١ .

وتنوقف عن سرد المسائل المغوية المختلفة التي استشهد أبو زيد بالحديث الشريف عليها - مع أنه أمامنا الكثير منها - لقوله : إن أبا زيد لم يتوقف عند حد الاستشهاد بحديث الرسول صل الله عليه وسلم وإنما تدعى ذلك فاستشهاد بكلام بعض الصحابة وضوان الله عليهم ^٢ .

فقد استشهاد بكلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في تعرضه لشرح مادة (عرض) حيث وردت في قول عمر ^٣ . ما لكم إذا رأيتم الرجل يخرق أعراض الناس أن لا تعرّبوا عليه ، فيبيّن أبو زيد أن قوله : « لا تعرّبوا عليه معناه لا تفسدوا عليه كلامه وتقبعوه » ^٤ . كما استشهد في مكان آخر بكلام علي كرم الله وجهه ^٥ .

ومما لا شك فيه أن في الاستفادة من أساليب أمثال مذين الصحابيين منفعة للغة ، فقد كانت خطب الامام علي كرم الله وجهه قمة في البلاغة وحسن البيان ، فلا يجوز والطالة هذه اهداه كلامه وعلم الانتفاع به ^٦ .

ونعود لنسجل رأينا في توقف علماء النحو واللغة من المدرستين عن الاستشهاد بالحديث الشريف فنقول : إن علماء النحو واللغة قد جاوزهم الصواب في دعواهم السابقة الذكر فان هناك من الأحاديث ما هو ثابت مقطوع بنسبيته إلى النبي عليه السلام كجموع كلمه وكالأحاديث التي وردت في التعبد والأحاديث التي اتفق رواتها على الفاظها ، ومع ذلك لم يستشهد بها النحاة إلا ما جاء نادرًا لا يقوى دليلاً على استشهادهم بالحديث ^٧ .

وأما دعواهم بأن بعض الرواية من الأعاجم لا تنهض دليلاً على عدم الاحتياج بالحديث الشريف لأن معرفة هؤلاء الرواية سهلة ميسورة فقد حظي علم الحديث بعنابة فاقفة ، ووضمت شروط للرواية والرواية ، فمن يسير إذاً التعرف على أحوال الرواية وقبول ما جاء عن طريق رواة من العرب وترك ما عدا ذلك ، مع العلم بأن بعض من يرجعون إلى أصول غير عربية كانوا حجة في اللغة كسيبوه وأمثاله ^٨ .

بل إن بعض المشتغلين بالحديث الشريف مشهود لهم بالفصاحة وقوة البيان فمحمد بن سلمة يقول عنه يونس بن حبيب عندما سئل عنه أيكما أسن أنت أو حماد؟ هو أسن مني ومنه تعلمت العربية ^٩ .

وبعد ، يجدر بنا الان أن ننوه إلى أن لأبي زيد فضل السبق على غيره من علماء اللغة والنحو الذين استشهدوا بالحديث الشريف أمثال ابن مالك وابن حزم .

(١) لسان العرب / ولم

(٢) لسان العرب / عرب

(٣) انظر أيضًا البعث/١٢٥

(٤) لسان العرب / ضرب

(٥) انظر مدرسة البصرة التغوية - الدكتور عبد الرحمن السيد / ٢٥٧

(٦) أخبار التغويين البصريين - أبو سعيد السيرامي / ٣٤

وقد كان هذا المسلك من هؤلاء الرجال وأضرابهم بدلالة الطريق العلمي للأخذ بمبدأ الاستشهاد بالحديث ، واستمر الأمر على ذلك حتى وصل إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي رأى جواز الاحتجاج بالحديث الشريف في أحوال خاصة^١ .

استلهام العربية في تفسير المادة اللغوية

اقام أبو زيد في منهجه في الثروة اللغوية وزناً كبيراً لحسه اللغوي الذي يستوحى العربية ويحتمل إليها في تفسيره للمادة اللغوية فلم يعمد إلى الاستعارة بعجم الفلاسفة أو علماء الكلام لكنه بدلاً من ذلك استلهام اللغة بآن رصد المادة اللغوية وتتبعها في استعمالاتها المختلفة في الشعر والنشر على حد سواء ، فقد انشد قول خداش بن ذهير العامری :

كَذَّبْتَ عَلَيْكُمْ أَوْدُونِي وَعَلَّلُوا بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ فَرَدَانٌ مَوْظِلِي

وأراد شرح مادة (كذب عليكم) فقال في ذلك : « معنى كذب عليكم أي عليكم بي وتجي ، كذب زائدة في الحديث والشعر ، قال عمر : كذب عليكم الحج فرفع « الحج » بكذب والمعنى عليكم الحج أي حجوا . وقال : نظر أعرابي إلى فلان يعلف بعيراً فقال : كذب عليكم البزر والنوى ، وفي الحديث ثلاثة أسفار كذب عليكم »^٢ .

فأبو زيد هنا قد رصد استعمال المادة اللغوية (كذب عليكم) وتبعها في حديث رسول الله عليه السلام ، وفي كلام عمر رضي الله عنه ، وفي كلام الأعرابي ، وفي الشعر ، قبل أن يخلص إلى المعنى الذي ذهب إليه ، وتلك دقة متناهية كثيراً ما وقعنا عليها في منهج أبي زيد وهي تبرز على أي حال مدى ما تمتتع به الرجل من حس لغوي سليم ومنهج قويم يعتمد على استلهام اللغة والرجوع إليها وحدها في كل مسألة ، كما تبين أن أبي زيد كان يعتمد على الشعر والنشر مما في منهجه اللغوي في أحيان كثيرة .

وقد قاده هذا المنهج إلى أن يركز كثيراً على ظاهرة الاستعمال في اللغة وأن يجعل لها المقام الأول في مذهبة ، فيتردّد عنده عبارات تدل على رصده للمادة اللغوية مثل قوله : وهو فاش في كلام العرب ... الاتمام أكثر في لسان العرب ... أكثر في الاستعمال .

وقد سجل أبو زيد رصده للاستعمال في كثير من المفردات التي تعرض لها ومثال ذلك قوله : « وسمعت بعض بنى فزاره يقول : هما كساياب وخيابان وفضيابان فيحول الواو إلى الياء . قال : « والواو في هذه العروض أكثر في الكلام »^٣ .

وتجدر بالذكر أن ظهور الواو في هذه الحروف أخف من ظهور الياء ومن هنا جاء كثرتها في الاستعمال ، وتشير عبارة أبي زيد الأخيرة إلى تبعه استعمال هذه الألفاظ ودورانها على الألسن والأسماع .

ولقد كان لهذا المنهج - منهج الاعتماد على السمع - أثر في تطوير اللغة وائرانها ، ومن آثار ذلك فيما لحظه أبو زيد ورواه لنا الأمثلة الآتية :

١) انظر مجلة مجمع اللغة ٧/٤ .

٢) التوادر في اللغة / ١٢ . ١٨ .

٣) لسان العرب ١٩/١ .

١ - حلف بعض حروف الكلمة : أدى كثرة الاستعمال الى حذف بعض حروف الكلمات مما لا يجوز حذفه في مذهب البصريين فعدوه شاذًا ، ولكن أبو زيد أجاز ذلك واعتذر به ، فقد روى حذف الف (ما) الموصولة في لغة كثير من العرب لكثر استعمالهم لها ، جاء في الارتفاع ^١ : « وذع أبو زيد أن كثيراً من العرب يقول سل عن مَ شئت حذفوا الفها وهي موصولة لكثر الاستعمال » .

٢ - اسكان ما حقه العرفة من العروض : كما أدى دوران الكلمة على الألسن والأسماع الى اسكان بعض العروض مما كان حقه التحرير ، كما في كلمة الرَّدْغَة ، فهي مفتوحة الدال ولكن ورودها في مثل كثر استعماله أدى الى تسكينها ، روى أبو زيد قال : « هي الرَّدْغَة وقد جاء رَدْغَة وفي مثل المعايير قالوا : ضَانْ بذِي ثُنَاتِضَةٍ يقطع رَدْغَةَ الماءِ يُعْنِقُ وَأَرْخَاءَ ، يسكنون دال الرَّدْغَة في هذه وحدها ولا يسكنونها في غيرها » ^٢ .
وعلمون ان الفتحة أخف الحركات فلا تستنزل ولكنهم هنا مالوا الى التخفيف بتسكن دال الكلمة استثنالاً لكثرتها .

٣ - تحرير ما حقه الاسكان من العروض : ولن أدى كثرة الاستعمال الى تسكين ما حقه التحرير من العروض فقد أدى في الجانب الآخر الى تحرير ما حقه التسكين ، روى أبو زيد في قوله : **العفَوَةُ أَفْتَاءُ الْحُمْرَ** ، قال : ولا أعلم في جميع لام العرب واواً متحركة بعد حرف متحرك في آخر البناء غير واو عِفَوَةٍ ، قال : هي لغة لقيس ^٣ .
والواو المتحركة اذا وقعت بعد متحرك تقلب الفاء ، ولكن الذي سوَّغ تحريرها وبقاءها في هذه الحالة أنها كثيرة الاستعمال لأنها لغة لقبيلة ، ثم ان الفتحة حركة خفيفة في النطق .
وروى أبو زيد عن الكلابيين اجمعين قوله : « هذا من لَدْنِه ضموا الدال وفتحوا اللام وكسروا اللون » ^٤ . وكان المنتظر أن يقال من لَدْنِه أو من لَدْنَه ، ولكن كثرة استعمال الكلمة ودورانها على لسان الكلابيين أدى الى تحريرها .

٤ - حلف التنوين وجعل الكلمتين كالكلمة الواحدة : ويرى أبو زيد من آثار الاستعمال حذف التنوين ونطق الكلمتين كالكلمة الواحدة كما في قوله : مررت بزيد اللَّانَ ، فقد كسروا الدال وادغموا التنوين في اللام ونقلوها وقد فعلوا ذلك لأجل الاقتصاد في المجهود والتخفيف على أعضاء النطق ، قال أبو زيد : سمعت العرب يقول مررت بزيد اللَّانَ ثقل اللام وكسر الدال وادغم التنوين في اللام ^٥ .

٥ - تعاقب بعض الأصوات : وأدى كثرة الاستعمال الى تعاقب بعض الأصوات كما حدث لصوتي الهاء والقاف فيما نقله أبو زيد حين قال : « يقال للرجل اذا حدث بحدث ثم عدل عنه قبل ان يفرغ منه : خذ على هِدْيَتِكْ وقِدْيَتِكْ أي خذ فيما كنت فيه ولا تعدل عنه » ^٦ .
وعلمون ان القاف لهوية والهاء حنجرية تجاورتا مترجلاً مما سوَّغ تعاقبها .

١	٨٦/ لسان العرب / ردد
٢	الرجع السابق / عنا
٣	الرجع السابق / لدن
٤	الرجع السابق / اين
٥	الرجع السابق / هدى
٦	الرجع السابق / هدى

وهكذا أدى تركيز أبي زيد على رصد المادة اللغوية وتبعها وعنايتها بالاستعمال في مذهبه في الثروة اللغوية إلى أن يبين الاستعمالات المختلفة للمادة اللغوية ، استناداً إليه وهو يتعرض لمادة دفع حيث قال : « دع دع دع بالصبي دع دع إذا عثر فقلت له دع دع أي ارتفع ، دع دع بالمعز دع دع : زجرها ، دع دع بها دع دع : دعها ، وقيل الدع دع بالغم الصغار خاصة وهو أن تقول لها داع داع ، وان شئت كسرت ونونت ، والدع دع : قصر الخطو في المشي مع عجل ، والدع دع عدو في التواه وبطء وأنشد :

أَسْعَى عَلَى كُلِّ قَوْمٍ كَانَ سَعَيْهِمْ وَسْطَ الْعَشِيرَةِ سَعِيًّا غَيْرَ دَعَادَع
أَيْ غَيْرَ بَطْرِيٍّ^١ .

كما أدى هذا التركيز من أبي زيد في رصد المادة اللغوية وتبصرها إلى لفت انتباذه إلى ظاهرة النواود في اللغة واشتهر بها ، فما النقطة الفصيحة إلا الكثرة الدوران على السنة العرب ، وعليه فالنقطة النادرة هي ما قل استعمالها عندهم . وسوف نوفي هذه المسألة حقها من التوضيح عند الحديث عن جهود أبي زيد في ميدان الثروة اللغوية .

الاعتدال بين النزعة السلفية والنزعنة التحررية في تفسير المادة اللغوية

ومن مظاهر استقلال أبي زيد في مذهبة في الثروة اللغوية أنه لم يكن من المترضين الذين يكتفون بتردد ما يقوله السلف ، كما لم يكن من المترضين المنظرفين الذين يعادون ما جاء به السلف ، ويطلقون العنان لتفكيرهم وأرائهم ، فقد اتخذ في تفسيره للمادة اللغوية موقفاً معتدلاً بين النزعة السلفية والنزعنة التحررية .

أما مظاهر النزعة السلفية في مذهب أبي زيد فقد جاءت في اختفائه بالرواية وتوسيعه فيها وقد تعرض من أجل ذلك لانتقاد تلميذه العاخط المعتزلي على نحو ما من معنا في اتجاهه المذهبى^٢ ، ومعلوم أن المعتزلي يغضون من شأن الرواية لأنها في رأيهم تقييد العقل وتنعنه من التحرر .

وقد وقعت على آراء لأبي زيد بترت فيها نزعة السلفية ، ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى : « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون »^٣ حيث ذهب إلى أن (أو) جاءت بمعنى الواو وبذلك يصبح معنى الآية وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، في حين فسرها بعض اللغويين بمعنى (بل)^٤ .

وقد تبع أبو زيد فيما ذهب إليه ابن قتيبة المعروف بتحمسه لذهب أهل السنة ودفاعه عنه ورده على المعتزلة ، حيث أشار إلى أن (أو) بمعنى (الواو) رافضاً أن تكون بمعنى (بل) خشية من ايهام الفلط في كتاب الله تعالى ، قال ابن قتيبة^٥ : « وأما قولهم : وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون ، فان بعضهم يذهب إلى أنها بمعنى (بل يزيدون) على مذهب التدارك لكلام

١) لسان العرب / دفع

٢) انظر ص ٤٤ - ٤٥ من البحث .

٣) سورة الصافات/ ١٤٧

٤) انظر لسان العرب / اوا

٥) انظر تأویل مشکل القرآن - ابن قتيبة / ٤١٤

غلطت فيه ، وكذلك قوله^١ : « وما أمر الساعة الا كلام البصر او هو أقرب » و قوله^٢ : « فكان قاب قوسين او أدنى » وليس هذا كما تأولوا وانما هو بمعنى الواو في جميع هذه الموضع^٣ .

لكن ذلك لا يعني اطلاقاً أن أبو زيد في مذهبه اللغوي كان يسير وفق نزعته السلفية لا يعيده عنها ، فقد كانت له شخصيته المستقلة التي جعلته سلفياً متحرراً ، وكان ذلك من مظاهر استقلاله .

وآية ما ذهبنا اليه اتخاذه مواقف لا يرضي عنها أهل السنة كقوله بالزيادة في القرآن^٤ . لكن أبو زيد تجاوب فيما ذهب اليه مع الأساليب العربية واستشهد بها فما القرآن الا اسلوب عربي فصيح ، واليک البيان :

استشهد أبو العباس البرد^٥ في معرض حديثه عن (أم) بالأية الكريمة : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلأ تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين » ، وأشار الى أن (أم) في الآية منقطعة والى أن ذلك قول النحويين ، لا يعلم بينهم اختلاف ، الا ما حكاه أبو زيد الذي ذهب الى خلاف مذاهبهم ، فقال ان (أم) زائدة ومعنى الآية أفلأ تبصرون أنا خير ، ثم انهى البرد شرحه بقوله : « وهذا لا يعرفه المفسرون ولا النحويون ولا يعرفون أم زائدة » .

لكن أبو زيد أشار الى أن زيادة (أم) لغة أهل اليمن واستشهد بقول الشاعر^٦
يا دَهْنَ امْ مَا كَانَ مِشِيشِي رَقْصَا بَلْ قَدْ تَكُونُ مِشِيشِي تَوْقَصَا
و بِقَوْلِ الْآخِرِ^٧

يا لَيْتَ شِعْرِي وَلَا مَنْجَا مِنَ الْهَرَمِ امْ هَلْ عَلَى الْعِيشِ بَعْدَ الشِّيْبِ مِنْ هَرَمِ
وهكذا يتبيّن لنا أن أبو زيد انفرد بهذا القول بين المفسرين والنحويين مما يدل على استقلال شخصيته والى أنه كان سلفياً متحرراً .

وفي رأينا أن لسلك أبي زيد في هذه المسألة ما يسوعه خاصة وأنه استند الى الأساليب العربية ، وهذا منهج لغوي سليم لانه يعتمد الى طبيعة اللغة وليس الى قواعد النحوة كما فعل غيره من النحويين .

جهود أبي زيد في الثروة اللغوية

كان أبو زيد الأنصاري أحفظ الناس للغة بعد أبي مالك ، اشتهر بالرحلة الى الbadia وكترة تنقلاته بين القبائل العربية ، وعرف باتساعه في الرواية ، يروي ما يسمعه ولو كان غريباً نادراً ، ومن أجل ذلك كله خلّق أبو زيد ثروة لغوية ضخمة باللغة .

(١) سورة النعل / ٧٧

(٢) سورة النجم / ٩

(٣) انظر الى القرآن في تطور النقد العربي / ١٠٢ تاليف الدكتور محمد زغلول . طبعة دار المعرفة بمصر .

(٤) انظر المقتبس ٢٩٣/٣ وما بعدهما تاليف البرد ، تحقيق محمد عبد العالق عضيمة ، القاهرة سنة ١٣٨٦هـ .

(٥) سورة الزخرف ٥١ ، ٥٢ .

(٦) لسان العرب / ام

(٧) معجم الهوامع ١٣٤/٢

بدا أبو زيد في مرحلة مبكرة من جمع اللغة - يعني بتتبع الفاظ اللغة في نصوصها يشرح غامضها ، ويبين مدلولاتها ، ويشير إلى نادرها ، ويسجل هذا الانتاج العلمي في صورة الكتب والرسائل التي كانت مقدمة لنشأة المعاجم اللغوية حيث اعتمدت الأخيرة عليها في تكوينها^١ .

ونحن في دراستنا لجهود أبي زيد في الثروة اللغوية سوف نتناول بالحديث أثره في :

- ١ - دلالة الألفاظ .
- ٢ - المعجم .
- ٣ - النوادر .

أولاً : أبو زيد ودلالة الألفاظ

شهد العصر الحديث اهتمام علماء اللغة بالألفاظ ودلائلها : بحثوا في نشأة الألفاظ وتطورها ، كما بحثوا في امكانية التعبير باللغة عن دلائلين ، ولاحظوا انكماش بعض الدلالات وازدهار غيرها فيبحثوا في أسباب ذلك وأرجعوا إلى عوامل تاريخية واجتماعية تمر بها الأمم .

وقد أطلق على هذه المباحث وغيرها « دلالة الألفاظ » وهو مبحث يمثل جانباً من علم أوسع هو ما يعرف بالسيماتيك Semantics

ولقد كان لعلماء العربية القدماء جهود ومحاولات في هذه المباحث ، فقد توصلوا إلى الدلالات الحسية للألفاظ ، وبعثوا في ترجيح أحدي دلالات اللفظ ، وتوضيح المعنى الأقدم ، وأشاروا إلى الألفاظ التي اتحدت في الصورة وانختلفت في المعنى والتي اصطلحوا على تسميتها بالمشترك اللغوي ، كما أشاروا إلى اللفظ عندما يجيء بمعنىين متضادين ، ونبهوا إلى الألفاظ المتعددة عندما تجتمع على معنى واحد .

ومن المعروف أن مبحث دلالة الألفاظ مبحث واسع متعدد الأطراف والجوانب يحتاج إلى دراسات واسعة وبحوث منوعة ، ومن ثم سوف نكتفي هنا بالنظر في ثلاثة موضوعات معينة هي :

- ١ - المشترك اللغوي .
- ٢ - التضاد .
- ٣ - الترافق .

وانما وقع الاختيار على هذه الموضوعات الثلاثة لأهميتها في حقل دلالة الألفاظ بعامة ، وفي اللغة العربية وخاصة ، ولعنة أبي زيد بها .

هذا بالإضافة إلى أن مناقشة هذه الأبواب الثلاثة من شأنه أن يلقى الضوء - بطريق مباشر أو غير مباشر - على مشكلات الدلالة فيما رواه أبو زيد من الفاظ أخرى لا تدخل في هذا الاطار المحدد .

أبو زيد والمشترك اللغوي

المشترك اللغوي هو ورود لفظ بمعنىين متباينين ليس بينهما صلة ظاهرة أما إذا تبيّن أن الاختلاف ناتج عن المجاز ، فإن ذلك لا يصح أن يعدّ من المشترك .

١) انظر دلالة الألفاظ / ٢٢٨ تأليف الدكتور ابراهيم انيس ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٦٣ م .

وينشأ المشترك في اللغة عن تطور في أصوات بعض الكلمات أو تطور في مدلولات الكلمة الواحدة .

وقد لفت هذه الظاهرة اللغوية أنظار علماء اللغة - قدامي ومحدثين - فوجهوا إليها عنايتهم واهتمامهم وتبينت آراؤهم في موقفهم منها ، وسوف نجمل خلاصة آرائهم ، بادئين بالمحدثين لأن في آرائهم نوعا من التحديد ، ثم ننتقل لنعرض آراء القدماء قبل أن نخلص إلى موقف أبي زيد من المشترك .

المشتراك اللغطي عند المحدثين : اهتم الباحثون المحدثون اهتماماً كبيراً بالمشترك اللغطي وكان ذلك مدعاة في السنوات الأخيرة الى ظهور علم جديد في الدراسات اللغوية عرف باسم « علم المشترك اللغطي » .

ومن علماء اللغة المحدثين الذين تعرضوا لهذه الظواهر اللغوية الاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس ، عضو المجمع اللغوي في القاهرة ، حيث ناقشها في اثنين من مؤلفاته هما : دلالة الالفاظ واللهجات العربية .

وقد بدأ مناقشته بعرض آراء علماء العربية القدامى حيث تبين له اختلاف نظرتهم في هذه القضية ، ومن ثم خلص لا بدء رأيه ، فقال بوقوع المشترك في اللغة ، فقد تتغير معانى بعض الكلمات مع احتفاظها بصورةها أو قد تتغير صورتها مع الاحتفاظ بمعانىها لكن سبب التغيير كما يرى يبقى أقرب إلى الترجيع منه إلى مرتبة اليقين .

ويرى الدكتور أنيس أن تعتمد على النصوص في حكمنا على المشترك اللغطي - وفي غيره بالطبع - فإذا ثبت لنا منها أن المفهوم قد يعبر عن معندين متباينين كل التباين سمياناً هذا بال المشترك . أما إذا اتضح أن أحد المعندين هو الأصل وأن الآخر مجاز له ، فلا يصح أن يعد مثل هذا من المشترك اللغطي في حقيقة أمره .

وعلى هذا فالشترک المفظي عند الدكتور أنيس يكون عندما لا تلمع أي صلة بين المعنيين كان يقال مثلاً : إن الحال هو أخو الأم وهو الشامة في الوجه وهو الأكمة الصغيرة . ومثل تلك الألفاظ قليلة جداً في اللغة وخاصة اذا قيست بالالفاظ المترادفة .

وبذلك يكون الدكتور أنيس قد خالف بعض علماء اللغة القدامي ومنهم ابن سيده^١ الذين عدوا المجاز من عوامل وقوع المترنخ في اللغة .

المشتراك عند القدماء : أقر غالبية علماء العربية القدامى بوجود المشترك في اللغة ، ورووا لنا الأمثلة الكثيرة على وروده ، كالخليل وسيبوه وأبى عبيدة ، حتى ان بعضهم قد ألف كتابا جمع فيها أمثلة المشترك ، من ذلك ما فعله أبو عبيد في كتابه « الأجناس من كلام العرب » ، وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى » ، وما فعله المبرد في كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » .

لكن ذلك لم يمنع بعضاً آخر من العلماء من انكار المشترك في اللغة وعلى رأس هؤلاء : ابن درستويه الذي تأول أمثلته الواردة واعتبرها من المجاز ، فكلمة **الهلال** حين تعبّر عن هلال السماء ، وعن حديقة الصيد التي تشبه في شكلها الهلال ، وعن قلامة الظفر التي تشبه في شكلها

الهلال ، وعن هلال النعل الذي يشبه في شكله الهلال ، لا يصح اذا ان تعدد من المشترك اللغوي لأن المعنى واحد في كل هذا ، وقد لعب المجاز دوره في كل هذه الاستعمالات^١ .

ويستند ابن درستويه في رده للمشتراك الى أن اللغة من وضع الله عز وجل ، ولا كان المشترك تعمية فلا يجوز أن يكون موجودا ، لأن اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني^٢ .

وفي رأينا أن الجابين قد بعدا عن جادة الصواب فالثبوت للمشتراك اللغوي بالغوا في سرد أمثلته ، كما أن المنكرين له مبالغون في انكارهم ، اذا لا معنى لانكار المشترك اللغوي مع ما روى لنا في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة كثيرة لا يتطرق إليها الشك ، ومع ما ورد منه في القرآن الكريم ، المثل الأعلى في الفصاحة والبيان^٣ .

ومن أمثلة ورود المشترك في القرآن الكريم كلمة (الساعة) فقد وردت بمعنى يوم القيمة كما جاءت لمعنى جزءا من أجزاء الزمان ، قال تعالى في المعنى الأول : بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا^٤ .

وفي المعنى الآخر قال سبحانه : « فاذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون »^٥ ، وقال : « كان لم يلبتوا الا ساعة من النهار »^٦ . وقد وردت بالمعنىين في قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبتوا غير ساعة »^٧ .

وهكذا يتبيّن لنا أن المشترك اللغوي ظاهرة ثابتة في اللغة لا مجال لانكارها ، لكن الغريب فيها مبالغة المثبتين لها في ايراد الأمثلة^٨ .

اما سبب اختلاف العلماء في وقوعه فيرجع فيما نعتقد الى اختلاف منهجهم في نظرتهم الى الكلمات ومعانيها ، فالمنكرون للمشتراك اللغوي قد نظروا اليها نظرة تاريخية ، وتتبعوها في عصورها المختلفة حيث ان هذه الكلمات في القديم كانت لها علاقة بين معانٍها فتاولوها على أنها كلها من الحقيقة والمجاز^٩ .

واما المثبتون للمشتراك فقد بحثوا في الكلمات في فترة معينة من الزمن بقطع النظر عن السابق واللاحق ، وفي هذه الفترة المعينة تكون قد تلاشت العلاقة بين المعانٍ وتنوسيت ، وهكذا كانت نظرتهم الى الكلمات وصفية واقعية^{١٠} .

ومن أجل ذلك تبأنت النتائج عند الفريقيين^{١١} .

المشتراك اللغوي عند أبي زيد : ذهب أبو زيد الأنصاري الى أن المشترك اللغوي قد ثبت وروده في اللغة لكنه لم ينص على ذلك ولم يناقش المشترك ومعناه ، واكتفى بسرد الأمثلة التي استنبطت منها ما تقدم^{١٢} .

١) انظر دلالة الالفاظ - دكتور ابراهيم ابيوس / ٢١٤

٢) انظر المزهر للسيوطى ٢٨٥/١

٣) سورة الفرقان / ١١

٤) سورة الأعراف / ٣٤ . وسورة النحل / ٦١

٥) سورة يونس / ٤٥

٦) سورة الروم / ٥٥

وقد قمت بجمع هذه الأمثلة التي وردت ميشوته في كتبه وفي المعاجم اللغوية ، فالفيتها قليلة اذا ما قورنت بالالفاظ المتراوحة المروية عنه مما يجعلنا نرجع صحة ما ذهب اليه الدكتور أنيس من ان الفاظ المشترك اللغطي الواردة في لغتنا العربية قليلة اذا ما قورنت بالالفاظ المتراوحة .

وقد قمت بدراسة أمثلة المشترك اللغطي المروية عن أبي زيد فلاحظت أن بعض الأمثلة قد توجد علاقة ما في معانيها بحيث يسهل رد هذه المعاني الى الآخر ، على اعتبار أن المعنى الحسي هو الأصل وأن المعنى فرع له ، ومثال ذلك ما رواه^١ أبو زيد في معنى كلمة الصاعقة فهي نار تسقط من السماء في رعد شديد وهي أيضا صيحة العذاب فالاول أصل والثاني فرع له على سبيل المجاز ، ومثل تلك الأمثلة لا نستطيع عدها من المشترك اللغطي لأن المشترك عندنا يكون عندما لا توجد صلة بين المعنيين .

لكن الأمثلة الأخرى يصعب كشف علاقة بين معانيها – على الأقل في وقتنا الحاضر – ومثال ذلك ما روي من أن المطر الغزير وهو العظم بغیر لحم^٢ أيضا ، فهل نستطيع ان نجد بين هذين المعنيين علاقة من نوع ما مهما حاولنا أن نجهد أنفسنا الآن ؟

ورأيت أبي زيد يعني في بعض الأحيان بأن يسوق معاني المشترك اللغطي في نصوص من الشعر ، فقد أنسد قول الشاعر :

ساقِطُهُنَّ أَخْوَلَا فَأَخْوَلَا وَزَرَّ مِنْ أَكْنَافِهِنَّ خُصْلَا

ثم عقب عليه فقال : والزَّرْ مصدر زررت القميص زَرَّا . والزَّرْ الطعن والزَّرْ العض ، وقال الشاعر :

يَزَرُّ وَيَلْفِظُ أَوْبَارِهَا وَيَقْرُو بِهِنَّ قِفَافِهَا حَزْوَنَا

والزَّرْ أن يزَرْ عينيه كان يضيقهما من نواحيهما ، والزَّرْ النتف ، أنسدني أعرابي :
انْ لَمْ يَرِلْ شِعْرَ مِيقَدِيْ يَزَرْ

أي ينتف^٣ .

فانت ترى أن أبي زيد قد ساق من معاني الزَّرْ : الطعن والعض والنتف وزر القميص مستشهدًا بالشعر .

وأخيرا فقد وردت بعض أمثلة المشترك التي رواها أبو زيد نتيجة تعدد اللهجات حيث استعملت النقطة في لهجة من اللهجات بمعنى على حين استعملت في لهجة أخرى بمعنى مختلف ، ثم جاءت مرحلة تدوين اللغة فتدخل المعنيان مما يثبت أن للهجات دورا في تكوين المشترك اللغطي ، ومثال ما ذهبنا اليه قول أبي زيد : الالفت في كلام قيس : الأحمق والالفت في كلام تميم : الأعسر^٤ .

(١) لسان العرب / صدق

(٢) المرجع السابق / عرق

(٣) التواجد في اللغة / ١٤٥ ، ١٤٦

(٤) المزهر / ٢٨١

أبو زيد والتضاد

لا يكتفى الحديث عن المشترك المفظي الا بالحديث عن التضاد ، اذ هو منه فالكلام في التضاد فرع الكلام عن المشترك المفظي ، فاذا صع أن يعبر المفظ عن معنيين أو أكثر ، فقد وردت الفاظ أخرى غير الواحد منها عن معنيين متضادين ، وضد الشيء خلافه ، وقد استعمل العرب هذه الالفاظ في لفتهم ليتوسعوا في كلامهم ويتغذوا فيه ، واصطلاح العلماء على تسمية هذه الالفاظ الواردة بالأضداد .

وكما هو الحال في تناولنا للمشترك المفظي ، سوف نبدأ بعرض آراء المحدثين في التضاد ، ثم نعقب ذلك بتقديم آراء علماء العربية القدامى وأسباب وقوعه ، حيث نختتم حديثنا عن هذه الظاهرة المفظية ب موقف أبي زيد منها وأثره فيها .

التضاد عند المحدثين : تعرض بعض علماء اللغة المحدثين لهذه الظاهرة المفظية ، لكنهم لم يكونوا أسعده حظا من القدامى ، فقد وقع الخلاف بينهم في نظرتهم الى الأضداد في اللغة ، فانكر بعض المحدثين وقوعه ، ودعا الى تخليص اللغة منه ، وأقر آخرون بوجوده بعد أن تخففوا من أمثلته .

ومن الباحثين المحدثين الذين انكروا التضاد الأستاذ احمد أمين الذي كتب مقالا في مجلة المجمع المفظي^١ في القاهرة ذهب فيه الى عدم جواز وضع لفظ للدلالة على الشيء وضده لأن في ذلك تعمية ، في حين أن اللغة موضوعة للكشف عن المعاني .

والى ذلك ذهب الأستاذ عبد الفتاح بنوبي في دائرة المعارف الإسلامية^٢ حيث انكر وقوع التضاد في اللغة بحجة أنه لا يتفق مع طبيعتها في تسهيل التفاهم بين الناس ، ومن أجل ذلك فلا يعقل على حد رايته أن يوجد لفظ له معانٰيان متقابلان بوضع واحد .

والملاحظ أن المنكرين للتضاد يذهبون الى أن المفظ قد وضع أصلا ليدل على معنيين متضادين ، وذلك لم يقل به أحد ، وإنما يأتي التضاد عن طريق عوامل أشرنا إليها سابقا .

ومن الباحثين المحدثين المثبتين للتضاد الأستاذ منصور فهمي الذي قام بدراسة موضوعية تختلف فيها من أمثلة التضاد وانتهى الى البقاء على عشرين مثلا منها فقط يفيد معنى التضاد ، وكان قد قدّم لدراسته بعرض آراء القدامى وبيان خلافهم في هذه الظاهرة واسراف كل جانب في دعم مذهبة^٣ .

كما تعرض لبحث الأضداد من المحدثين الأستاذ الدكتور ابراهيم انيس فرأى أن الصدمة نوع من العلاقة بين المعاني ف مجرد ذكر معنى من المعاني يدعوه ضد هذا المعنى الى الذهن ، فذكر البعض يستحضر في الذهن السواد ، واذا جاز أن تعبّر الكلمة عن معنيين بينهما علاقة ما فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين .

ويرى الدكتور انيس أن أمثلة الأضداد التي رویت لنا لا تخلو من التعسّف والتلفّ وأن أكثرها يعزّز التصوّص الصرّيحة المفظية .

١) انظر مجلة المجمع المفظي ٨٩/٦ وما بعدها

٢) ٢٩٥/٢ وما بعدها

٣) انظر مجلة المجمع المفظي ٢٨٨/٢ وما بعدها .

التضاد عند القلماء : اهتم علماء العربية القدماء بتبني الفاظ الأضداد وروايتها وجمعها في كتب خاصة ، وكان يبعث هذا الاهتمام عندهم دينياً محضاً يهدف إلى خدمة القرآن وتوضيح معانيه ، فقد وردت بعض الفاظ التضاد في القرآن الكريم ، فقام العلماء ببيانها وجمع أشباعها في كلام العرب ، قال أبو حاتم في مقدمة كتاب الأضداد موضحاً الهدف من تأليفه : « حملنا على تأليفه أثنا وسبعين من الأضداد في كلامهم والملتوب شيئاً كثيراً فأوضحتنا ما حضر منه إذ كان يجيء القرآن الفتن يقيناً وشكلاً والرجاء خوفاً وطمئناً وهو مشهور في كلام العرب ، وضد الشيء خلافه وغيره ، فاردنا أن يكون لا يرى من لا يعرف لغات العرب أن الله عز وجل حين قال : « إنها لكثيرة إلا على الخاسعين الذين يظنون » ^١ مدح الشاكرين في لقاء ربهم ، وإنما المعنى يستيقنون وكذلك في صفة من أوصي كتابه بسميه من أهل الجنة « هارون أقرأوا كتابي ، إنني طفت » ^٢ بربه إنني أيقنت ، ولو كان شاكراً لم يكن مؤمناً ، وإنما قوله « قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً » ^٣ فهو لا شكاك كفار .

وقد أدى هذا الاهتمام من جانب علماء العربية في جمع الفاظ الأضداد إلى كثرة الكتب المؤلفة فيها على مر الزمن ، وقد وصلنا بعضها ، وسوف نتعرض لها في حديثنا عن أثر أبي زيد في هذه الظاهرة اللغوية .

أغرت هذه الثروة اللغوية من الأضداد علماء اللغة القدماء ، فبحثوا في أسباب نشأة الأضداد في اللغة ، فأرجع ابن الأباري بعضها إلى التداخل في المعاني قال : « إذا وقع الحرف على معينين متضادين بالأصل لمعنى واحد ثم تداخل الاثنين على جهة الاتساع ، فمن ذلك الصنف ، يقال للليل صريم وللنهر صريم لأن الليل ينصرم من النهر ، والنهار ينصرم من الليل ، وأصل المعينين من باب واحد وهو القطع ، وكذلك الصارخ : المغيث ، والصارخ : المستغيث سمي بذلك لأن المغيث يصرخ بالاغاثة ، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة ، فاصطلما من باب واحد » ^٤ .

وكان لاختلف اللهجات العربية نصيب في زيادة الأضداد في اللغة ، فمحال أن يوقع العربي اللفظ على معينين متضادين ، ولكن الذي يحدث أن يقع اللفظ بمعنى في أحدى اللهجات العربية على حين يقع اللفظ نفسه بمعنى مضاد في لهجة أخرى ، وعندما جمعت اللغة وجد اللفظ بمعنى متضادين ، ويفيدنا فيما ذهبنا إليه قول الأباري : « إذا وقع الحرف على معينين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعينين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره ، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاً عن هؤلاً ، وهؤلاً عن هؤلاً ، قالوا فالجون الآبيض في لغة هي من العرب والجون الأسود في لغة هي آخر ، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر » ^٥ .

وقد ذكر أحد الباحثين المحدثين أسباباً أخرى للتضاد أهمها : التطور الصوتي والمجاز اللغوي والتطير ^٦ .

١) سورة البقرة / ٤٥ ، ٤٦ .

٢) سورة العنكبوت / ١٩ ، ٢٠ .

٣) سورة العنكبوت / ٢٢ .

٤) المزهر - السبوطي ٤٠١١ .

٥) انظر اللهجات العربية - الدكتور ابراهيم انبيس / ١٦٦ وما بعدها

على أن أهم ما يستوقفنا في هذه الظاهرة اللغوية ما أثير حولها من جدل وخلاف ، فقد تباينت آراء العلماء القدماء في وقوع الأضداد في اللغة حتى ان بعضهم قد ألف كتابا يشرح فيها رأيه ويرد على مخالفيه .

وانقسم هؤلاء العلماء في نظرتهم الى الأضداد الى فريقين : فريق أثبت وجودها في اللغة وروى أمثلة منها ، وفريق آخر ذهب الى انكارها وتأول ما ورد من أمثلتها .

ومن علماء العربية القدماء الذين تمحسوا لاثبات الأضداد في اللغة ودافعوا عن وجوده : ابن فارس الذي قال^١ : « من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد ، نحو الجون للأسود والجون للأبيض قال : وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تاتي باسم واحد لشيء وضده وهذا ليس بشيء ، وذلك أن الذين رووا أن العرب تسمى السيف مهندأ والفرس طرفا هم الذين رووا أن العرب تسمى المتضادين باسم واحد » .

فابن فارس يحتج لاثبات التضاد في اللغة ويرد على منكريه بأمرتين :

أولهما : أن التضاد من سنن العرب وقد يروى لنا ذلك عنهم ووصلتنا أمثلة منه .

ثانيهما : أننا طالما أسلمنا بوجود المشترك في اللغة فمن الطبيعي أن نقر بورود التضاد لأن المصدر للظاهرتين واحد وهو العرب .

هذا ولم يكتف ابن فارس بما أورده هنا فالله كتابا رد فيه على المنكريين حججهم التي تذرعوا بها لانكار الأضداد قال « وقد جرّدنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجوا به ، وذكرنا رد ذلك ونقضه »^٢ .

وكان ابن الأباري على رأس المتبين للتضاد والمنافعين عن وروده حيث تصدّى لمنكريه فكتاهم بأهل البدع واتهمهم بالزيغ والازراء بالعرب لأنهم قالوا : « ان ورود التضاد في اللغة إنما كان لقصاص حكمة العرب وقلة بلاغتهم لأنه يؤدي الى الغموض في الكلام » ، قال ابن الأباري في مقدمة كتابه **الأضداد** : « هذا كتاب ذكر العروض التي توقعها العرب على المعاني المتضادة ، فيكون العرف منها مؤديا عن معنيين مختلفين ، ويظن أهل البدع والزيغ والازراء بالعرب ان ذلك كان منهم لقصاص حكمتهم ، وقلة بلاغتهم ، وكثرة الالتباس في محاوراتهم ، وعند اتصال مخاطبائهم ، فيسألون عن ذلك ويتحججون بأن الاسم مبني عن المعنى الذي تحته ودال عليه وموضع تاويله فإذا اعتبر اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسئى » .

فحجة المكريين للتضاد كما يصورها ابن الأباري هي أنه مداعاة للفموض والإبهام ، فإذا ورد اللفظ بمعنىين متضادين لم يدر المخاطب أيهما المراد .

لكنه لم يترك لهم هذه الحجة فقد أجاب بأن السياق كفيل بتوضيح المعنى المطلوب ، وباسق الأمثلة التي تبيّن ما ذهب اليه :

(١) الصاحبي / ٩٧

(٢) المزهر - السيوطي ٢٨٨/١

١/ ٣

قال ابن الأباري في معرض رده على المنكرين : « ان كلام العرب يصح بعضه بعضًا ويرتبط أوله بأخره ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع النقطة على المعنين المتضادين ، لأنه يتقدمها ويأتي بعدهما ما يدل على خصوصية أحد المعنين دون الآخر ، ولا يراد بها في حال التكلم والأخبار الا معنى واحد فمن ذلك قول الشاعر :

كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَّا الْمَوْتُ جَلَّا وَالْقَسْى يَسْمَى وَلِهِمْ الْأَمْل

فدل ما تقدم قبل (جلل) وتاخر بعده على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير ولا يتومه ذو عقل وتميز أن الجملة هنا معناه عظيم ، وقول الآخر :

فَلَيْنِ عَفَوْتُ لِأَعْفُونَ جَلَّا وَلَنْ سَطَوْتُ لِأَوْهِنَ عَظِيمٍ

قَوْمِي هُمْ قَتَلُوا أَمْيَمَ أَخْيَ فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهِيمٍ

فدل الكلام على أنه أراد فلشن عفوت لاعفون عفوا عظيميا^١ .

ولقد أصاب ابن الأباري - في رأينا - في اعتماده على السياق في النصوص الصحيحة المروية عن العرب لدفع ما قد يقع من التباس وغموض في الكلام مما يجعلنا نرجع صحة ما قاله أحد الباحثين المحدثين من أن ورود اللفظ في نص يبعث فيه العيادة ، وأن الفاظ الماجم اللغوية بمثابة الجثث الهاشمة^٢ .

لكن هذه العيجة كلها لم تمنع المنكرين للأضداد من الصمود في موقفهم وكان على رأس هذا الفريق ابن درستويه الذي تذرع في إنكاره للتضاد بأن فيه تعمية وتفطيلية .

وقد ألف كتابا في ابطال الأضداد رد فيه حجج المثبتين له الا أن الكتاب لم يصلينا ، فلم نتعرف على تلك العيجة التي استند إليها ، وقد نقل السيوطي قول ابن درستويه في شرح الفصيح : « النوع الارتفاع بمثقبة ونقل منه قيل للنوكب قد ناء اذا طلع ، وزعم قوم من اللغويين أن النوع السقوط أيضا وأنه من الأضداد ، وقد أوضحنا العيجة عليهم في ذلك في كتابنا في ابطال الأضداد »^٣ .

وبذلك أفاد ابن درستويه إنكاره للأضداد وتأليفه كتابا في الرد على المثبتين .

وفي رأينا أن كلاما من المنكرين والمثبتين للأضداد قد بعد عن جادة الصواب فالمذكورون للتضاد مبالغون في إنكاره مع ما ورد من أمثلته في القرآن الكريم وفي الأساليب العربية الصحيحة ، وأما حجتهم بأن ورود الأضداد في اللغة يبعث على الفموض فمردودة لأن السياق كفيل بازالة الفموض . ومن الممكن بعد ذلك أن تتعايش المعاني المتضادة بدون احداث ازعاج ، ومن المفيد هنا أن نذكر ما أورده أولمان في هذا الشأن حيث قال : « من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبا إلى جنب لقرون طويلة بدون احداث أي ازعاج أو مضايقة »^٤ .

١) الأضداد لابن الباري /

٢) انظر دلالة الالفاظ - الدكتور ابيس / ٢١٢

٣) المزهر - السيوطي ٢٩٦ / ١

٤) دور الكلمة في اللغة / ١١٨

كما أن المثبتين قد بالغوا في سرد أمثلته ، وقد قام أحد الباحثين^١ المحدثين بدراسة الأمثلة التي عدت من الأضداد فتبين له أن ليس بينها ما يفيض التضاد بمعنى العلمي إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة^٢ .

ويرى الدكتور أنيس أن مثل هذا العدد لا يستحق عناية كبيرة لا سيما وأن مصر كلمات التضاد إلى الانقراض من اللغة ، بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن^٣ .

التضاد عند أبي زيد : أقرَّ أبو زيد بورود الأضداد في اللغة ، لكنه لم يناقش معناها ، واكتفى بأن روى كثيرة من أمثلتها التي جاءت مبثوثة في مؤلفاته وفي كتب الأضداد ، وقد كان أبو زيد في كتبه يشير إلى اللفظ أن كان من الأضداد ومثال ذلك ما ورد في كتابه *النواود في اللغة* حيث أنسد قول ذهير :

بلاد بها نادمتهُم والفتُّهُمْ فانْتَهُمْ فَاتَّهُمْ بَسْلٌ

وبيّن أن (بَسْل) بمعنى (حرام) وأنها تأتي بمعنى (العلال) كما في قول عبد الله بن حمام :

زيادتنا نعمانٌ لا تعرِّمنا
أَيْثَبَتْ مَا زَدْتُمْ وَتَلَقَّى زِيَادَتِي
دَمِيَّ اسْيَفَتْ هَذِهِ لَكُمْ بَسْلٌ

ثم قال أبو زيد : « وهذا الحرف من الأضداد »^٤ مما يدل على اعتراف صريح منه بوجود التضاد في اللغة .

روى لنا أبو زيد ثروة لفظية كبيرة من الأضداد ساعدته على روايتها معرفته بلغات العرب وكثرة تنقلاته بين القبائل العربية ، وقد أشرنا إلى أن اللهجات العربية كان لها دور في زيادة الأضداد ، ومثال ما رواه أبو زيد من ذلك قوله : « لقت الشيء المقه لما إذا كتبته في لغة بني عقيل ، وسانر قيس يقولون : لقتته محوته »^٥ .

ويقوم منهج أبي زيد على التوسيع في رواية الأضداد ، فقد روى لنا الفاظا على أنها من التضاد ولكنها في حقيقة الأمر ليست منه بحال من الأحوال ، ومثال ذلك قوله^٦ : « خفيته أخفيه خفيا في معنى الظهور وأخفيته أخفيه أخفاء في معنى الكتمان » ، فقد تغيرت صيغة الكلمة فأصبحت كلمتين ، والتضاد ورود كلمة في معنيين متضادين ، لذلك لا يعد مثل هذا اللفظ من الأضداد .

ومثال آخر على توسيعه في رواية الأضداد قوله^٧ : « طلعت على القوم أطلع طلوعا إذا غبت عنهم حتى لا يرونك ، وطلعت إليهم إذا أقبلت إليهم حتى يرونك » .

فالتضاد هنا لم يحدث في معنى الكلمة ولم تفده الكلمة بذاتها وإنما جاء من اقترانها بحرف الجر ، فلا يعد مثل هذا اللفظ أيضا من الأضداد .

(٢.١) انظر اللهجات العربية ١٦٩/١

(٢) النواود في اللغة / ٣ ، ٤

(٤) المزهر - السيوطي ٢٨٩/١

(٥) الأضداد في كلام العرب - أبو الطيب المنور ٢٤٦/١

(٦) المرجع السابق ٤٥٩/٢

وكان أبو زيد في روايته لالغاظ التضاد يستعين في بعض الأحيان بالسياق على توضيح الصدمة في معنى اللفظ ، فيورد اللفظ في شواهد صحيحة ، قال أبو زيد : « الشفيف من الأضداد يكون لهب الحر ويكون برد الريح ، وأنشد في لهب الحر :

جاءت تشكي لهب الشفيف

وأنشد في البرد

فَالْجَاهَةُ إِلَى نَارِيِ الشَّفِيفِ^١

وذلك منهج قوي ، لكن أبو زيد لم يتقييد به في أحياناً أخرى . فرأيته يورد اللفظ من الأضداد مجرداً من النصوص ، في حين أنها في دراستنا للأضداد تعلق أهمية على السياق لأنَّه السبيل لتوضيح معنى الصدمة من جهة وازالة ما قد يقع من الغموض من جهة أخرى .

ومثال ما أورده أبو زيد من الأضداد مجرداً من النصوص قوله^٢ : « يقال بعث الشيء إذا بعثه من غيرك ، وبعثه إذا اشتريته » . وقوله : الشك السير الرفيق ، والشك السرعة^٣ .

اما أبو زيد في ظاهرة التضاد في اللغة فيكمن في كثرة ما دوى لنا من حروفه ، ويتبين هذا الأثر بشكل بارز اذا أقينا نظرة على الكتب المؤلفة في الأضداد حيث يتبيَّن لنا أنَّ أبو زيد كان مصدراً هاماً لهذه الكتب سواء فيما روت من الأضداد أو فيما أوردت من الشواهد عليها .

ولاجل تقديم صورة ملحوظة لأثر أبو زيد في هذه الظاهرة اللغوية قمت بجولة في هذه الكتب استخرجت خلالها روايات أبو زيد فيها لدراستها :

رأيت الأصمسي - معاصر أبو زيد - في كتابه في الأضداد يعتمد على أبو زيد - في كثير من الأحيان - فيما يرويه من حروف التضاد فينقل عنه شرحه لها واستشهاده عليها كأن يقول^٤ :

« قال أبو زيد : السدفة في لغة تعيم الظلمة . وفي لغة قيس الضوء ، قال ابن مقبل :
وَلَيْلَةَ قَدْ جَعَلْتُ الصَّبَحَ مَوْعِدَهَا بِصَدْرِ الْعَنْسِ حَتَّى تَعْرَفَ السَّدْفَا

أي أسرى حتى الصبح فترى ضوء الصبح ، وقال العجاج :
وَاقْطَعْنَا اللَّيْلَ إِذَا مَا أَسْدَفَنَا

أي أظلم » .

ويكتفي الأصمسي في بعض الروايات في الاستعانة بأبي زيد فيما ينشده من الشواهد فيقول : « الذئور الذاعر والذئور المذعور وأنشد أبو زيد^٥ :

١) الأضداد في كلام العرب - أبو الطيب المخري ٤١٥/٢

٢) الأضداد / ١٨٤ تاليف ابن السكين . طبعة بيروت ١٩١٣م .

٣) لسان العرب / بشك

٤) الأضداد / ٣٥ تاليف الأصمسي . طبعة بيروت ١٩١٣م .

٥) المرجع السابق / ٥٥

تنول بمعروف الحديث وان تُرِدْ سوى ذاك تُنْدَعِرْ مِنْكَ وَهِيَ ذَعْرَ

وكذلك ابن السكين (توفي ٢٤٤هـ) في كتابه ، فقد كان يذكر تارة العرف وشاهدته عن أبي زيد كان يقول ^١ : « قال أبو زيد : الناهم في كلام العرب العطشان ، والناهم الذي قد شرب حتى روى قال الشاعر (وهو النابغة الذبياني) :

الطاعِنُ الطَّعْنَةَ يَوْمَ الْوَغْنِ يَهْلُّ مِنْهَا الْأَسْدُ النَّاهِلُ

أي يروى فيها الأسد العطشان .

لكنه تارة أخرى يكتفي بذكر العرف عن أبي زيد بدون شاهد ، وقد يذكر العرف ويستعين بأبي زيد في الاستشهاد عليه ^٢ .

أما أبو حاتم السجستاني - (تلميذ أبي زيد) - في كتابه في الأضداد فقد أكثر من الرواية عن أبي زيد كثرة واضحة إلى حد جعله مصدراً أساسياً لكتابه ، وبرغم أنه كرر ما روى عن أبي زيد في أضداد الأصممي إلا أنه أضاف إليها المزيد من ثروة أبي زيد اللغوية في الأضداد .

ومما زاده أبو حاتم من العروض عن أبي زيد قوله ^٣ : « قال أبو زيد : تصدق الرجل إذا أعطي صدقته وبعض العرب يقول : تصدق سأله ، والجيئ تصدق أعطي » .

وقوله ^٤ : « يقال أضعف الرجل إذا كثرت أبله وفشت ضياعته وانتشرت وأضعف إذا كانت أبله ضعافاً مهازيل » .

واعتمد أبو حاتم على أبي زيد في كثرة الشواهد التي أوردها لبيان معنى الضدية في العرف ، ومثال ذلك قوله : « فزع الرجل إذا ارتاع وفرز إذا أغاث غيره ، وأنشدنا أبو زيد للكلحية اليربوعي ^٥ :

فقلت لِكَاسِ الْجِمِيْهَا فَانْمَا هَبَطَنَا الْكَنِيْبَ مِنْ زَرُودٍ لِتَفَزَّعَا
أي لنغيث .

وكان أبو حاتم في بعض الأحيان يروى عن أبي زيد معنى العرف ثم يروي ضده عن غيره من علماء العربية ومثال ذلك قوله ^٦ : « قال أبو زيد : جمل مسْهُوَ أي بطيء بين السهوة ، وقال الأصممي : دابة سَهُوَ والأنثى سَهُوة للسرير الخفيف السَّيْرِ » .

١) الأضداد . تاليف ابن السكين ١٩١ / ١٩١

٢) انظر أضداد ابن السكين / ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ١٩٣ /

٣) الأضداد / ١٣٥ تاليف أبي حاتم السجستاني . طبعة بيروت ١٩١٣ م .

٤) انزوج السابق ١١٢ /

٥) المرجع السابق / ١٢١

٦) المرجع السابق / ١٥٦

أما ابن الأنباري (توفي ٤٢٨هـ) فقد كان مقلماً فيما رواه أبي زيد من حروف الأضداد في كتابه ، ورأيته ينقل عن أبي زيد الحرف وشهادته ، ومثال ما أورده ابن الأنباري عن أبي زيد قوله^١ : « وقال بعض البصريين ، قال أبو زيد : الفلد : العطاء القليل ، والفلذ : العطاء الكثير ، وأنشد :

فلذ العطاء في السنين النَّزَل

وأنشد للأعشى ، أعشى باهله :

تكفيه حَزَّةٌ فَلَذٌ أَنَّ الْمَ بِهَا مِنَ الشَّوَّاءِ وَيَرُوِي شَرِبَةَ الْفَمْرَ

وكان أبو الطيب اللغوي (توفي ٤٥١هـ) الذي يعتبر كتابه في الأضداد أغزر هذه الكتب مادة أكثر العلماء المتقدمين نقلًا عن أبي زيد سواء فيما رواه من حروف الأضداد أو فيما أنشده من الشواهد عليها بحيث يسهل على كل من يطلع على الكتاب أن يتبين بأن أبي زيد مصدر هام من مصادر الكتاب ، فقد روى عنه ما يزيد على خمسين رواية .

ومن أمثلة ما رواه أبو الطيب عن أبي زيد قوله^٢ :

« قال أبو زيد : الخلط من الرجال أن يكون مدحاً ويكون ذمـاً . فالخلط الذي يخالط الناس بما يحبون فهذا مدح . والخلط أيضاً الذي يلقى متعاه ونساه بين القوم فيخالط بهم ، فهذا ذمـ . وعيـ » .

وقال أبو الطيب^٣ : « قال أبو زيد : يقال أمر ألم اذا كان عظيـاً وامر ألم اذا كان صغيرـاً . »

أبو زيد والترادف

الترادف يعني ورود الفاظ في اللغة متعددة المعنى بحيث يمكن التبادل فيما بينها في أي سياق .

وهذا التعريف الذي اخترناه للترادف هو ما رأاه الأستاذ أويلان ، وقد سار في نفس الاتجاه استاذنا الدكتور كمال بشـر .

وقد جاءت لغتنا العربية غنية بالالفاظ المترادفة حتى امتلأت بها المعاجم اللغوية وافت فيها الكتب على نحو ما فعله الفيروز بادي في كتابه الموسوم بـ (الروض المسلوف فيما له اسمـانـ الى الـوفـ) .

وكان وجود هذه الشروـةـ الـلـفـظـيةـ منـ التـرـادـفـ أـمـامـ عـلـمـاءـ الـعـرـبـيـةـ - قـدـامـيـ وـمـحـدـدـيـنـ - بـمـثـابـةـ اـغـرـاءـ لـهـمـ دـفـعـهـمـ إـلـىـ أـنـ يـتـعـرـضـواـ لـهـاـ بـالـبـحـثـ وـالـدـرـاسـةـ .ـ لـكـنـ آـرـاءـهـمـ قـدـ تـبـاـيـنـتـ وـتـشـابـكـتـ سـوـاءـ فيـ تـعـرـيفـ التـرـادـفـ أوـ فيـ اـمـكـانـ وـقـوعـهـ أوـ فيـ كـمـيـةـ الـفـاظـهـ فيـ حـالـ وـجـودـهـ أوـ فيـ الـمـنهـجـ الـذـيـ يـخـتـارـ لـدـرـاسـتـهـ .ـ

١) الأضداد / ٤٢١ تأليف محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو النضال إبراهيم طبعة الكويت ١٩٦٠ .

٢) المراجع السابـنـ / ٢٦٣

٣) المراجع السابـقـ / ٢

وسوف نحاول أن نأتي على بعض آراء علماء اللغة المحدثين أولاً . فالقدامي ثانياً . ثم نتعرض لموقف أبي زيد من ظاهرة الترادف في اللغة .

الترادف عند المحدثين : ناقش كثير من الباحثين ظاهرة الترادف في اللغة في أبحاثهم . وسوف نكتفي بالإشارة إلى رأي الاستاذين الجليلين : علي الجارم والدكتور ابراهيم أنيس .

اما الاستاذ علي الجارم فقد كتب بحثاً في الترادف في مجلة المجمع اللغوي بالقاهرة سنة ١٩٣٥^١ ، أقر فيه بوجود الترادف في اللغة ، لكنه عاب على علماء اللغة القدامي القائلين بالترادف كثرة الأمثلة التي أوردوها على أنها من الترادف وحاول اخراج كثير من الأمثلة التي جاءوا بها من نحو كمع الدابة وكبجها فهي كلمة واحدة في رأيه . وكل ما حدث هو نوع من التطور الصوتي بين الباء والميم .

كما اشار الاستاذ علي الجارم إلى أن المنكرين للترادف قد جانبووا الصواب فيما ذهبوا إليه بدليل ورود أمثلة من الترادف كما يرى لا داعي لأنكارها .

وقد عالج الاستاذ الدكتور ابراهيم أنيس قضية الترادف في اللغة في اثنين من مؤلفاته مما : **اللهجات العربية^٢** و**دلالة الألفاظ^٣** ، فاعترف بوجود الترادف في اللغة ، وذهب إلى أنه حقيقة واقعة وأن كثرة وقوعه أصبحت خاصية للغتنا العربية لا تكاد تشركها في هذا اللغة أخرى ، وأنكر على علماء العربية القدامي قولهم بعدم وجود الترادف ، إذ كيف يجوز ذلك منهم مع وجود تلك الكلمات العربية التي لا نلحظ في معانيها فرقاً مهما أجهدنا أنفسنا في التأول مثل القمع والحنطة والبر .

وقد اتفق لنا أن الدكتور أنيس قد نظر إلى الترادف في اللغة بوجه عام بصرف النظر عن الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات كما أنه قام باخراج بعض الكلمات من الترادف على اعتبار أنها ليست منه ، فقد أدخلها العلماء بسبب التطور في بعض أصواتها .

وقد أخذ عليه استاذنا الدكتور كمال بشر احتمال أن تكون هذه الفروق الصوتية راجعة إلى اختلاف اللهجات ، وهو احتمال قائم ، وله ما يبرره في رأينا ، فقد وجدنا أن اختلاف الصورة في بعض الكلمات التي أوردها الدكتور أنيس راجع إلى اختلاف اللهجات وليس إلى تطور الأصوات كما أشار ، وأكثف في أن أسوق المثالين التاليين :

١ - **فاضت وفاقت :** كلمتان وليستا كلمة واحدة كما أشار الدكتور أنيس ، والتباين الصوتي راجع إلى اختلاف اللهجات على ما روى أبو زيد .

لذلك لا يجوز اخراجها لأن الدكتور أنيس في قوله بوجود الترادف لم يفرق بين اللهجات وإنما قام مذهبة على النظر إلى اللغة المشتركة .

١) انظر ١/٢٠٣ وما بعدها

٢) ص ١٣٨ - ١٥٣

٣) ٢١٠ وما بعدها

٢ - شجرات وشيات : أشار ابن جنی^١ الى أن الياء في شيرة أصل وليس بدلاً من الجيم ، وأنها لغة بعض العرب^٢ ، وذلك بالطبع يعني أن التباين في الصورة بين الكلمتين مرجمة اختلاف اللهجات .

وقد تعرض لموضوع الترافق في اللغة بعض علماء الغرب المحدثين منهم : أولان وبلومفيلد وفيرث^٣ .

أما أولان فقد اعترف بوجود ما اسماه أنساف أو أشباه متراادات في اللغة، أما الترافق فبالرغم من عدم استحالته في اللغة الا أنه نادر الوقوع الى درجة كبيرة .

وأما بلومفيلد فقد انكر وجود الترافق في اللغة حيث يرى أنه اذا اختلفت الصيغة صوتياً وجب اختلافها في المعنى ، وقد وافقه فيرث في انكار الترافق لأنه يرى هو الآخر أن اختلاف الميزات الصوتية من كلمة الى كلمة يؤدي بالضرورة الى اختلاف الكلمات في المعنى ، وهذا يؤدي بالطبع الى عدم وجود الترافق .

موقف القائم من الترافق : أما التباين العجيب في الآراء، فقد ظهر في موقف علماء العربية القدماء من وجود الترافق في اللغة ، فذهب فريق منهم الى أن الترافق بمعنى المطلق غير موجود، وهذا يعني أنهم يؤمّنون بوجود المتراادات بمعنى عام ولكنهم يخرجون ما ورد منها بقيد من القيود . ونذكر من هؤلاء العلماء : ابن فارس وابن الأعرابي ونعلب ، حيث قاموا بتحريج ما ورد في اللغة من ترافق على أساس ابراز ما بينها من فروق ، فقد ارتكز مذهبهم على أن في كل واحدة من الألفاظ المترايدة معنى ليس في الأخرى ، ففي قعد مثلاً معنى ليس في جلس ، الا ترى أننا نقول قام ثم قعد ، وأخذه المقيم المقدم ثم نقول كان مضطجعاً فجلس ، فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس .

وهكذا يمضون في هذا الباب يجرونه على نحو ما سبق حتى ان أبو الهلال العسكري (توفي ٣٩٥هـ) الف كتاباً اسماه الفروق اللغوية حاول فيه أن يلتمس فروقاً دقيقة بين بعض الألفاظ المترايدة دون سند من نصوص أو شواهد كأن يقول في الفرق بين السخاء والجود ان السخاء هو أن يلين الانسان عند السؤال ولهذا لا يقال لله تعالى سعى أما الجود فكثرة العطاء من غير سؤال .

ومن سار في نفس الاتجاه من علماء العربية فانكر وجود الترافق في اللغة الامام أبو علي الفارسي شيخ ابن جنی حيث قال عن نفسه^٤ : كنت بمجلس سيف الدولة بحلب ، وبالحضرمة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالويه ، فقال ابن خالويه : أحفظ للسيف خمسين اسماء ، فتبسم أبو علي وقال : ما أحفظ له الا اسماء واحداً وهو السيف ، قال ابن خالويه : فلماين المهد والصادر وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ، وكأن الشیخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

و واضح من كلامه أن هذه الصفات لها معانٍ مختلفة ومن ثم فلا ترافق بينها .

(١) مخطوطه سر الصناعة / ٢٨٥

(٢) من المثير بالذكر أن هذه اللئنة ما زالت موجودة الى اليوم في لمبة الكويت حيث يتوّلون يمل وريثاً بدل حمل ورثاً .

(٣) دور الكلمة في اللغة / ١١٠

(٤) المزهر - السيوطي ٤٥٥/١

وبعد أن أتينا على موقف بعض علماء العربية القدماء من الترافق يبقى في الصورة موقف الكثرة الغالبة من اللغويين القدماء ، وهؤلاء قالوا بوجود الترافق في اللغة ورووا لنا في المعاجم مجموعة كبيرة من الألفاظ المترادفة تصل في أحياناً كثيرة إلى حد المفلاحة ، حتى أن منهم من يقول : أن للأسد نحو ٥٠٠ كلمة وللشلعل نحو ٢٠٠ كلمة وللداهية نحو ٤٠٠ كلمة .

و قبل أن نختتم كلامنا عن موقف علماء العربية القدماء من الترافق يجعل بنا أن نشير إلى أن مرجع ما رأيناها من تباين في الآراء يعود إلى اختلاف المناهج بين المارسين .

فأبوا علي الفارسي وغيره من المنكرين للتراويف رأوا أن كل كلمة لها لون من المعنى ومن ثم لا ترافق بالمعنى الحقيقي .

وأما القائلون بوجود الترافق في اللغة كابن خالويه وأمثاله فقد أحملوا الفروق في المعاني ونظرموا إلى الكلمات في عصر من العصور دون اعتبار لما كانت عليه من قبل .

الترافق عند أبي زيد : يعني أبو زيد بظاهرة الترافق في اللغة ، وحرص على جمع المزيد من الفاظها والمعانٍ في طلبها مما يظهر رصده لهذه الظاهرة اللغوية وعنياته الفاتحة لجمع مفرداتها^١ .

وقد كان شيخنا أحد الأئمة الذين الفوا رسائل جمعت فيها الألفاظ الخاصة بموضوع معين ، ووصلنا منها الكتب التالية : **المطر واللبن والهمز** ، وقد ضمت هذه الكتب في طياتها عدداً من الألفاظ المترادفة .

وبالاضافة إلى ما روي عن أبي زيد من الترافق في مثل هذه الكتب ، فقد تجمعت لدى ثروة أخرى من الترافقات جمعتها من روايات أبي زيد في معجم لسان العرب .

وأول ما تجدر الاشارة إليه أننا لم نقع على رأي صريح لأبي زيد في الترافق ومعناه ، وكل ما وصلنا أمثلة رويت عنه ، مما يحتم علينا مناقشة هذه الأمثلة لاستخلاص رأي ومنهج أبي زيد في الترافق .

وجدنا أبي زيد في بعض الأحيان – يلتمس فروقاً طفيفة بين معانٍ الألفاظ وذلك بالطبع يخرجها من الترافقات لأن شرط الترافق الحقيقي هو الاتriad التام في المعنى ، بحيث يمكن التبادل بينها في أي سياق .

ومثال ذلك قوله في أسماء المطر^٢ : « أول أسماء المطر القحط وهو أصغر المطر والرذاذ فوق القحط والطش فوق القحط والرذاذ ». .

وقوله^٣ : « والمحتفل المطر الع حيث المدارك والسعَ مثله غير أن السُّجَّ ربما لم يتبن قطره ». .

وجاء في كتابه **الهمز قوله^٤** : « نأت الرجل ينشت نثيّتاً ونهاً ينهاً نهيتاً وهما واحد غير أن النثيّتاً أجهزهما صوتاً ». .

(١) انظر البحث ٢١/

(٢) البلقة في شذور اللغة / ١٠٢ ، ١٠٤

(٣) ٤/

وقال أبو زيد في لسان العرب^١ : « قرَطْ فلان فلاناً وهم يقارطان المدح اذا مدح كل واحد منها صاحبها ، ومثله يقارضان بالضاد ، وقد قرَضه اذا مدحه او ذمَّه ، فالقارط في المدح والخبر خاصة ، والقارض في الخبر والخبر » .

لكن أبا زيد في التماسه لهذه الفروق ، لم يستند إلى نصوص أو شواهد تبين فيها استعمالات تلك الألفاظ ونستدل على ما يمكن أن يكون بين الدلالات من فروق ، وذلك بطبيعة الحال يفقد هذا العمل كثرا من أهميته .

ومن الملاحظ أن أبا زيد في منهجه في الترداد قد نظر إلى اللغة بوجه عام بصرف النظر عن الفروق الناشئة عن اختلاف اللهجات ، ومن الأمثلة التي رواها في ذلك قوله : « التوصيص هو أن تتنقب المرأة فلا يرى إلا عينها ، وتميم تقول هو التوصيص باللواز ، وقد رصحت ووصفت »^٢ .

قام منهج أبي زيد في الترافق على التوسيع والبالغة في ادخال كثير من المفردات في الترافق ، دون محاولة ايجاد فروق في دلالاتها ، ونحن لا نستطيع أن ننكر أو نثبت ترافق كثير من تلك الألفاظ لأنها تفتقر إلى السياق لورودها خالية من التصوص ، ونحن نعلم أن استعمال اللفظ في نص يبعث فيه الحياة ، وإن الحكم على دلالة اللفظ في نص ما أدق وأوثق مما لو استقيمه من المعاجم وحدما .

ومن أمثلة الترادف عند أبي زيد قوله :

« درب دربأ ولهج لهجاً وضرى ضرى اذا اعتاد الشيء وأولع به »^٢ قوله^٤ :
 « شيخت الرجل تشيخاً وسمعت به تسميعاً ونددت به تنديداً اذا فضحته »^٥ .
 قوله^٦ : « ماست بين القوم وأرشت وأرشت بمعنى واحد »^٧ .

وقال أبو زيد^٦ : « حفشت السماء تحفشن حفشاً وحشكت تحشتك حشكـاً وأغبت
تعـبـي اغـيـاءـ فـهـيـ غـيـبـةـ وـهـيـ الغـيـبـةـ وـالـحـفـشـةـ وـالـحـشـكـةـ مـنـ المـطـرـ بـمـعـنـيـ وـاحـدـ » .

وقال^٧ : « أشر الرجل أشراً وأرن أرناً وهما واحد وهو النشاط » .

لكننا نستطيع أن نستبعد بعضاً من تلك الألفاظ المتراوحة المروية عن أبي زيد نرجح أن يكون اختلاف الصورة بينها نتيجة تطور في بعض أصواتها ما لم يقم الدليل في المستقبل على أن التباين حدث بسبب اختلاف اللهجات فأننا والحالة هذه نقبلها لأن أبي زيد في نظره إلى التراويف يحمل اهتماماً تاماً ما قد يكون بين الكلمات من اختلاف اللهجات .

ونكتفي ببيان نور ورد بعض الأمثلة التالية :

١ - الدال والباء

قال أبو زيد : يقال هو حسن الفد وحسن الفت بمعنى واحد « ^ .

قرآن / (۱)

رسمن / العرب لسان (۲)

٦٣) المجمع السابق / درب . شبيه . ماس . حفش

٩) كتاب المهرز - أبو زيد الانصاري /

٨) المُرجِمُ الْمَابِقُ / قَنْتُ

وقال : « هرد ثوبه وهرته اذا شقه » ^١ .
 وقال : « ستة الثوب وستة الثوب بمعنى » ^٢ .
 وعلوم أن الدال كالناء ، فهما نطعيتان متبجانستان اتفقنا في المخرج وفي النسدة والاصمات
 والانفتاح والاستفال وانختلفتا في الجهر والهمس ، فسهل حدوث تطور بينهما .
 وعلى هذا الأساس ، فإن الأمثلة السابقة ليست الا كلمات ذات أصل واحد تطورت صورتها
 فهي لا تعتبر من المترادفات حسب المعنى الدقيق للترادف .

٢ - العين والفين

قال أبو زيد ^٣ : « عهب الشيء وغبه بالفين المجمعة اذا جهله » .
 وقال ^٤ : « رجل ممعط ومنقط اي طويل » .
 ولما كانت العين والفين حلقيتين مجهورتين متفقتين في المخرج والجهر والاصمات والانفتاح ،
 فقد ساعد كل ذلك على حدوث تطور فيهما ، ومن أجله عدت هذه الأمثلة كلمات ذات أصل واحد
 وليس من المترادفات .

٣ - اللام والنون

قال أبو زيد : « نمته نمته نمما ولقته لقتة لقا كتبته » .
 وقال : « لقت الناس القسمهم ونقسمهم أنفسهم وهو الأفساد بينهم وأن تسخر منهم
 وتلقيهم الألقاب » .

واللام والنون ذلكيتان من مخرج واحد فهما اختنان ، ويجمع بينهما من الصفات الجهر
 والانفتاح والاستفال والذلقة والوضوح السمعي ، وبذلك سهل وقوع التطور فيهما ، وعليه فهذه
 الألفاظ لا تعد من الترادف .

٤ - اللام والميم

قال أبو زيد : « الرؤال والرؤام : اللعب » .
 ومع اختلاف اللام والميم في المخرج حيث ان اللام ذلقيه والميم شفهية الا أنها اتفقنا بالجهر
 والانفتاح والاستفال والوضوح السمعي ، فامكن وقوع تطور بينهما ، جعلنا نستبعد هذه اللقطة
 من الترادف .

٥ - الباء والميم

قال أبو زيد ^٨ : « صتب الرجل من الماء يصاب صابا ، وصئ منه يصام صاما وهم واحد
 وهو شربه من الماء أو غيره من الأشربة » .

(٢.١) لسان العرب / هرد ، ستي

(٤.٣) المرجع السابق / مهب ، ممعط

(٥) المرجع السابق / لق

(٦) المرجع السابق / نق

(٧) المرجع السابق / رال

(٨) كتاب الهمز / ١٦

تقارب الصوتان (الباء والميم) في المخرج والصفة حيث إنها من الأصوات الشفوية والمجهورة ، لذلك وقع التطور في هذه اللفظة فآخر جت من الترافق .

٦ - الفاء والياء

قال أبو زيد ^١ : سوافت الرجل أمري تسويقاً أي ملكته وكذلك سومته ، والفاء والميم شهويتان اتحدتا في المخرج واشتركتا في الانفتاح والاستفال والذلقة ، وعليه سهل وقوع التطور فيهما ، فاستبعدت اللفظة من الترافق .

٧ - اختلاف ترتيب الأصوات

قال أبو زيد : « يقال هو على تلك الدجمة والدمة أي الطريقة ^٢ » . وقال ^٣ : « دقت فمه أدقمه دقاً إذا كسرت أسنانه وقالوا أدقمه دقاً وعما واحد » . وهكذا يتبين لنا أن هذه الألفاظ ذات أصل واحد ، تطورت صورتها باختلاف ترتيب أصواتها ، وليست هذه الألفاظ بمترادفات حسب المعنى الذي أشرنا إليه للتراافق .

ثانياً : أبو زيد والمعاجم اللغوية

عني أبو زيد الأنصاري برواية اللغة ونحوها ، وتوفر على تدوينها وشرح مفرداتها ، فقد أفنى سنوات من عمره المديد في الارتحال إلى الbadia ، يجوب صحراءها ويتنقل بين قبائلها ، يشافه أعرابها ، ويدوّن ما يسمعه ، ثم يعود إلى البصرة وقد نفذت قناني حبره ، وامتلأت صحائفه بما جمعه من الفاظ اللغة ونحوها ، وقد تكررت رحلاته إلى الbadia واشتهر بها حتى أجمعـت كتب الطبقات على عدـه من كبار اللغويـن الذين رووا لنا جـلـ ما في أيدـينا من اللغة .

كان أبو زيد في المرحلة الأولى يسجل ما يسمعه من الأعـراب أو ياخـذه عن شـيوخـه فيـ صـحـائـفـه دون تـسـيقـ معـينـ ، ثـمـ جاءـتـ مرـحلـةـ ثـانـيـةـ ، وـهـيـ تـفـريـغـ ماـ جـمـعـهـ فيـ كـتـبـ أوـ رسـائـلـ يـدـورـ كلـ مـنـهـ حـوـلـ مـوـضـعـ معـينـ أوـ فـكـرـةـ مـحدـدـةـ كـمـاـ فيـ كـتـابـ المـطـرـ وـالـبـنـ وـالـأـبـلـ وـالـشـعـرـ وـالـوـحـوشـ وـغـيرـ ذـلـكـ .

وقد كان أبي زيد فضل في اشتئاره بتأليـفـ الكـتـبـ فيـ مرـحلـةـ جـمـعـ اللغةـ حيثـ كانـ منـ أكثرـ عـلـمـاءـ البـصـرـةـ تـالـيـفـاـ لـلـكـتـبـ فـلـغـ ماـ الـفـهـ مـنـهـ خـمـسـةـ وـخـمـسـينـ مـصـنـفـاـ عـلـىـ نـحـوـ ماـ بـيـنـ فـيـ الفـصـلـ الـأـوـلـ مـنـ هـذـاـ الـبـابـ .

وـجـدـيـرـ بـالـذـكـرـ هـنـاـ أـبـاـ زـيدـ وـمـنـ فـيـ طـبـقـتـهـ مـنـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ بـكـثـرـةـ تـالـيـفـهـ لـشـلـ هـذـهـ الـكـتـبـ قـدـ سـاـهـمـواـ فـيـ وـضـعـ الـلـبـنـةـ الـأـوـلـىـ لـلـمـعـاجـمـ الـعـرـبـيـةـ وـمـهـنـواـ السـبـيلـ لـنـشـاتـهـاـ .

وـنـحـنـ أـذـاـ اـسـتـعـرـضـنـاـ جـهـودـ مـؤـلـفـيـ الـمـعـاجـمـ الـعـرـبـيـةـ نـرـىـ أـنـهـ أـعـلـىـ عـظـيمـ فـضـلـهـ فـيـهـاـ .ـ كـانـتـ تـؤـسـسـ عـلـىـ جـهـودـ مـنـ سـيـقـوـهـ مـنـ عـلـمـاءـ الـلـغـةـ مـنـ أـمـتـالـ أـبـيـ زـيدـ وـمـنـ فـيـ طـبـقـتـهـ ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـجـعـلـ جـهـدـ صـاحـبـنـاـ فـيـ الـمـعـجمـ الـعـرـبـيـ بـارـزاـ وـشـاهـدـاـ لـهـ بـالـفـضـلـ عـلـىـ مـرـزـ الـزـمـنـ .

١) لسان العرب / سوف

٢) المرجع السابق / دمج

٣) التوادر في اللغة / ١٩٧

وفي ظننا أنه ليس يكفي هنا أن نقف عند هذا الحد في بيان آثار أبي زيد في المعجم العربي . إننا لو فعلنا ذلك لم نكن إلا مرددين لما يقوله الباحثون والدارسون من قبل ، لهذا رأينا أن نجعل هذا الآثر لأبي زيد في المعجم حقيقة ملموسة ، ولتحقيق هذا الفرض قمت بجمع روايات أبي زيد في معجم العربية الأشهر – وهو لسان العرب – ثم أحصيتها فالفحص ثمانية عشرة وستمائة والـ **رواية ١٦١٨** . وتلك خطوة جديدة في النظر في آثار أبي زيد ما نظن أن أحداً قام بها من قبل .

هذه الثروة اللغوية الضخمة لأبي زيد في معجم واحد خير دليل على أنه كان مصدراً هاماً **للمعجم العربي** .

بقي أن أشير إلى الملاحظات السريعة التالية على روايات أبي زيد في معجم لسان العرب :

١ – وجدت أبا زيد في هذه الروايات يعني **بالإشارة إلى الألفاظ المغربة** ومن ذلك :

أ – اشارته إلى أن لفظة محزرق نبطية وقد وردت في قول الأعشى :

حتى مات وهو مُحَزَّرَق^١

ب – ومن الألفاظ التي عربت من العبرانية هيـت لك ، قال أبو زيد :

« هيـت لك بالعبرانية هيـتـالـجـأـيـعـالـأـعـرـبـهـالـقـرـآنـ »^٢

ج – ودخلت لفظة الصحـنـةـالـعـرـبـيـةـ منـالـفـارـسـيـةـ ، قال أبو زيد :

« الصـحـنـةـفـارـسـيـةـوـتـسـمـيـهـالـعـرـبـالـصـيـرـ »^٣

كما دخلت العربية أيضاً (خاش ماش) بمعنى قماش الناس وقيل قماش البيت وأنشد أبو زيد :

صَبَّحَنَ أَنْمَارَ بْنِي مِنْقَاشَ
خَوْصَ الْعَيْوَنِ يَثْبَسَ الْمَشَاشَ
يَحْمِلُنَ صَبِيَانًا وَخَاشَ مَاشَ

قال : سمع فارسيته فاعربها^٤ .

٢ – ينفرد أبو زيد بروايات فينقلها عنه أصحاب المعاجم وعلماء اللغة . ومثال ذلك ما رواه الأزهري عن أبي زيد أنه حكى عن أعرابي قرأ : حبـط عملـه بفتح الـباءـ ، وعقب الأزهري بقوله : « لم أسمع هذا لغيره^٥ » . وقال ثعلب : « لا أعرف البدـاوـةـ بالفتح الا عند أبي زيد وحده^٦ » .

ومن المفيد أن نذكر هنا تقديم أصحاب المعاجم لروايات أبي زيد في كثير من الأحيان وتوثيقهم له .

٣ – يهتم أبو زيد في هذه الروايات بالتنبيه على اللهجات العربية ، كما كان شديداً العناية بلغات العرب ، ووصف أنه صاحب معرفة فيها .

ومن أمثلة اشارته الى المهجات العربية ما انشده لعلياء بن ارقم :

يَا قَبَّحَ اللَّهُ بَنِي السَّعْلَةِ
عُمَرُ بْنُ يَرْبُوعَ شِرَارَ النَّاثِ
لَيْسُوا أَعْفَاءَ وَلَا أَكِيَّاتِ

قال : أراد الناس وأكياس وهي لغة لبعض العرب ^١ . وقد اشار السيوطي الى ان ذلك يدعى الوتم في لغة اليمن ^٢ .

وروى أبو زيد قال : « يصئص الجرو تيصيصا اذا فتح عينيه لغة في : جصئص لأن العرب يجعل الجيم ياء فتقول للشجرة شيرة وللجنحاجات جثيات » ^٣ .

وقال أبو زيد : الكلابيون يقولون :

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا طَوْئِي
الْوَاوُ قَبْلَ الْهَمْزَةِ وَتَعْيِمُ تَجْعَلُ الْهَمْزَةَ قَبْلَ الْوَاوِ فَتَقُولُ طَوْئِي ^٤

٤ - جمع كثيرة من الروايات التي تشهد بتوسيعه في الرواية ، ومنها قول ابن دريد : « أجاز أبو زيد رث وارت وقال الأصمعي رث بدون الف ^٥ » . وقال أبو حاتم : « قال أبو زيد مرة : رجل أنتط ، فقلت له أنتقول أنتط ؟ قال : سمعتها ^٦ » .
وقال أبو زيد : « محقق الله وأمحقه وأبى الأصمعي الامحقة ^٧ » .

٥ - جاءت روايات كثيرة شاهدة على معرفة أبي زيد الواسعة بكلام العرب ، ومثال ذلك : قال أبو زيد ^٨ : « يقال للناقة بعد البُزُول شارف تم عَوْزَمَ ثم لِطَلِطَ ثم حَجَمَرَشَ ثم جَمَعَهُ ثم ذَلِقَهُ اذا سقطت أضارسها هرما » .

٦ - يشير أبو زيد الى المشترك اللغطي وحرروف التضاد والترادف ، وقد بيّنت ذلك في مكانه من البحث ويعني بظاهرة الاتباع في اللغة ، فقد جاء قوله : « يقال جوعا له ونوعا ، وجوسا له وجودا ^٩ » .

٧ - تردد في هذه الروايات ذكر كتب أبي زيد التالية : التوادر في اللغة ^{١٠} ،
الهمز ^{١١} ، الشجر ^{١٢} ، المطر ^{١٣} ، المصادر ^{١٤} ، حيلة ومحالة ^{١٥} ، الفنم ^{١٦} ، وكتاب
الأمثال ^{١٧} .

١) لسان العرب / نوت

٢) انظر المزهر - السيوطي ٢٢٢/١

٣) لسان العرب / يصعى ، ملأ

٤) المرجع السابق / رث ، ثلط

٥) المرجع السابق / معن

٦) المرجع السابق / دمن

٧) المرجع السابق / نوع

٨) المرجع السابق / بكم ، حتم ، قهم ، قوم ، دنا ، ضوا ، ضنط ، شمل ، لفخ ، شقق ، وجن ، جوا .

٩) المرجع السابق / شاب ، ثاج ، بأس ، داذه ، دال ، زام ، زرم ، قثا .

١٠) المرجع السابق / عضض ، غرل ، ثام ، دمده ، جها ، غزر .

١١) المرجع السابق / شاب ، ثاج ، بأس ، داذه ، دال ، زام ، زرم ، قثا .

١٢-١٣) المرجع السابق / عضض ، غرل ، ثام ، دمده ، جها ، غزر .

٨ - يهتم أبو زيد بالإشارة إلى التوادر مما يقودنا للحديث عن أثر أبي زيد في هذه الظاهرة اللغوية التي اشتهر بها .

ثالثا : أبو زيد والتوادر

مكانة أبي زيد في التوادر

اشتهر أبو زيد بكثرة تنقلاته في الbadia ، ومشافته للأعراب ، وقد عني أثناء رحلاته بتتبع الألفاظ النادرة وتسجيلها في صحفاته ، حيث أودعها كتابه المشهور « التوادر في اللغة » .

وقد أكثر علماء اللغة في عصر أبي زيد من التأليف في التوادر ، وذكر أصحاب الطبقات عشرات من الكتب المؤلفة في هذه الظاهرة اللغوية ، حتى لا نكاد نجد عالماً من علماء اللغة ورواتها الذين عاشوا في هذا الدور إلا وله كتاب في التوادر أو كتابان أو أكثر .

وبلغت كثرة الكتب المؤلفة فاننا وجدنا توادر أبي زيد علماً بينها اشتهر أمرها على مر الأيام والمصور ، وأكّب عليها الأعلام من علماء اللغة يهملون من معينها ، ويكتفي للتدليل على علو مكانتها أن نشير لما ذكره أصحاب الطبقات من أن أبو العباس الرياشي كان يحفظ الشعر الذي في التوادر - كما يحفظ السورة من القرآن .

ومع أن العالم اللغوي المشهور أبو علي الفارسي - شيخ ابن جنـي - لم يكن راضياً عن توادر الـلـحـيـانـيـ حـيـنـ ذـاـكـرـهـ بـهـ تـلـمـيـذـهـ ، فـاـنـهـ كـانـ يـكـادـ يـصـلـ بـتـوـادـرـ أـبـيـ زـيـدـ اـعـظـامـاـ لـهـ ^١ ، وقد قال لـلـتـلـمـيـذـهـ وـقـتـ قـرـاءـتـهـ اـيـاهـ عـلـيـهـ « لـيـسـ فـيـهـ حـرـفـ الـاـ وـلـأـبـيـ زـيـدـ تـعـتـهـ غـرـضـ مـاـ ^٢ » مما يـشـيرـ إـلـىـ فـهـمـ أـبـيـ زـيـدـ الدـقـيقـ لـتـلـكـ الـظـاهـرـةـ الـلـغـوـيـةـ وـحـسـنـ اـخـتـيـارـهـ لـمـفـرـدـاتـهـ وـتـضـلـعـهـ بـأـسـرـارـهـ ، وـذـلـكـ - فـيـ طـنـنـاـ - مـبـعـثـ عـظـمـ مـكـانـتـهـ وـعـلـوـ شـانـهـ وـاشـتـهـارـهـ فـيـ ظـاهـرـةـ التـوـادـرـ .

وقد أكد ابن جنـيـ قولـهـ شـيـخـهـ السـابـقـةـ عـنـدـمـاـ عـقـبـ عـلـيـهـ فـقـالـ :ـ وـهـ كـذـلـكـ لـاـنـهـ مـحـشـوـةـ بـالـنـكـتـ وـالـأـسـرـارـ ^٣ .

وقد ساعد أبو زيد في جمعه لـلـفـاظـ التـوـادـرـ كـثـرـةـ اـرـتـحـالـهـ إـلـىـ الـبـادـيـةـ وـمـعـرـفـتـهـ الـوـاسـعـةـ بـكـلامـ الـعـربـ وـلـغـاتـهـ .

ولعل شهرة توادر أبي زيد على مر المصور إلى يومنا هذا أنها تمثل لغة الـبـادـيـةـ فيـ الـجـاهـلـيـةـ وـصـدـرـ الـإـسـلـامـ فـيـ الـفـاظـهـاـ وـعـبـارـاتـهـاـ وـأـمـثـالـهـاـ وـأـسـالـيـبـهـاـ تـمـثـلـاـ جـيـداـ .

وهي في مجموعها أثبتت وأوسعت نص لغوي وصل اليـنا عن المرحلة الأولى لـجـمـعـ الـلـغـةـ وـتـدوـينـهـاـ فـيـ أـوـاـخـرـ الـقـرـنـ الثـانـيـ الـهـبـرـيـ وـأـوـاـئـلـ الـثـالـثـةـ مـنـ الـهـجـرـةـ ،ـ وـهـيـ بـذـلـكـ تـعـدـ مـثـلـاـ جـيـداـ لـلـخـطـةـ الـبـادـيـةـ الـتـيـ اـتـبـعـهـاـ الرـوـاـةـ وـالـعـلـمـاءـ فـيـ بـادـيـهـ الـأـمـرـ لـجـمـعـ الـلـغـةـ وـتـدوـينـهـاـ .

ويهمنـاـ الـآنـ أنـ نـقـدـمـ تـحـلـيـلاـ لـنـظـرـةـ أـبـيـ زـيـدـ لـهـذـهـ الـظـاهـرـةـ الـلـغـوـيـةـ -ـ التـوـادـرـ -ـ وـنـتـعـرـفـ منهـجـهـ فـيـهـ وـتـقـسـيـرـهـ لـهـاـ مـنـ خـلـالـ الـثـرـوـةـ الـلـغـوـيـةـ الـتـيـ روـاـهـاـ أـبـوـ زـيـدـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ .

وسوف يتخلل عرضنا أمثلة من النوادر عند بعض علماء اللغة ، وذلك بقصد المقارنة والتوضيح .

تفسير ظاهرة النوادر في اللغة

بحثت في كتاب **النوادر** لأبي زيد عن تفسير لهذه الظاهرة اللغوية ، فلم اعثر على طلبي ، فقد خلا الكتاب – كما علمنا – من مقدمة يبين فيها شيخنا تفسيراً لهذه الظاهرة .

لكني من خلال دراستي لهذه الأمثلة الكثيرة المروية عن أبي زيد والتي اعتبرت نوادر تبين لي أن هذا التعبير اللغوي نادر ورد بمعنى خلاف الفصيح المعروف على الأغلب .

وأخذت أبحث من خلال هذه الأمثلة عن تعليل لهذه الظاهرة فوجدت ما يلي :

١ - **نوادر المخالفة القياس** : إن كثيراً من هذه الالفاظ اعتبرت نادرة لمخالفتها للقياس وخروجها عليه .

وقد وردت أمثلة على ذلك في **الجمع والمصادر والالفعال والتصفيير والنسب** . وسوف أكتفي بأن أسوق بعض الأمثلة المروية عن أبي زيد لتقرير ما ذهبت إليه من الأذهان :

أ - **فمن نوادر الجموع التي وردت في نوادر أبي زيد وخرجت على القياس ما أنشده أبو زيد للأسود بن يعفر من قوله^١**

فَغَيْظَنَاهُمْ حَتَّى أَتَى الْفَيْظَ مِنْهُمْ قُلُوبًا وَأَكْبَادًا لَهُمْ وَرَئِسًا جَمْعٌ (رِئَنَةٌ) عَلَى (رِئَنَةٍ) وَالْقِيَاسُ (رِئَنَاتٌ)

وروى أبو زيد في أحد أبواب **النوادر** قال : « رجل مقتولين ، ورجلان مقتولين ورجال مقتولين وكذلك المرأة والنساء وهو الذي يخدم القوم بطعم بطنه وقال عمرو بن كلثوم :

تَهَدَّدَنَا وَأَوْعِدَنَا رُوَيْدًا متى كنا لامّك مقتولين

قال أبو الحسن : القياس وهو مسموع من العرب أيضاً فتشدّع الواو من مقتولين فتقول مقتولين فيكون الواحد مقتني فاعلم مثل مصطفى فاعلم ومصطفين اذا جمعت^٢ » وقد اعتبرت مقتولين من النوادر لخروجها على القياس .

ب - **ومن نوادر المصادر التي خرجت عن القياس :**

قال أبو زيد : « **وَقَالُوا عَلَيْقَ يُعلق علوقا ولم يجيء المصدر منه على قياس^٣** » .

وروى أبو زيد في باب آخر من **النوادر** : « **وَمَجَلَّتْ تَمَجِيلْ مَجَلا** » وعقب أبو الحسن بقوله : « القياس عند أهل العربية وهو شائع في كلام العرب أن يقول : مجلت يده تمجل ماجلا^٤ . »

١) المرجع السابق / ١٨٨

٢) النوادر في اللغة / ٢٤

٣) المرجع السابق / ١٦٩ ، ١٧٢

وفي مكان ثالث من **النواود** روى أبو زيد : « وتشزَّنَ الرجل صاحبه تشزيناً إذا تورَّكه وصرعه والمصدر على القياس تشزَّناً ^١ » .

ج - ومن نواود الأفعال ما رواه أبو زيد عندما قال ^٢ : « حَسِبَ يَحْسِبُ وَيَتَسِّبِ يَتَسِّبِ » . والقياس أن يقال **حَسِبَ** يحسب ويَتَسِّبِ يَتَسِّبِ ، لأن كل فعل مكسور العين فان مستقبله يأتي بفتح العين نحو : عَلِمَ يَعْلَمُ وَكَبَرَ يَكْبَرُ وَعَجَلَ يَعْجَلُ باستثناء أربعة أحرف من الفعل السالم جاءت بالفتح والكسر ، روى أبو زيد منها الفعلين المتقدمين وأصناف الفراء أيضاً إليها قوله : « وَيَتَسِّبِ يَتَسِّبِ وَنَعِمَ يَنْعِمُ وَيَنْعِمُ ^٣ » .

وجدير بالذكر أن ورود (يَفْعُلُ) يكسر العين وفتحها حدث نتيجة تداخل اللغات في مرحلة تدوين اللغة ، فقد روى أبو زيد أن لغة عليا مضط **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** و**يَحْسِبُ** **يَحْسِبُ** و**يَسْفَلُ** **يَسْفَلُ** **يَسْفَلُ** **يَسْفَلُ** ، وهكذا سمعت الصيغتان في مرحلة تدوين اللغة فتداخلتا وقيل ينس **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** **يَتَسِّبِ** **يَحْسِبُ** **يَحْسِبُ** **يَحْسِبُ** **يَحْسِبُ** .

د - ومن نواود التصغير التي جاءت على غير قياس ما انشده أبو زيد قال :

وقال سليمان بن رببعة **الضَّبَّةِ** أو سليم :

زَعَمْتَ تَمَاضِرَ أَتَنْسِي إِمَّا آتَمْتَ يَسِّدَّدْ أَبَيْتُوهَا الْأَصَاغِرُ خَلَّتِي صَفَرَ الْأَبْنَاءِ عَلَى أَبْيَنِينِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ ^٤ .

وقال أبو زيد : « وَقَالُوا فِي تَصْفِيرِ الْحُبَّارِيِّ حُبَّارَى وَقَالُوا شَكِيعاً مُثْلَهَا ، والقياس أن يقال حبيرة وشكيعاً ^٥ .

ه - وما اعتبر نادراً حلف ياء النسب على غير قياس :

انشد أبو زيد قال : وقال ابن الرقيات :

بَكَّيْ بِسَدَّمِكَّ وَأَكَّفَّ الْقَطْرَ ابنَ الْحَوَارِيِّ الْمَالِيِّ الَّذِي ذُكِرَ

وقال الراجز : قَدَّنِي مِنْ نَصْرِ الْحَبَّيْبَيْنِ قَدَّ

أَرَادَ : الْحَوَارِيِّ وَالْحَبَّيْبَيْنِ فَحَذَفَ ياءَ النسب ^٦ .

ومن أمثلة ما رواه بعض أئمة اللغة نادراً لخروجه على القياس :

ا - قال أبو عمرو ^٧ : « رَسَكَنَ يَرَسَكَنَ » ، وكان المنتظر أن يقال **رَسَكَنَ يَرَسَكَنَ** ، لأن كل فعل ماضيه على فعل مفتوح العين فان مستقبله على القياس يأتي بالضم أو بالكسر ، نحو ضرب يضرب وقتل يقتل ولا يأتي مستقبله بالفتح الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق الستة ، وليس الفعل الذي رواه أبو عمرو على ذلك ، فجاء نادراً .

١) **النواود في اللغة** / ٢٠٦

٢) **الرجع السابق** / ٢٢٥

٣) **اصلاح النطق - ابن السكبت** / ٢١٦

٤) **النواود في اللغة** / ٢٢٥

٥) **الرجع السابق** / ١٢١ ، ٢١٠

٦) **الرجع السابق** / ٢٠٥

٧) **اصلاح النطق - ابن السكبت** / ٢١٧

٨) **اصلاح النطق - ابن السكبت** / ٢١٧

ب - **وقال ابن خالويه**^١ : « يقال أكب لوجهه وكبّه الله » ، وقد جاء هذا الحرف نادراً لأن القياس يوجب أن يقال كب لوجهه وأكبّه الله .

ج - **وروى ابن السكبيت**^٢ أحرفا جاءت نوادر منها قوله (مسعطف) وكان القياس أن يقال (مسعطف) لأن ما كان على مفعّل ومفعّلة فيما يتعلّق فهو مكسور الميم نحو مخّرّز ومقطّع ومقطّع وميّسّع وميّسّعة وميّدّة وميّدّة وميّخّلة .

د - **وزعم الكسائي**^٣ أنه سمع (مَوْجَل) وسع الفراء (مَوْضَع) من قوله وضعت الشيء مَوْضَعَه وكان القياس أن يقال : مَوْجِلاً وَمَوْضِعًا لأن ما كان على فَعَلَّ مَا كان فاء الفعل منه واوا فان مصدره اذا كان على مفعّل مكسور ، نحو قوله : وَجَلَ يَمْوِجَلَ وَجَلَّا وَمَوْجِلاً .

ه - ومن مخالفة القياس ما رواه السيوطي من قول الشاعر :

الحمد لله العلي الأجل

حيث أضاف بأن القياس الأجل بالادغام^٤ .

هذه الأمثلة السابقة ومشيلاتها تظهر اتفاق أئمة اللغة مع أبي زيد في منهجه في النوادر كما تبين صحة نظرته إليها على أساس مخالفة اللّفظ للقياس وخروجه عليه .

٢ - **نوادر لقلة الاستعمال** : ووردت الفاظ أخرى في نوادر أبي زيد واعتبرت نادرة لقلتها في الاستعمال ومعلوم أنه اذا تعارض السمع والقياس نطقت بالسموع على ما جاء عليه لأنك انما تنطق بلغة العرب ، وتحتى في جميع ذلك أئمتهم ، ويدلنا هذا على مدى قوّة الاستعمال وسطوته ، كما يبين أن مخالفة القياس والخروج عليه لا تحل لنا مشكلة النوادر ولا تفسرها وحدما ومن هنا يأتي دور الاستعمال ليوضح لنا هذه الظاهرة اللغوية .

وعلامة كون اللّفظة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثق بعربتهم لها كثيرا ، أو أكثر من استعمالهم لفظة بمعناها ، فالمراد بالفصيحة ما كثّر استعماله في السنة العرب ، وعليه فالنادر ما قل استعماله ، وكلما كثّر استعمال اللّفظة وعرفها جمهور أكبر من العرب وشاعت على السنتهم كانت أجود وأفصح ، وعلى العكس من ذلك فكلما قل استعمال اللّفظة وعرفها ناس من العرب قليلاً كانت نادرة مجهولة ، وعلى هذا فكثرة الاستعمال أو قلّته هو المعيار الصحيح الثابت الذي به يمكن لنا أن نحكم أن هذا اللّفظ فصيحة معروفة وأن ذلك اللّفظ نادر مجهول .

وقد بنى البصريون مذهبهم على أساس الشائع في الاستعمال واعتبروا ما قل شاذًا ونادرًا ولم يقيسوا عليه .

ومن الأمثلة التي جاتت نادرة عند أبي زيد لقلتها في الاستعمال ما يلي :

١ - انشد أبو زيد لغريبة بن الأشيم قوله^٥ :

فإذا سَمِعْتَ بِأَنْثَنِي قَدْ بِعْتَهُ بِوَسَالْ غَانِيَةَ فَقُلْ كُلْ بَذْبَ

١) المزهر - السيوطي ١/٢٢٨

٢) اصلاح المطلق / ٢١٨

٣) المراجع السابق / ٢٢٠

٤) المزهر - السيوطي ١/١٨٦

٥) النوادر في اللغة / ٧٢

والكذب الكاذب لكنه يقل في الاستعمال لأن يندر ورود ثلاث عينات وبذلك شذ عن الأبنية التي حكها سيبويه في كتابه ، وقد عقب أبو علي على هذا الحرف قال : « وهذه الكلمة كذب يحكي فيما شذ عن سيبويه في الأبنية ، ولو لا نفأ أبي زيد وسكون النفس إل ما يرويه لكان ردّها منهبا ^١ » .

ب - وانشد أبو زيد :

أمسوا كمذعورة الأروى اذ افزعها عُرْجُ الضباع تُبارى الأسد والذئب
قال أبو زيد: جمع ذببا على ذئب ، قال أبو الحسن : فعل وفيه يقل جدا في الكلام ولا
أعلم محفوظا ^٢ .
ومن هنا جاءت الندرة كما ترى .

ج - وانشد أبو زيد قال : وقال ذو الخرق الطهوي ، جامل ^٣ :
يَقُولُ الْخَنَا وَابْقَسُونَ الْعَنْجَمَ نَاطِقًا إِلَى رَبَّنَا صَوْتُ الْحَمَارِ الْيَنْجَدَعُ
قد أدخل (ال) على الفعل وهذا مخالف للاستعمال فكان نادرا .

د - وروى أبو زيد : صلح صلاحا وصلوحا وفسادا وفسودا ، وانشد ^٤ :
وَكَيْفَ بِأَطْرَافِي إِذَا مَا شَتَّمْتَنِي وَمَا بَعْدَ شَتَّمَ الْوَالِدِينْ صَلْوَحْ
المشهور المستعمل من هذه المصادر : (صلاح) و (فساد) . أما (صلوح) و (فسود)
فلم يكثر استعمالها ، فسقطا لذلك وكانا من النادر .

و زاد أبو مسحل الأعرابي في نوادره أيضا ^٥ : ذهب ذهابا وذهبوا وكسرد كسادا
وكسردا وفسادا وفسودا وانشد :

كَسَدَنَ مِنْ الْفَقَرِ فِي قَوْمِهِنَ فَقَدْ زَادَنَ سَوَادِيْ كَسُودَا

ومن أمثلة ما عدها أئمة اللغة نادرا لقلته في الاستعمال ما جاء في نوادر أبي مسحل قال :
« ويقال : قد أنتنَ اللحم ونتنَ فمن قال : نتن قال مينتن ومن قال : أنتن قال: مينتن وهي
أجودهما و قالوا منخر ومنخر ولم نجد في الكلام على مغيبل إلا منخر ومنتن ، وهما
نادرتان ^٦ » .

وهكذا فقد عد اللفظان من النادر لقلة الاستعمال .

١) العجة في علل القراءات السبع - أبو علي الفارسي ٢٢٨/١

٢) التوادر في اللغة ١٨٤/٦٧

٣) اصلاح المطلق ١١٠

٤) كتاب التوادر ٢٢٦/١ نالب أبو مسحل الأعرابي تحقيق الدكتور مزة حسن ، طبعة دمشق ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م .
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٥) المرجع السابق ٨٣/١

وجاء فيه أيضاً : « وهذه أرض منصورة ومغيبة ولغة هذيل مغاثة لأنهم يقولون : أغاثها المطر ، وغيرهم من العرب يقول قد غيشت فهي مغاثة ومغيبة . وهو أكثر^١ » .

وهكذا عدت (مغاثة) من النوادر لأنها خاصة بهذيل وكلام الجمهر من العرب غير ذلك .

وجاء في نوادر اليزيدي^٢ : « يقال : الْقَتُ الدَّوَّاَةَ الْأَقَةَ ولقتها ليقا رديثة ، وتقول أقتلتُه البيع اقالة ، وقلتُه^٣ قيلا رديثة . »

وفي ديوان الأدب للفارابي يقال^٤ : هو أخير منه في لغة رديثة والشانع هو خير منه بلا حمز » .

وفي لسان العرب جاء قول صاحبه في مادة (خيل) : « وتقول في مستقبله أخال بكسر الألف وهو الأفصح ، وبنو أسد يقولون : أَخَال بالفتح وهو القياس والكسر أكثر استعمالاً » . وهذا المثال يدلنا على مدى قوة الاستعمال وسطوته .

مما تقدم نتبين اتفاق أئمة اللغة في منهجهم مع أبي زيد في نظرته إلى ظاهرة النوادر في اللغة وتحليله لها على أساس اعتبار النون المفهومة القليلة الدوران على السنة العرب نادرة .

٣ - **الاتساع في الرواية** : كما وردت أمثلة أخرى واعتبرت نادرة نظراً لمنهج أبي زيد في جمع اللغة القائم على الاتساع في الرواية .

فقد اشتهر أبو زيد بالرحلة إلى البدية ، وبالرواية عن الفصحاء ، وكان كثير السماع عن العرب ، لكنه متسع في روايته ، يوسع دائرة الأخذ ، ويروى ما يسمع ولو كان نادراً وغريباً ، ويجعل الشاذ والفصيحة واحداً فيجيز كل شيء .

وهو في منهجه هذا على نقض الأصمعي الذي يضيق دائرة الأخذ ولا يروى إلا أصح اللغات وأفصحها ويقوم منهجه على اعتماد القليل الصحيح ، جاء في المزهر^٥ : « قال ابن خالويه في شرح الفصيحة : قال أبو حاتم : كان الأصمعي يقول أفصح اللغات ويلغى ما سواها وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيحة واحداً فيجيز كل شيء » .

وهذا الرأيان - رأي أبي زيد ورأي الأصمعي - يمثلان الطرفين المتبعدين في مذهبين مختلفين في قضية النوادر في اللغة .

وقد أدى تباين وجهات النظر عند علماء اللغة أنفسهم واختلاف معايرهم في تقديم فصاحة الألفاظ وغرابتها إلى ورود أمثلة كثيرة عدت من النوادر .

ويجدر بنا الآن أن نسوق بعض الأمثلة من نوادر أبي زيد لتوضيع لنا ما أسلفنا :

١ - انشد أبو زيد لعبدة بن الطبيب^٦ :

فبكى بناتي شجوانْهُنْ وزوجتي والطامِعونَ السِّيَ ثم تصدّعوا

١) النوادر لأبي سهل / ٣٦٩

٢) المزهر - السيوطي / ٢٢٤/١

٤) ٢٢٢/١

٥) النوادر في اللغة / ٢٢/٢

أما (الزوج) فيوضع للمذكر والمذكر فتقول المرأة هذا زوجي ويقول الرجل هذه زوجي وتلك هي اللغة الفصيحة التي وردت في القرآن الكريم ^١ .

لكن لفظة (زوجتي) وردت في الشعر وأجازها أبو زيد في الرواية وأنكرها الأصمعي وقال : لا تكاد العرب تقول زوجته ^٢ . « .

ونفهم من هذا القول الذي أوردناه سابقاً أن الأصمعي كان يعد (زوجي) فصيحاً فيأخذنه ويعده (زوجتي) خلاف الفصيحة فيلقيه ، وليس الأمر كما يفعل الأصمعي وإنما هذا منه رأي أرتأه ومقاييس اتخذه لنفسه .

ومن الدلائل على فصاحة (زوجتي) وتمكنها من الفصاحة أنها زحمت (زوجي) وغالبتها حتى أتى حين من الدهر على اللغة العربية صارت فيه (زوجي) من النواود وشاعت (زوجتي) على السنة الناس وأقلام الكتاب إلى يومنا هذا .

ب - وروى أبو زيد في باب نواود ما يلي ^٣ : « وقالوا صياد المرأة وصندق وأمهرت وأصدقت واحد » .

قال أبو الحسن : أخبرني أبو العباس محمد بن يزيد قال : « وأمهرت المرأة هي المشهورة الفصيحة وأمهرت لغة وليس في جودة الأولى » .

وقد أجاز أبو زيد قولهم : « وأمهرت لأنه يوسع دائرة الأخذ و يجعل الفصيحة والشاذ واحداً فقد سمعها من العرب » ، وأنشد لقحيف العقيلي قوله ^٤ :

أَخِذْنَ اخْتَصَابَ حِطْبَةَ عَجَرَفَيَّةَ وَأَمْهَرْنَ أَرْمَاحَا مِنَ الْخَطَّ ذَبَّلَا

ج - وروى أبو زيد في نواوده قال ^٥ : « ويقال سخيت النار مثل رميته في الزنة وسخوتها أفسخها سخوا اذا جعلت لها مذهبها تحت القدر او غير ذلك » وعقب أبو الحسن قال : « الذي عليه الناس سخوت النار وسخيتها لغة » .

لكن أبو زيد سمع سخيت ولم يرفضها لاتساعه في الرواية .

وتجدر بالذكر أن الأمثلة المتقدمة قريبة من قلة الاستعمال لكن رواية أبي زيد لها تدل على توسيعه حيث ان بعض العلماء كالأصمعي لا ينتقون الى هذه الأمثلة .

٤ - نواود لكونها معربة : وردت أمثلة أخرى واعتبرت من النواود لكونها معربة دخلة على العرب ، انشد أبو زيد للداعي الكندي قوله ^٦ :

١) لسان العرب / زوج

٢) المزهر - المحيطي ١٢٩/١

٣) النواود في اللغة / ٢٠٢ ، ٢٠٨

٤) ١٣٥/

٥) النواود في اللغة / ٣٠٨

قالت سليمي اشتـرـ لـنا سـويـقاـ
وهـاتـ بـرـ الـبـخـسـ او دـقـيقـاـ
واعـجـلـ بـشـحـمـ تـنـخـذـ خـرـدـيقـاـ
الـخـرـدـيقـ بـالـفـارـسـيـةـ :ـ المـرـقـةـ ،ـ مـرـقـةـ الشـحـمـ بـالـتـابـلـ .ـ

وقد وافق أبا زيد في نهجه المتقىم أبو مسحـلـ الأـعـرـابـيـ فـرـوـيـ فيـ نـوـادـرـهـ الفـاظـاـ عـدـتـ منـ
الـنـوـادـرـ لـكـوـنـهـ مـعـرـبـاـ ،ـ قـالـ أـبـوـ مـسـحـلـ ^١ـ :ـ «ـ وـيـقـالـ :ـ بـنـسـ يـاـ فـلـانـ وـبـنـشـ يـرـيدـ اـجـلـسـ وـهـوـ
مـاـخـرـذـ مـنـ الـفـارـسـيـةـ وـاـنـشـدـ :

تـقـولـ ذـاتـ الـمـجـسـدـ الـمـوـرـسـ
وـالـحـلـلـ ذـيـ الـهـتـامـلـ الـمـوـسـوسـ
اـنـ كـنـتـ غـيـرـ صـائـدـيـ فـبـنـسـ

هذه أمثلة من شأنها أن تبين الأسباب التي من أجلها عدت بعض الألفاظ من النوادر .

وقد زاد أبو زيد فـرـوـيـ نـوـادـرـ فـيـ الـأـسـلـوـبـ ضـرـبـ قـوـلـهـ :ـ «ـ وـيـقـالـ اـذـاـ طـلـعـتـ الـجـوـزـاءـ اـنـتـصـبـ
الـعـوـدـ فـيـ الـعـرـبـاـءـ يـرـيـدـوـنـ اـنـتـصـبـ الـحـرـبـاـءـ فـيـ الـعـوـدـ وـذـلـكـ فـيـ شـدـةـ الـحـرـ »ـ .ـ

يبقى أن نشير إلى أنه ليس كل ما في كتاب النوادر مخالفًا للقياس ونادرًا أي قليل الاستعمال ، حيث أنها نفع كثيرة على الفاظ تتمتع بالشيوخ والاستعمال العريض .

والملاحظ أن مؤلفي كتب النوادر كانوا يوردون النادر الشاذ من اللغة إلى جانب الفصيح المشهور منها للدلالة على النادر ومعرفة معناه وموضع استعماله .

فوائد كتاب النوادر

وقدت في روايات أبي زيد الواردة في معجم لسان العرب والتي قمت بجمعها على الفاظ نادرًا لم أجدها في كتابه النوادر ، مما يدل دلالة واضحة أن الكتاب لم يضم كل ما روى عنه في هذه الظاهرة اللغوية ، وأن الثروة اللغوية التي رواها أبو زيد من النوادر جاوزت ما ذكر في الكتاب مما يشير إلى عظيم اثره في هذا المجال .

وعلـهـ اـمـثـلـةـ لـفـوـائـتـ عـشـرـتـ عـلـيـهاـ فـيـ لـسـانـ الـعـربـ :

١ـ خـرـوبـ :ـ جـاءـ فـيـ لـسـانـ الـعـربـ :ـ «ـ الـخـرـبـ عـرـوـةـ الـمـارـاـرـ ،ـ وـقـيـلـ اـذـنـهـ ،ـ وـالـجـمـعـ خـرـبـ
وـخـرـوبـ ،ـ هـذـهـ عـنـ أـبـيـ زـيـدـ نـادـرـةـ »ـ .ـ

٢ـ سـكـيـنـةـ :ـ وـالـسـكـيـنـةـ لـغـةـ فـيـ السـكـيـنـةـ عـنـ أـبـيـ زـيـدـ ،ـ وـهـذـاـ الـبـنـاءـ عـزـيزـ أوـ مـعـدـومـ وـلـاـ
يـلـمـ فـيـ الـكـلـامـ فـعـيـلـةـ .ـ

٣ـ خـبـوـثـ :ـ الـخـبـيـثـ ضـدـ الـطـيـبـ مـنـ الـرـزـقـ ،ـ وـحـكـيـ أـبـيـ زـيـدـ فـيـ جـمـعـهـ خـبـوـثـ وـهـوـ نـادـرـ
أـيـضـاـ .ـ

٤ - يافع : قال أبو زيد : سمعت يفعة ووفعة بالياء والواو ، وقد أيفع أي ارتفع وهو يافع على غير قياس ، ولا يقال موفع وهو من التوادر .

٥ - **خَلْقَ** : غلق الباب وأغلقه وغلقته الأولى عن ابن دريد عزاهما إلى أبي زيد وهي نادرة .

٦ - لا فَالْعَلَيْكَ : قال أبو زيد : تفألت تفاؤلا ، وذلك أن تسمع الإنسان وأنت تزيد الحاجة يدعو يا سعيد يا أفلح أو يدعو باسم قبيح ، والاسم الفال مهموز ، وفي نوادر الأعراش . يقال لا فَالْعَلَيْكَ بمعنى لا خير عليك ولا طير عليك ولا شر عليك .

٧ - **الشَّمَة** : جاء في لسان العرب : «والشَّمَة مهموزة : الطبيعة حكاهَا أبو زيد، قال ابن سعيد : والذي عندي فيه أن همزه نادر لأنَّه ليس هناك ما يوجبه .

٨ - **أَقْرِوَة** : وحكي أبو زيد : أَقْرِوَة ، مصحح الواو وهو نادر من جهة الجمع والتصحيح .

الخاتمة

بعد هذا التطواف في أبي زيد الأنصاري واتجاهه في الدراسات الصرفية وال نحوية ، وفي الثروة النفعية ، من حقنا أن نقف قليلاً لنتساءل : ماذا حققنا في هذه الدراسة ؟ وما النتائج التي انتهينا إليها ؟

لم يكن البحث في أبي زيد الأنصاري بالأمر السهل خاصة بعد ضياع غالبية آثاره ، ولكننا استطعنا بعد العناه والبحث أن نجمع الأخبار المروية عن أبي زيد في كتب الترجم و الطبقات فنصرور حياته وثقافته الواسعة ، و منزلته العلمية الرفيعة .

أما من ناحية آثار أبي زيد فإنه يمكن القول : إننا أول من حاول توثيق كتب أبي زيد الموجودة بشكل مطمئن تجاوز التوثيق التاريخي ، حيث قمنا بجمع نصوص عثرنا عليها في أمهات كتب اللغة وقابلناها بمثيلاتها في كتب أبي زيد الموجودة امعاناً في التوثيق ، ومن هنا جاء عملنا جديداً في بابه .

وأمر آخر لم يسبقنا أحد إليه في هذا المجال وهو الكشف عن الخطأ الذي وقع فيه صمويل ناجلبرغ - ناشر كتاب *الشجر* - عندما نسبه - خطأ - لابن خالويه في حين أنه كتاب أبي زيد وقد أقمنا الدليل على ذلك بمقابلة النصوص الواردة في كتب اللغة على لسان أبي زيد بمثيلاتها في الكتاب .

أما اتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية وال نحوية فقد أوضحتنا فيه خروجه على تقليد أهل البصرة بعد الأخذ عن الكوفيين مما عزز تفكيره العر ونهجه المستقل ، كما استعرضنا مظاهر نزعته البصرية ثم الكوفية فالاستقلالية حيث انتهينا إلى أن أبي زيد من واضحى بدور المدرسة البغدادية ، ولعل ذلك أهم ما في هذا البحث .

واستطعنا أن نبرز جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي وأن نشير إلى أن هذه الجهود كانت صيحة مبكرة في مجال اصلاح النحو رغم أنها لم تصادف أذناً صاغية في حينها بين أتباع المدرسة البصرية بسبب شففهم بكتاب سيبويه .

وقد أظهرت هذه الجوانب المتقدمة التي كشفنا عنها في اتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية وال نحوية الى أنه كان مظلوماً عندما تخطّأه بعض أصحاب الطبقات فلم يذكروه في طبقات نحويين .

أما اتجاهه في الثروة اللغوية فقد استعرضنا فيه النزعتين : البصرية والковية ، وأفضينا الحديث عن مظاهر استقلاله . ثم توقفنا عند جهوده في ميدان الثروة اللغوية فتكلمنا عن أثره في الدلالة والمجمّع العربي والتوادر في اللغة .

ويمكّنا أن نلخص عملنا في هذا البحث بما يأتي :

١ - جمعنا المعلومات والأخبار المتّناشرة عن أبي زيد ورسمنا صورة واضحة لحياته وثقافته واتجاهه المذهبي ، كما ناقشنا الروايات المختلفة في نسبة وسنة وفاته ، وانتهينا الى توثيق نسبة أبي زيد وسنة وفاته .

٢ - تتبعنا آثار أبي زيد وأحصيناهما ، وجمعنا كتبه الموجودة ووثقناها بطريقة لم نسبق إليها .

٣ - كشفنا عن الخطأ الذي وقع فيه المستشرق صمويل ناجلبرغ - ناشر كتاب *الشجر* - عندما نسبه - خطأ - الى ابن خالويه ، واقمنا الدليل على أنه كتاب أبي زيد في الشجر ، وذلك ما لم يسبقنا إليه أحد .

٤ - ورسمنا صورة واضحة لاتجاه أبي زيد في الدراسات الصرفية وانتهينا الى أنّه من واضعي بنور المدرسة البغدادية .

٥ - أبرزنا جهود أبي زيد في تيسير النحو العربي باعتبار أنها مسيرة مبكرة في اصلاح النحو .

٦ - أوضحنا مظاهر استقلال شخصية أبي زيد التي كان من أبرزها استشهاده بالحديث الشريف ومخالفته لعلماء اللغة الذين توقفوا عن ذلك .

٧ - قدّمنا خطوة جديدة في النظر في آثار أبي زيد ما نظن أن أحداً قام بها من قبل حيث جمعنا روایات أبي زيد في *معجم لسان العرب* .

هذا ما استطعنا أن نقوم به في هذا البحث .

ومن الله العون والتوفيق .

المراجع

أولاً : المخطوط

ابن جني ، أبو الفتح عثمان الأزدي .

١ - سر صناعة الاعراب ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٢٠ لغة .
أبو حيان ، أثير الدين محمد بن يوسف الفرناطي الأندلسى .

٢ - اشتغال القرب ، دار الكتب المصرية ، رقم ٨٢٨ نحو .
الخولي ، أمين .

٣ - الاجتهد في النحو ، جامعة القاهرة ، رقم ٣٨٦٨٨ .
الذهبي .

٤ - تاريخ الاسلام ، دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢ تاريخ .
السيرافي ، أبو سعيد .

٥ - شرح الكتاب ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٣٧ نحو .
الشافعي ، عبد الباقي اليمني .

٦ - اشارة التعيين ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٦١٢ تاريخ .
شريف ، محمد أبو الفتوح .

٧ - ابن خالويه وأثره في الدراسات الصرفية ، دار العلوم ، رقم ٣٠٣ رسائل .
ابن قاضي شهبة .

٨ - طبقات النحاة واللغويين ، دار الكتب المصرية ، رقم ٢١٤٦ تاريخ .
ابن قدامة ، أبو محمد عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي العنطيل .

٩ - الاستبصار في أنساب الأنصار ، دار الكتب المصرية ، رقم ٤٤٨٩ تاريخ .
المالكي ، محمد بن علي بن أحمد الداودي .

١٠ - طبقات المفسرين ، دار الكتب المصرية ، رقم ١٦٨ تاريخ .
محمد عبد القادر أحمد (دكتور) .

١١ - التوادر في اللغة ، جامعة القاهرة ، رقم ٩٨١ رسائل .

أبو مسلم .

١٢ - **المجالس المذكورة للعلماء** لأحد علماء القرن الرابع ، دار الكتب المصرية ، رقم ٧٧ ش ، وقد صورتها دار الكتب باسم مجالس أبي مسلم برقم ٩٥٨ أدب .
ابن مكتوم .

١٣ - **تلخيص أخبار النحوين واللغويين** ، دار الكتب المصرية ، رقم ٢٠٦٩ تاريخ تيمور .

ثانياً : المطبوع

ابراهيم أنيس (دكتور) .

١ - **دلالة الألفاظ** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ، مصر ١٩٦٣ م .

٢ - **في اللهجات العربية** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٥ م .
ابراهيم مصطفى .

٣ - **احياء النحو** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥١ م .
أحمد أمين .

٤ - **ضحي الاسلام** ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م .
أحمد مكي الانصاري (دكتور) .

٥ - **أبو ذكريya الفراء** ، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م .
ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري .

٦ - **النهاية في غريب الحديث** ، تحقيق محمود محمد الطناحي وزميله ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشريكاه ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد .

٧ - **تهذيب اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤ م .
الأصمعي ، عبد الملك بن قريب .

٨ - **الأضداد** ، نشر الدكتور أوغست هنر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩١٣ م .
ابن الانباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد .

٩ - **نزهة الالباء في طبقات الأدباء** ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، طبعة بغداد سنة ١٩٥٩ م .

١٠ - **الانصاف في مسائل الخلاف** ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، عنى بشعره محمود توفيق ، الطبعة الثالثة ، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م ، المكتبة التجارية الكبرى .
ابن الانباري ، محمد بن القاسم .

١١ - **الأضداد** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت ١٩٦٠ م .
باقر محمد الموسوي الأصفهاني .

١٢ - **روضات الجنات في أحوال العلماء والسداد** ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٦٧ هـ .
بروكليمان ، كارل .

١٣ - **تاريخ الأدب** ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م .

البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب .

١٤ - *تاریخ بغداد* ، مكتبة الغانجی بمصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٩هـ/١٩٣١م .

البغدادي ، عبد القادر بن عمر .

١٥ - *خزانة الأدب* ، تحقيق محمد محيي الدين وزملائه ، الطبعة الأولى ، مصر ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م .

البغدادي ، أبو منصور عبد الفاهر بن طاهر بن محمد بن طاهر .

١٦ - *الفرق بين الفرق* ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح ، مطبعة المدنی ، القاهرة .

البلذري ، أحمد بن يحيى بن جابر .

١٧ - *فتوح البلدان* ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦م .

ابن تغري بردى ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف .

١٨ - *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر .

١٩ - *البيان والتبيين* ، تحقيق عبد السلام هارون ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٨م .

٢٠ - *العيوان* ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

ابن الجزری ، شمس الدين أبو الغیر محمد بن محمد .

٢١ - *غاية النهاية في طبقات القراء* ، مكتبة الغانجی بمصر ، ومكتبة المتنى ببغداد ، القاهرة ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .

٢٢ - *النشر في القراءات الفشر* ، القاهرة ، مطبعة مصطفى محمد .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان الأزدي .

٢٣ - *الخصائص* ، تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الأولى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م .

٢٤ - *المنصف* ، تحقيق إبراهيم مصطفى وزميله ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م .

٢٥ - *المحتسب* ، تحقيق علي النجدي ناصف وزملاته ، القاهرة ١٣٨٦هـ .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي .

٢٦ - *الأذكياء* ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت - لبنان (بدون تاريخ) .

الجوهرى ، اسماعيل بن حماد .

٢٧ - *الصحيح* ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٧٧هـ .

ابن حجر العسقلاني .

٢٨ - *تهذيب التهذيب* ، الطبعة الأولى ، حيدر أباد ١٣٢٦هـ .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي .

٢٩ - **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعرف ، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

حسين نصار (دكتور) .

٣٠ - **يونس بن حبيب** ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨م .

أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان .

٣١ - **البحر المحيط** ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٩م .

أبو حيان التوحيدى .

٣٢ - **الامتناح والمؤانسة** ، تصحيح أحمد أمين وزميله ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، طبعة مصر ١٩٣٩م .

ابن خالويه ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد .

٣٣ - **كتاب الشجر** ، عنى بنشره المستشرق الدكتور صمويل ناجلبرغ ، مطبعة ماكس شمرسوف ، كرختين ١٩٠٩م .

٣٤ - **مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع** ، النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٣٤م .

ابن خلkan ، أبو شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر .

٣٥ - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد العميد ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨م .

ابن خير الشبيلي ، أبو بكر محمد .

٣٦ - **فهرسة ما رواه عن شيوخه** ، مؤسسة الخانجي بالقاهرة والمكتب التجاري بيروت ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٢٨هـ / ١٩٦٣م .

خير الدين الزركلي .

٣٧ - **الأعلام** ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن الأستدي .

٣٨ - **جمهرة اللغة** ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ .

الزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني .

٣٩ - **تاج العروس** ، دار ليبايا للنشر والتوزيع ببنغازي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٠٦هـ .

الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن .

٤٠ - **طبقات النحوين واللغويين** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر : محمد سامي أمين الخانجي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق .

٤١ - **مجالس العلماء** ، تحقيق عبد السلام هارون ، وزارة الارشاد والأنباء ، الكويت ١٩٧٢م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر .

٤٢ - **المستقتصي في امثال العرب** ، طبعة أولى ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

أبو زيد الانصاري ، سعيد بن أوس .

٤٢ - **النواذر في اللغة** ، تصحیح سعید الشرتونی ، دار الكتاب العربي ، الطیعة الثانية ، لبنان ١٩٦٧ م .

٤٤ - **الهمز** ، المطبعة الكاثولیکیة ، بیروت ١٩١٠ م . سیفین اولمان .

٤٥ - **دور الكلمة في اللغة** ، ترجمة الدكتور کمال بشر ، دار الطباعة القومیة ، مصر ١٩٦٢ م .

السبعیستاني ، سهل بن محمد .

٤٦ - **الأضداد** ، دار الكتب العلمیة ، بیروت ١٩١٣ م . ابن سعد ، محمد .

٤٧ - **الطبقات الكبرى** ، دار صادر ، ودار بیروت للطباعة والنشر ، بیروت ١٣٧٧ھ/١٩٥٨ م . ابن السکیت ، أبو يوسف یعقوب بن اسحاق .

٤٨ - **اصلاح النطق** ، تحقیق أحمد محمد شاکر وزمیله ، دار المعرف ، الطیعة الثالثة ، القاهرة ١٣٦٨ھ/١٩٤٩ م .

٤٩ - **الأضداد** ، نشر الدكتور أوغست هفنر ، المطبعة الكاثولیکیة ، بیروت ١٩١٣ م . سیبیویه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر .

٥٠ - **الكتاب** ، تحقیق عبد السلام هارون ، دار القلم ، القاهرة ١٣٨٥ھ/١٩٦٦ م . السیرافی ، أبو سعید الحسن بن عبد الله .

٥١ - **أخبار النحوين البصريين** ، تحقیق محمد عبد المنعم خفاجی وزمیله ، مکتبة مصطفی البابی الحلبی وأولاده ، القاهرة ١٩٥٥ م . السیوطی ، جلال الدین .

٥٢ - **الاقتراب** ، الطیعة الأولى ، مجلس دائرة المعرف العثمانیة ، حیدر آباد ١٣١٠ھ .

٥٣ - **بغية الوعاة** ، تحقیق محمد أبو الفضل ابراهیم ، عیسی البابی الحلبی وشركاه ، الطیعة الأولى ، مصر ١٣٨٤ھ/١٩٦٤ م .

٥٤ - **تاریخ الخلفاء** ، تحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید ، المکتبة التجاریة الكبرى ، الطیعة الثالثة ، مطبعة المدنی بالقاهرة ١٣٨٣ھ/١٩٦٤ م .

٥٥ - **الزهر** ، شرح وتصحیح محمد أحمد جاد المولی وزمیله ، عیسی البابی الحلبی وشركاه ، الطیعة الأولى ، القاهرة (بدون تاریخ) .

٥٦ - **همع الهوامع** ، الطیعة الأولى ، مطبعة السعادۃ بمصر ١٣٢٧ھ . طه العاجزی .

٥٧ - **الحافظ** : حیاته وآثاره ، دار المعرف مصر ١٩٦٢ م . أبو الطیب اللغوی ، عبد الواحد بن علي الحلبی .

٥٨ - **الابدال** ، تحقیق عز الدين التنوخي ، مطبوعات المجمع العربي بدمشق ١٣٧٩ھ/١٩٦٠ م .

٥٩ - **الأضداد في كلام العرب** ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٦٣ م .

٦٠ - **شجر البر في تداخل الكلام** ، تحقيق محمد عبد الجواد ، دار المعرف ، القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

٦١ - **مراتب النحوين** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٥ م .

عباس حسن

٦٢ - **اللغة والنحو بين القديم والحديث** ، دار المعرف ، القاهرة ١٩٦٦ م .

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي .

٦٣ - **العقد الفريد** ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر ١٩٤٢ م .

عبد الرحمن أيوب (دكتور) .

٦٤ - **دراسات نقدية في النحو العربي** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ م .

عبد الرحمن السيد (دكتور) .

٦٥ - **مدرسة البصرة النحوية** ، دار المعرف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

عبد الصاحب الدجيل .

٦٦ - **أعلام العرب في العلوم والفنون** ، الطبعة الثانية ، مطبعة النعمان ، النجف العراق ١٩٦٦ م .

عبد الله بن أسعد ، أبو محمد اليافعي اليمني المكي .

٦٧ - **مرأة الجنان وعبرة اليقظان** ، منشورات مؤسسة الأعلام للمطبوعات ، الطبعة الثانية ، بيروت - لبنان ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

عبد الوهاب حمودة .

٦٨ - **القراءات واللهجات** ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م .

أبو عبيد البكري .

٦٩ - **فصل المقال** ، تحقيق احسان عباس وزميله ، طبعة الغرطوم ١٩٥٨ م .

عرفان عبد الحميد (دكتور) .

٧٠ - **دراسات في الفرق والعقائد** ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

أبو علي الفارسي .

٧١ - **الحججة في علل القراءات السبع** ، تحقيق علي النجدي ناصف وزملاه ، طبعة مصر ١٩٦٥ م .

٧٢ - **الايضاح العضدي** ، تحقيق الدكتور حسن شاذل فرهود ، دار التأليف بمصر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

علي النجدي ناصف .

٧٣ - **سيبويه امام النعجة** ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م .

ابن العماد الحنفي ، أبو فلاح .

٧٤ - **شلوات الذهب في أخبار من ذهب** ، المكتب التجاري ، بيروت - لبنان (بدون تاريخ) .

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد .

٧٥ - **الصاحب في فقه اللغة** ، تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي ، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .

أبو الفرج الأصفهاني .

٧٦ - **الأغاني** ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٥م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم .

٧٧ - **أدب الكاتب** ، دار صادر - بيروت ، طبعة مدينة ليدن ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٧٨ - **تاویل مختلف الحديث** ، تصحیح محمد النجار ، مکتبة الكلیات الأزهریة ، مصر ١٩٦٦م .

٧٩ - **تاویل مشکل القرآن** ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عیسی البابی الحلی وشراکاه ، مصر ١٩٥٤م .

٨٠ - **المعارف** ، تحقيق ثروت عکاشة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٠م .

٨١ - **المعانی الكبير** ، الطبعة الأولى ، مجلس دائرة المعارف العثمانیة ، حیدر أباد الدکن - الهند ، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م .

التفطی ، جمال الدین أبي العسین علی بن یوسف .

٨٢ - **أنباء الرواية على آنباء النهاية** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهیم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

لouis شیخو .

٨٣ - **البلغة في شدور اللغة** ، الناشر : أوغست هفتر ، المطبعة الكاثولیکیة ، بيروت ١٩١٤م .

المبرد ، أبو العباس محمد بن یزید .

٨٤ - **الکامل** ، تعليق محمد أبو الفضل ابراهیم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٥٦م .

القتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضیمة ، لجنة احیاء التراث العربي ، مصر ١٣٨٦هـ .

محمد ثابت الفندي .

٨٦ - **دائرة المعارف الاسلامية** ، نقل الدكتور عبد الحمید یونس و زملائه ، مصر ١٩٣٣م .

محمد زغلول (دکتور) .

٨٧ - **أثر القرآن في تطور النقد العربي** ، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م .

المرتضی ، علی بن الحسین الموسوی .

٨٨ - **الأمالي** ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهیم ، عیسی البابی الحلی وشراکاه ، القاهرة ١٩٥٤م .

أبو مسحل الأعرابی .

٨٩ - **النواذر** ، تحقيق الدكتور عزّة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

ابن مضاء القرطبي .

٩٠ - **الرود على النحاة** ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٤٧ م
ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري .

٩١ - **لسان العرب** ، دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٨٨هـ/١٩٦٨ م
الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري .

٩٢ - **مجمع الأمثال** ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر
ابن النديم ، محمد بن اسحاق .

٩٣ - **الفهرست** ، مكتبة خياط ، بيروت - لبنان ١٩٦٤ م
ياقوت الحموي .

٩٤ - **معجم الأدباء** ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، طبعة دار المامون ، القاهرة
اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر .

٩٥ - **قاموس اليعقوبي** ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٣٧٩هـ/١٩٦٠ م
اليموري ، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ .

٩٦ - **نور القبس المختصر من المقبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء** ، تحقيق
رودلف زلهايم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٤ م
يوسف اليان سركيس .

٩٧ - **معجم المطبوعات العربية والمعربة** ، مكتبة يوسف اليان سركيس بالفجالة بمصر
يوهان فك .

٩٨ - **العربة** ، تحقيق الدكتور عبد الحليم النجار ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٠هـ/١٩٥١ م

ثالثا : المجالات

مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

رابعا : المراجع الأجنبية

- 1) Byrne, Donn **English Teaching Extracts**, London, Longman (1972).
- 2) Rivers, Wilga Marie, **Teaching Foreign Language Skills**, Chicago, The University (1970).
- 3) Firth, John Rupert, **The Tongues on Men and Speech**, London, Oxford Univ. press.

الكتابات

كشاف الآيات

(١)

رقم الصفحة

١ - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلأ تبصرون أم أنا خير من
هذا الذي هو مهين (الزخرف/ ٥٢ ، ٥١) ٩٥ ، ١٣٨

١١٩

٢ - أم أنا خير من هذا الذي هو مهين (الزخرف/ ٥٢)

١١٨

٣ - أم تريدون أن تسالوا رسولكم (البقرة/ ١٠٨)

١٠٥

٤ - إنكم لذائقون العذاب الأليم (الصافات/ ٣٨)

١٤٤

٥ - إنها لكبيرة إلا على الخاسعين الذين يظنون (البقرة/ ٤٥ ، ٤٦)

١٠٨

٦ - أو جاؤوكم حضرت صدورهم (النساء/ ٩٠) (ب)

١٤١

٧ - بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيرا (الفرقان/ ١١) (ث)

١٢٢

٨ - ثم عرضهم على الملائكة فقال أتبشوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (البقرة

(٣١ /

(ف)

١٤١

٩ - فإذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون (الأعراف/ ٣٤) و (النحل/ ٦١)

١١٩

١٠ - فبشرناها بأسحق ومن وراء أسحق يعقوب (هود/ ٧١)

١١٣

١١ - فيما نقضهم ميثاقهم (المائدة/ ١٣)

١٠٤

١٢ - فتوبوا إلى ربكم (البقرة/ ٥٤)

٣٧

١٣ - فضرب الرقاب (محمد/ ٤)

١٣٨

١٤ - فكان قاب قوسين أو أدنى (النجم/ ٩)

١٥٥

١٥ - فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان (الرحمن/ ٣٩)

(ق)

١٦ - قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا (الجانحة/ ٣٢)
١٤٤

١٧ - قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كتم مؤمنين (البقرة/ ٩١)
١٢٣

١٨ - كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار (يونس/ ٤٥)
١٤١

١٩ - لولا نزل عليه القرآن (الفرقان/ ٣٢)
١٠٤

٢٠ - هؤلاء بناتي هن أطهر لكم (هود/ ٧٨)
١٠٤

٢١ - هاؤم اقرأوا كتابيه ، اني ظننت (الحاقة/ ٢٠ ، ١٩)
١٤٤

٢٢ - واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام (النساء/ ١)
١٠٤

٢٣ - واذا الوجوش حشرت (التكوير/ ٥)
٩٥

٢٤ - وأرسلناه الى مائة ألف او يزيدون (الصافات/ ١٤٧)
١٣٧

٢٥ - وكذلك زين لكتير من المشركين قتل أولادهم شركائهم (الأنعام/ ١٣٧)
١٠٤

٢٦ - ولا تقربا هذه الشجرة (البقرة/ ٣٥)
١٠٤

٢٧ - وما أمر الساعة الا كلام البصر او هو أقرب (النحل/ ٧٧)
١٣٨

٢٨ - ومزقناهم كل ممزق (سبا/ ١٩)
٤٠

٢٩ - وما خطبواهم (سورة نوح ٢٥)
١١٣

٣٠ - ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا (الفرقان/ ٤٩)
٧٦

٣١ - ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة (الروم/ ٥٥)
١٤١

كتاب الأحاديث

رقم الصفحة

٩١

(١)

١ - ألم أبو جهم فاخاف عليك قسقاسته

١٣٣

٢ - ان أبغضكم الـيـ الشـارـونـ المـتـشـدـقـونـ المـتـفـيـهـقـونـ

١٣٤

٣ - أولم ولو بشـاهـةـ

(٣)

٤ - ثلاثة اسفار كذبن عليكم

(٤)

١٣٣

٥ - لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفـالـصالـحـ

٩١

٦ - لا عدوى ولا هامة ولا صفر

١٣٣

٧ - لا يبع حاضر لباد

١٣٣

٨ - لا أسرى بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى

الهمزة

رقم الصفحة

طلبوا صلحنا ولات أوان
فأخذوا هم ربى ودل عليهم
فاجبنا أن ليس حين بقاء
واطعمهم من مطعم غير مهجن،
(ب)

من يك أمى بالمدينة رحله
كذبت عليكم أ وعدوني وعللوا
فاني وقيارا بها لغريب
بي الأرض والأقوام فردان موظبا
بوصل غانية فقل كذبن
عرج الضباع تباري الأسد والذئبا
أسوا كمدحورة الأروى اذ افرزها

(ت)

يا قبّع الله بنى السعلة عمر و بن يربوع شرار النات
ليسوا أفاء ولا أكيات
ما لي لا أستقي على علاتي

صيالعي غباقسي قيلاتي
زعمت تماضر انتي امّا أمت
يسدد أبينوها الأصاغر خلّتني

(ج)

وكيف باطرافي اذا ما شتمتني وما بعد شتم الوالدين صلوج

(د)

تبصر هل ترى الواح برق
قعدت له وشيعني رجال
اوائله على الأفمأة قود
وقد كثر المخايل والسدود
يفكر آباء لعبون أم قرد
الجلة الكوم التئراب في العضد
فقد زادهن سواديكسودا
كسدن من الفقر في قومهن

(د)

قد أمرتني زوجتي بالسمرة
وصبّحتني لطوع الزهرة

رقم الصفحة

٧٦

عبيئ من جرّتها المخمرة فكان ما أحببت وسط الغيثرة
وفي الزحام أن وضعت عشرة

١٢٤ ، ٣١

ألم تعلمي ما ظلت بالقوم واقفا
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة
غراً كالقمر المشهور طلعته
ما لأن قلبي لناء عن مودتها
أديسم يا بن الذئب من نجل زارع
وانسي لتعروني لذكرك نفحة
تنول بمعرفة الحديث وإن ترد
تكفيه حزة فلذ أن الم بها
بكى بدموعك وآسف والقطر

٣٢

على طلل أضحت معارفه قفرا

٣٢

لم تجف طولا ولا أزرى بها قصر

٣٢

بل لا يرى مثلها لما استوى القمر

٣٩

وهل يلين لقول الواقع أحجر

٤٩

أتروى هجائي سادرا غير مصر

١٠٩

كما انتقض العصفور بلائه القطر

١٤٩

سوى ذاك تذعر منك وهي ذعور

١٥٠

من الشوأة وبروى شربه الغمر

١٦١

ابن الحوارى العالى الذكر

(س)
تقول ذات المسجد المورس
والحلبي ذي الهاشمي الموسوس
ان كنت غير صائدي فبنس
فلم أر مثل العي حيّا مصبعا
ولا متنلا يوم التقينا فوارسا
أكر وأحمدى للحقيقة منه
بكى بدموعك وآسف والقطر

١٦٦

(س)
تقول ذات المسجد المورس
والحلبي ذي الهاشمي الموسوس
ان كنت غير صائدي فبنس
فلم أر مثل العي حيّا مصبعا
ولا متنلا يوم التقينا فوارسا
أكر وأحمدى للحقيقة منه
بكى بدموعك وآسف والقطر

١٣١

(س)
صيّح نمار بنى منقاش خوص العيون يبئس المشاش
يحملن صبيانا وخشاش ماش

١٥٧

(س)
صيّح نمار بنى منقاش خوص العيون يبئس المشاش
يحملن صبيانا وخشاش ماش

٩٥

(ص)
يا دهر أم ما كان مشيي رقصا
بل قد تكون مشيتي توقصا
يا دهن أم ما كان مشيي رقصا
بل قد تكون مشيتي توقصا

١٣٨ ، ١١٩

(ص)
يا دهر أم ما كان مشيي رقصا
بل قد تكون مشيتي توقصا
يا دهن أم ما كان مشيي رقصا
بل قد تكون مشيتي توقصا

١٦٤ ، ١٠٦

(ع)
فبكى بناتي شجوهن وزوجتي
يقول الخنا وأبغض العجم ناطقا

١٦٣ ، ١١١

وكوني بالكارم ذكريني
تصيبهم وتخطينا المانيا

١٣١

أسعى على كل قوم كان سعيهم
فقلت لكأس الجميه فانما

١٣٢

والطامون الي ثم تصدعوا
إلى ربنا صوت العمارة يجدع

١٣٧

وذلك دل ماجدة صناع
وأخلف في ربع عن ربع

١٤٩

وسط العشيرة سعيا غير دعاع
مبطنا الكثيب من زرود لتفزعنا

١٤٨

(ف)
وليلة قد جعلت الصبح موعدها
بصدرة العنس حتى تعرف السدفا

١٦٦

(ق)
قالت سليمي اشترا لنا سويقا
وهات بر النجس أو دقينا

٧٣

واعجل بشحم تتحدى خردقا
الزم بنيك عمرو ائي آبق

٧٩

فانقسمت لا أحتل الا بصهوة
فان لم تغير بعض ما قد صنعتم

٧٩

رقم الصفحة

(ك)

أشبه أخي أو أشبهن أباكـا أما أبي فلن ننسـاكـا
تقصـر أن نـالـه يـداـكـا

(ل)

ولـا تكونـن كـهـلـثـوـف وـكـلـ
وارـقـ إـلـىـ الـخـيـرـاتـ زـنـاـ فـيـ الـجـبـلـ
أـجـرـهـ الرـمـيـحـ وـلـاـ تـهـالـهـ
انـ دـيـمـوـاـ جـادـوـاـ جـادـوـاـ وـبـلـ
وـقـدـ يـجـمـعـ اللـهـ الشـتـيـتـ مـنـ الشـمـلـ
عـلـىـ شـجـبـ اوـ لـاـ يـصـادـفـهـاـ تـكـلـ
أـصـيـمـ بـاهـلـيـاـ يـسـتـطـيـلـ
أـبـاـ عـمـرـ وـيـسـأـلـهـ الـخـلـيلـ
فـبـتـنـاـ عـلـىـ مـاـ خـيـلـتـ نـاعـمـيـ بـالـ
وـزـرـ مـنـ أـكـافـهـنـ خـصـلـاـ
وـالـفـتـيـ يـسـعـيـ وـيـلـهـيـهـ الـأـمـلـ
فـانـ تـقـوـيـاـ مـنـهـمـ فـانـهـمـاـ بـسـلـ
تـقـ اللـهـ فـيـنـاـ وـالـكـتـابـ الـذـيـ تـتـلـوـ
دـمـيـ اـنـ أـسـيـغـتـ هـذـهـ لـكـمـ بـسـلـ
يـنـهـلـ مـنـهـاـ اـلـأـسـدـ النـاهـلـ
وـأـمـهـرـنـ أـرـمـاـحـاـ مـنـ الـعـطـلـ ذـبـلـاـ

أشـبـهـ أـبـاـ أـمـكـ اوـ أـشـبـهـ حـمـلـ
بـيـتـ فـيـ مـقـدـهـ قـدـ اـنـجـدـلـ
وـيـهـاـ فـدـاءـ لـكـ يـاـ فـضـالـهـ
هـوـ الـجـوـادـ اـبـنـ الـجـوـادـ اـبـنـ سـبـلـ
وـقـدـ يـنـعـشـ اللـهـ الـفـتـيـ بـعـدـ عـشـرـةـ
وـأـيـةـ اـمـ لـاـ تـكـبـ عـلـىـ اـبـنـهـاـ
الـيـسـ مـنـ الـعـجـائبـ اـنـ كـلـبـاـ
وـيـزـعـمـ اـنـهـ قـدـ كـانـ يـقـتـيـ
فـلـيـتـ دـفـعـتـ الـأـمـرـ عـنـيـ سـاعـةـ
سـاقـطـهـنـ أـخـوـلـاـ فـاخـوـلـاـ
كـلـ شـئـ مـاـ خـلـاـ الـمـوـتـ جـلـلـ
بـلـادـ بـهـاـ نـادـمـتـهـمـ وـالـفـتـهـمـ
زـيـادـتـنـاـ نـعـمـانـ لـاـ تـحـرـمـنـاـ
أـيـثـبـتـ مـاـ زـدـتـمـ وـتـلـقـىـ زـيـادـتـىـ
الـطـاعـنـ الـطـعـنـةـ يـوـمـ الـوـغـىـ
اـخـذـنـ اـغـتـصـابـاـ خـطـبـةـ عـجـرـفـيـةـ

(م)

فـقـالـوـاـ الـجـنـ قـلـتـ عـمـوـاـ ظـلـامـاـ
زـعـيمـ نـحـسـدـ الـأـنـسـ الـطـعـامـاـ
يـزـيـدـ سـلـيمـ وـالـأـغـرـ بـنـ حـاتـمـ
يـثـبـتـ الـوـدـ فـيـ فـوـادـ الـكـرـيمـ
أـمـ هـلـ عـلـىـ الـعـيـشـ بـعـدـ الشـيـبـ مـنـ هـرـمـ
شـرـيـتـ رـضـاـ بـنـيـ سـهـمـ بـرـغـمـيـ
وـلـشـنـ سـطـوـتـ لـأـوـهـنـ عـظـمـيـ
فـاـذـاـ رـمـيـتـ يـصـبـيـنـيـ سـهـمـيـ

أـتـوـ نـارـىـ فـقـلـتـ مـنـونـ أـنـسـ
فـقـلـتـ إـلـىـ الـطـعـامـ فـقـالـ مـنـهـمـ
لـشـتـانـ مـاـ بـيـنـ الـيـزـيـدـيـنـ فـيـ النـدـيـ
كـيـفـ أـصـبـحـتـ كـيـفـ أـمـسـيـتـ مـاـ
يـاـ لـيـتـ شـعـرـيـ وـلـاـ مـنـجـاـ مـنـ الـهـرـمـ
نـدـمـتـ نـدـمـةـ الـكـسـعـيـ لـاـ
فـلـيـشـنـ عـفـوـتـ لـأـعـفـونـ جـلـلـاـ
قـوـمـيـ هـمـ قـتـلـوـ أـمـسـيـ أـخـيـ

(ن)

مـتـىـ كـنـاـ لـامـكـ مـقـتـوـيـنـاـ
بـالـبـيـنـ عـنـكـ كـمـ يـرـآـكـ شـنـانـاـ
وـالـعـيـشـ مـنـقـلـبـ اـذـ ذـاـكـ أـفـانـاـ
وـالـدـارـ جـامـعـةـ اـزـمـانـ أـزـمـانـاـ
بـالـبـيـنـ عـنـكـ بـمـاـ يـرـآـكـ شـنـانـاـ
جـثـتـ بـأـرـواـحـ الـمـصـفـرـيـنـاـ

تـهـدـدـنـاـ وـأـعـدـنـاـ روـيـداـ
ثـمـ اـسـتـمـرـ بـهـاـ شـيـخـانـ مـبـتـجـعـ
هـلـ تـرـجـعـنـ لـيـالـ قـدـ مـضـيـنـ لـنـاـ
اـذـ نـحـنـ فـيـ غـرـةـ الـدـنـيـاـ وـبـهـجـتـهاـ
لـاـ اـسـتـمـرـ بـهـاـ شـيـخـانـ مـبـتـجـعـ
يـاـ رـيـحـ بـيـنـونـةـ لـاـ تـذـمـيـنـاـ

رقم الصفحة

١١٥ أفكـر فـي بـابـه أـنـ أـجـنـ
 ١٤٢ وـيـقـرـرـ بـهـنـ قـفـافـ حـرـونـا
 ١٦٠ قـلـوبـاـ وـأـكـبـادـاـ لـهـمـ وـرـئـيـنـا
 ١٢٢ رـئـيـنـاـ أـنـفـ اـذـاـ مـاـ خـنـ بالـلـبـنـ

فقد كدت يـا بـكـرـ مـنـ طـولـ ما
 يـزـرـ"ـ وـيـلـفـظـ أـوـبـارـهـاـ
 فـفـظـنـاـهـمـ حـتـىـ أـتـىـ الغـيـظـ مـنـهـمـ
 أـمـ كـيـفـ يـنـفـعـ مـاـ تـعـطـيـ الـعـلـوـقـ بـهـ

(ى)

١١٣ مـهـمـاـ لـيـ الـلـيـلـةـ مـهـمـاـ لـيـ أـوـدـيـ بـنـعـلـيـ وـسـرـبـالـيـهـ

كشاف انصاف الآيات

رقم الصفحة

٦٤	(ب)	وأهون مظلوم سقاء مروب
١١٥		لعل أبي المفوار منك قريب
٣٩	(ج)	جابا ترى بليته مُسججا
١٦١	(د)	قدني من نصر العبيبين قد
١٤٢	(د)	ان لم يزل شعر مقدسي يزد
١٤٨	(ف)	وأقطع الليل اذا ما أسد فا
٤٠		ألم تعلمي بمسرحي القوافي
١٤٨		جاءت تشكي لهب الشفيف
١٤٨		فالجاءها الى ناري الشفيف
١٥٧ ، ٢٠	(ق)	حتى مات وهو محزرق
٨٥	(ل)	قد قلت للسائل قده اعجله
١١٧		أزم عليه ونأى بكلكيل
١٥٠		فلذ العطاء في السنين النَّزَل
١٦٢		الحمد لله العلي الأجل

(م)

ألا لله ضيفك يا أما ما
وقد ناجوا كثواج الفنم

(ه)

شتان ما يومي على كورها

(ى)

وبلدة ليس بها طوني

٧٣

٨٣

٤٦

١٥٨

موقع جامس: البريغن

مطاعم تجامعة اليابان